

منهج الصواب

في قبح استكتاب أهل الكتاب

للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن الدريهم المصري الشافعي
المتوفى سنة ٧٦٢ هـ

ويليه

المذمة في استعمال أهل الذمة

للشيخ الإمام أبي أمامة محمد بن علي ابن النقاش
المتوفى سنة ٧٦٣ هـ

ويليه

حصن الوجود الواقي من خبث اليهود

لسليمان بن إبراهيم الصولة الدمشقي
المتوفى سنة ١٣١٧ هـ

تحقيق
سيد كسروي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منهج الصواب

في قبح استكتاب أهل الكتاب

للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن الدريهم المصري الشافعي

المتوفى سنة ٧٦٢ هـ

ويليه

المذمة

في استعمال أهل الذمة

للشيخ الإمام أبي أمامة محمد بن علي ابن النقاش

المتوفى سنة ٧٦٣ هـ

ويليه

حصن الوجود

الواقي من خبث اليهود

لسليمان بن إبراهيم الصولة الدمشقي

المتوفى سنة ١٣١٧ هـ

تحقيق

سيد كسروي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

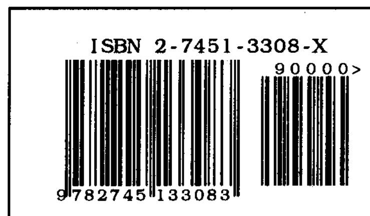
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ . ١١ بيروت . لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban



ISBN 2-7451-3308-X
90000>
9782745133083

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى: القائمين بالقسط الداعين إلى الحق العاملين به.

إلى: الساعين لإقامة شرعة الله في أرضه على وعي.

إلى: الفاهمين لمسألة الولاء والبراء فهمًا شرعيًا منضبطًا.

إلى: الجامعين بين السياسة والدين جمعًا قويمًا صحيحًا.

إلى: كل قارئ متفهم لروح النص الشرعي وإلى ما أقول.

أقدم هذا الكتاب

سيد كسروي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله .. ثم الحمد لله.. ثم الحمد لله خلق الخلق وجعلهم صنفين وعرفهم الطريقين وهداهم النجدين، وألهم نفوسهم فجورها وتقواها، ثم هم بعد ذلك فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، فهم بين شقي وسعيد، وضال ورشيد، وطائع وعنيد، وجعل كلا الفريقين من بعضهما على النقيض، فعداوة كل منهما لبعضهما تزيد إلى أن يفصل بينهما رب العبيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، حذر من الشرك به كل تحذير واستنكره أشد نكير، وهدد من اعتقده، بالعذاب الشديد، وجعله ذنبًا لا يغتفر فقال: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[1].

وحكم على من اعتقد ذلك بالكفر البواح فقال: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾[2].

ولعنهم على ألسنة أنبيائه وأقرهم على ذلك فقال ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾[3].

فلعنهم -سبحانه- لعنًا صريحًا، وحذرنا -سبحانه- من أن نواليهم حتى لا يصيبنا ما أصابهم من الكفر، واللعن، والخلود في النار؛ لأن من والاهم صارمثلهم، بل صار منهم، لقوله تعالى: ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾[4].

---

(١) سورة النساء (الآية: ٤٨، ١١٦).
(٢) سورة المائدة (الآية: ٧٣).
(٣) سورة المائدة (الآية: ٧٨).
(٤) سورة المائدة (الآية: ٥١).

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أولى من والى في الله تعالى، وأعدى من عادى في الله تعالى حتى قال فيه ربه -سبحانه-: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾(١).

وكذا دعا أصحابه إلى التوادد والتراحم فيما بينهم والشدة والعداوة لأعداء الله الكافرين به إلى أن قال فيه وفيهم ربهم -سبحانه-: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾(٢).

ودعاهم إلى التحابب والتوادد فيما بينهم وبين لهم أن ذلك هو أعلى درجات الإيمان فقال: "**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**".

أما بعد:

فبمناسبة الكلام عن أهل الإسلام وأهل الذمة، فإن من المعروف أن الدولة الإسلامية يعيش في ظلها: المسلم، والذمي، والمستأمن.

فالمسلم: هو صاحب الأرض أو الدار التي افتتحها حربًا أو صلحًا.

وأما الذمي : فهو من تصالح مع المسلمين من اليهود أو النصارى على دفع الجزية والإقامة في دارهم دون الإخلال بما تصالحوا عليه.

وأما المستأمن: فهو من دخل أراضي أو ديار المسلمين بعد إذن منهم لإقامة مؤقتة كالعلاج، أو التعليم، أو السياحة، أو المرور بها فهو آمن فترة قضاء أمره ما لم يخل بما اتفق عليه معه.

أما عن موضوع الذميين أو أهل الكتاب المقيمين في الدولة الإسلامية فلابد أن يلتزموا بما ألزموا به أنفسهم أو ألزموا به من شروط التصالح، ومن أخل بشرط من تلك الشروط عوقب بما يوازيه إخلاله في غير تهاون ولا مبالغة.

---

(١) سورة الأحزاب (الآية: ٦).

(٢) سورة الفتح (الآية: ٢٩).

فإن الإسلام ما جاء يومًا ليذل أحدًا من البشر أو يهين كرامته بل جاء على العكس من ذلك جاء ليحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، وليخرجهم من ظلمات الظلم وجهالة الجهل إلى نور العزة والحرية والعلم وكرامة الإنسان.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- صالح أهل الشرك من أهل مكة على شروط ليس فيها ذل ولا ظلم ولا مهانة.

وصالح يهود المدينة على شروط ليس فيها كذلك جور ولا حيف.

وفتح البلدان حوله على أمور ثلاثة واضحة وهي: إما الإسلام، وإما الجزية، وإما القتال.

و لم يشترط عليهم غير ذلك من زيٍ ولا سلوك، ولن أخوض في دوافع شروطه الثلاثة وتخييرهم بينها.

ثم طلب أهل مصر من أهل الإسلام بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- إعانتهم على الرومان لشدة ظلمهم لهم، فدخلوها عن رضا من أهلها وكانوا على عقيدة النصرانية وبدون شروط.

ثم تتابعت الأمور والأحداث والأحوال فكانت تلك الشروط التي شرطوها على أنفسهم و لم تشترط عليهم غير الشرطين الذين وضعهما عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- وهما: أن لا يشتروا من سبايانا شيئًا.

ومن ضرب مسلمًا عمدًا فقد خلع عهده(١).

ولا أرى في هذين الشرطين أي حيف أو جور أو تعدٍ أو تجنٍ أو إجحاف من قبل سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه-.

وأما عن كتاب: "**منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**".

---

(١) لمعرفة الشروط بتمامها يمكن أن تراجع كتاب أحكام أهل الملل للخلال المسألة رقم (١٠٠٠) والذي وفقني الله لتحقيقه.

فإنه ما دفعني إلى تحقيقه إلا رغبة مني في استقراء فترة زمنية عن مدى علاقة المسلمين بأهل الذمة، وعلاقة أهل الذمة بأهل الإسلام.

وإن كنت وجدت بعد استقراء الكتاب أن المؤلف -رحمنا الله وإياه- قد بالغ في وصفهم والنيل منهم بألفاظ شديدة -أعود إليها إن شاء الله تعالى- إلا أنه قد أشبع الموضوع دراسة من حيث حشد الأدلة التي ساقها من القرآن والسنة وآراء بعض الصحابة والخلفاء والتابعين والعلماء.

وإن كان في بعضها ما هو ليس بصحيح وفي بعض الآراء ما هو موفق وبعضها ليس كذلك، إلا أن الكتاب قد غطى الموضوع تغطية طيبة وافية، وقد أفاض في التحذير من استخدام أهل الكتاب وإيثارهم على غيرهم من المسلمين مع توافر أقرانهم من المسلمين بل ومن يفوقونهم في العلوم التي استخدموهم فيها، وأنا معه في ذلك.

إلا أنه قد بالغ في بعض مواضع من الكتاب ونصح بإذلالهم وهذا لفظ قد اعترضت عليه في أكثر من موضع في الكتاب وبينت أن الإسلام لا يقر مثل ذلك اللفظ في حق رعاياه ومن يستظلون بمظلته.

إلا أنني قد أعذره ربما للظروف أو للأسباب التي كان يعيشها والتي قد رآها منهم وسمعها عنهم، وشكوى الناس إليه لما له في نفوس الناس من مكانته الشرعية وعجزه عن نصرهم أو غوث الناس منهم، وتغافل أمير أو سلطان زمانه عن نصرة الناس وثقته المفرطة بمن يقوم على بعض أموره من أهل الكتاب، مما جعل الأمر يستفحل والشر يستشري، وسلطانهم ينبسط حتى لا يستطيع رادع أن يردعهم ولا إمام أن يقف في وجوههم لإصغاء الحاكم إليهم وخوف العوام منهم.

ثم أعود إلى ما استجد من شروط شرطت بعد عهد عمر بن الخطاب كأن يركبوا دوابهم عن شق، وما شابه ذلك من شروط.

فإنه وإن كنت لا أقرها إذ أنها أولاً لا تصلح لمثل عصرنا إذ كيف يقود أهل الذمة سياراتهم عن شق؟

ولكن ربما أن مثل هذا الشرط كان نوعاً من العقوبات ضربت عليهم لسبب أمر مخالف خالفوا فيه فأراد حاكم ذلك الزمان إيقاع عقوبة عليهم تناسب تلك المخالفة . فالله أعلم.

ثم إني قررت بهامش الكتاب في مواضع مختلفة أني لا أقر مثل هذا الأمر وكثير غيره.

وأقول: إن هذه الشروط، وكذا قدر الجزية أمور قابلة للزيادة والنقص أو الحذف والإضافة حسب ظروف ومقتضيات كل عصر.

لأنها شروط بشر وتصالحهم على أمر ما بينهم، فما تراضوا عليه وحقق المصلحة فهو مقبول، ولا يلتزم بتلك الشروط القديمة بحذافيرها.

ولو عدنا لواقعنا اليوم لوجدنا أننا صرنا في وضع لا نحسد عليه وقد اختلط الحابل بالنابل، فالمسلمون اليوم يعيشون في أرضهم وتملى عليهم شروط أهل الكتاب أو شروط أعدائهم وأعداء رب العالمين من داخل وخارج أرضهم وما عليهم إلا أن يخضعوا لتلك الشروط والتي تسمى بالاتفاقيات.

بل ويسعى المسلمون إلى العمل عندهم بكل الطرق مهما عرضهم ذلك لأمور منها ما يجرح الكرامة إلى غير ذلك من الأمور التي يخجلون منها في بلادهم.

أما عن استكتابهم فإن عادت للإسلام مكانته بين الأمم فلا فيكون استكتابهم على ما في كتب الفقه القديمة والذي ليس له حقيقة في الواقع المعاصر، ولا أدري كيف يكون الحال بعدنا ولكن ما أنصح به هو أن تكون عليهم الشروط المناسبة لحالهم يومها مهتدين بكتاب الله -تعالى- وبصحيح

ما في السنة النبوية من الأحاديث مستضيئين ببعض ما في كتب الفقه من كيفية التعامل معهم بما يناسب ظروفهم وأحوالهم وعصورهم.

وهيهات هيهات لهذا العهد أن يعود ولكن كلي أمل في أن يعود إذا صدق المسلمون النية وجددوا العهد وأخلصوا لله القصد، ويحضرني الآن قول الشاعر المسلم:

تَفِيْضُ قُلُوْبُنَا بِالْهُدَى بَأْسًا ... وَأَخْضَعَهَا جُدُوْدٌ خَالِدُوْنَـا

مَلَكْنَا هَـذِهِ الدُّنْيَـا قُرُوْنًـا ... فَمَا نَسِيَ الزَّمَانُ وَمَا نَسِيْنَـا

وَسَطَّرْنَا صَحَائِفَ مِنْ ضِيَـاءٍ ... غَدَاةَ الرَّوْعِ تَأْبَى أَنْ تَلِيْنَـا

حَمَلْنَاهَا سُيُوْفًا لاَمِعَات إِذَا ... رَأَت الْهَوْلَ وَالْفَتْحَ الْمُبِيْنَا

خَرَجَتْ مِـنَ الأَعْمَـادِ يَوْمًـا ... نُؤَدِّبُهُمْ أُبَاةً قَادِرِيْنَـا

وَكُنَّا حِيْـنَ يَرْمِيْنَـا أُنَـاسٌ ... بِطُغْيَانٍ نَدُوْسُ لَهُ الجَبِيْنَـا

وَكُنَّا حِيْنَ يَأْخُذُنَـا وَلِـي وَمَا ... فَمَا نُغْضِي عَنِ الظُّلْمِ الْجُفُوْنَـا

فَتِيءَ الزَّمَـانُ يَـدُوْرُ حَتَّـى ... مَضَى بِالْمَجْدِ قَوْمٌ آخَرُوْنَـا

وَأَصْبَحَ لاَ يُرَى فِي الرَّكْبِ قَوْمِي ... وَقَـدْ عَاشُوا أَئِمَّتَهُ سِنِيْنَا

وَآلَمَنِي وَآلَمَ كُـلَّ حُـرٍّ تُـرَى ... سُؤَالُ الدَّهْرِ أَيْنَ الْمُسْلِمُوْنَا؟

هَـلْ يَرْجِـعُ الْمَاضِـي؟ فَإِنِّـي ... أَذُوْبُ لِذَلِكَ الْمَاضِـي حَنِيْنَـا

نعم إن شاء الله سيرجع ويملأ الدنيا ضياه ويشرق وجه السماء سناه.

* فأما عن موضوع كتاب "المذمة" فهو إجابة سؤال وجه إلى ابن النقاش فأجاب عليه ونقله إلينا بعض تلاميذه في صورة هذا الكتاب.

* وأما عن كتاب "حصن الوجود" فهي تجربة عاشها ابن صولة ونقلها إلينا للاعتبار بها والتحذير من مخالفة أو تصديق اليهود مهما كان ظاهر أمرهم حميدًا. وقد أشرت إلى ترجمة كل من ابن النقاش، وابن صولة في صدر كتاب كل منهما.

اللهم قيض لدينك أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك اللهم آمين.

واغفر لي ولزوجتي، واهدِ أولادي، وارحم أمي وأكرم أبي، وفك أسر إخواني، وثبت جناني وأحسن ختامي اللهم آمين.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو إسلام

سيد كسروي

القاهرة الثلاثاء

الثاني من المحرم من عام ١٤٢٢هـ

الموافق ٢٧/٣/٢٠٠١م

ترجمة المؤلف[1]

هو: علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاسم بن سعيد بن محمد بن هشام بن عمر.

كنيته: أبو الحسن.

نسبه: الثعلبي الشافعي. الموصلي، القاهري، الأديب، الشافعي.

لقبه: تاج الدين.

شهرته: ابن الدريهم.

ميلاده: ولد في شعبان سنة (٧١٢) هجرية.

وفاته: توفي بقوص في صعيد مصر في صفر من سنة (٧٦٢)، وقيل في سنة (٧٦٣)، وقيل في سنة (٧٦٩).

والأول هو الأرجح.

ولم أقف له على ترجمة ذات بال إلا ما ذكره ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة حيث قال فيها بعد ذكر اسمه ونسبه:

تاج الدين المعروف بابن الدريهم، وهو لقب سعيد جده الأعلى ابن أخت الشيخ بهاء الدين الحسين، الموصلي المعروف بابن أبي الخير.

ولد في شعبان سنة (٧١٢) وقرأ القرآن بالروايات على أبي بكر بن العلم (المعلم) سنجر الموصلي.

وتفقه على الشيخ نور الدين على بن شيخ العوينة المقدم ذكره وحفظ

---

(١) مصادر ترجمته:
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٨١/٣: ت: ٢٨٧١)، كشف الظنون لحاجي خليفة (٢٠٩، ٤٨٥، ٩٨٧، ١٧٧)، هدية العارفين للبغدادي (٧٢٣/١)، الأعلام للزركلي (١٥٨/٥)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢١٠/٧)، تاريخ التراث العربي لبروكلمن (١٦٥/١١/٨).

الحاوي.

وبحث في الحاوي على شرف الدين عبد الله بن يونس وحفظ ألفيّ ابن معطي، وابن مالك، وبحث في التسهيل، وأخذ عن علاء الدين بن التركماني وشمس الدين الأصبهاني.

وسمع صحيح البخاري بقراءة نور الدين الهمداني، وغير ذلك.

وقرأ على أبي حيان بعض تصانيفه.

وكان أبوه مات وهو صغير، وخلف نعمة طائلة فاستولى عليها الغير.

ونشأ يتيمًا لكنه فتح عليه واجتهد في الاشتغال فلما كبر وتميز سلموه بعض المال فسافر به إلى دمشق، ثم إلى القاهرة.

فأثرى وتمول، وكان أول قدومه القاهرة تاجرًا في سنة (٣٢ أو ٣٣) ثم عاد إلى البلاد، ثم رجع واختص بكثير من أمراء الدولة، وأخيراً بالكامل في شعبان.

ثم أخرجه المظفر حاجي إلى الشام سنة (٧٤٨) وكان له في ديوان الخاص ثمن مبيعات بمائتي ألف درهم.

فتردد إلى القاهرة ليحصل له منها شيء، فلم يتفق.

ثم ورد كتاب على لسان بيبغاروس بإخراجه من دمشق فكبس بيته، وأخذ كتبه، وأخرج من دمشق في أحد الجمادين سنة (٤٩).

فتوجه إلى حلب، ثم عاد إلى دمشق، ثم دخل مصر ليخلص شيئًا من ماله، ثم رجع إلى دمشق ورتب مدرسًا بالجامع الأموي ثم في صحابة ديوان الجامع فباشر جيدًا، ثم رتب في ديوان الأسرى.

ثم دخل مصر في سنة (٦٠) فبعثه الناصر حسن رسولاً إلى الحبشة وهو مكره على ذلك، فوصل إلى قوص فمات بها في صفر سنة (٧٦٢).

وكان ماهرًا في الأحاجي والألغاز، وحل المترجم والأوقاف، والكلام

على الحروف وخواصها حتى كان يقال له ضمير عن شيء يكتبه السائل بخطه فيكتبه هو حروفًا منقطعة (مقطعة) ثم يكسر تلك الحروف، فيخرج الجواب عن ذلك الضمير شعرًا ليس منه حرف واحد خارجًا عن حروف الضمير.

وكان مشاركًا في الفقه، والحديث، والأصول، والقراءات، والتفسير، والحساب، ويتكلم في جميع ذلك مجدًا من ذهن حاد وقاد.

وله نظم كثير التعسف والتكلف أجوده مقبول، فمنه قوله:

صدعنى فلا تلم عذولي ... لست أسلو هواه حتى الممات

لا تقل قداسًا ففي الوجه منه ... حسنات يذهبن بالسيئات

ثم ذكر له عددًا من المصنفات أذكرها مع ما زدته من خلال هدية العارفين، وكشف الظنون، ومعجم المؤلفين، ومؤلفاته كثيرة جدًا حسب ما ذكرت بعض المراجع التي ترجمت له ترجمة مختصرة جدًا، وفيما يلي ما جمعت من أسماء مؤلفاته:

١- الآثار الرائعة في الأسرار الواقعة.

٢- اتساع الحذاق في أنواع الأنواق (الأوقاف).

٣- إشراف النفس على حضرات (الحوالات) الخمس.

٤- اقناع الحذاق في أنواع الأوقاف (وربما كان الذي سبق).

٥- الإنصاف بالدليل في أوصاف النيل.

٦- إيضاح المبهم في حل المترجم.

٧- إيقاظ المصيب فيما في الشطرنج من المناصيب.

٨- بسط الفوائد في حساب القواعد.

٩- التراضي بين الأمير والقاضي.

١٠- تصاريف الدهر في تعاريف الأجر (الزجر).

١١- التصريف وحلة التعريف.

تمييز الصرف في سر (أسرار) الحرف.

ويقال له: (الجرف في سر الحرف).

ويقال له أيضاً: (سر الصرف في علم الحرف).

١٢- ثنائي الناظر في المرائي والمناظر.

١٣- زيح الزين في معاني العين.

١٤- سلم الحداثة (الحراسة) في علم الفراسة.

١٥- غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز.

١٦- غاية المغنم في الاسم الأعظم.

١٧- كنز الدرر في حروف أوائل السور.

١٨- مفتاح الكنوز في حل الرموز (وهو منظومة شرح لمنظومته في المعمى).

١٩- منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب (وهو كتابنا هذا).

٢٠- النسمات الفاتحة في آيات الفاتحة.

٢١- نفحة (نقع) الحدوى في الجمع بين أحاديث العدوى.

وغير ذلك كثير لم أقف عليه.



عملي في تحقيق المخطوط

يتلخص عملي في تحقيق المخطوطات فيما يلي:

- نسخت المخطوطات.
- ضبط ما فيها من الأخطاء الإملائية.
- أثبت ما سقط منه بين معقوفين، وأشرت إلى ذلك في حينه، وبينت مصدر الزيادة.
- قدمت لها بمقدمة موجزة.
- خرجت ما ورد بها من أحاديث نبوية وبينت ضعف بعضٍ منها.
- عزوت ما ورد فيها من الآيات إلى سورها وضبطها بالشكل.
- علقت على بعض ما ورد فيها من المسائل أو الأقوال.
- ترجمت لمعظم من ورد ذكرهم من الأعلام.
- وضعت عناوين لبعض موضوعات بعض المخطوطات.
- ضممت الكتب الثلاثة في مجلد واحد لكونها تخدم غرضاً واحداً.

والله الموفق والهادي للصواب

❁ ❁ ❁

وصف مخطوط منهج الصواب

اسم المخطوط: منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب.

اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن فتوح المعروف بابن الدريهم.

مكان وجود المخطوط: مكتبة أحمد الثالث بتركيا.

رقم المخطوط الأصلي: ١٤٠٤

مكان مصورة المخطوط: معهد المخطوطات العربية.

رقم مصورة المخطوط: ٥١

نوع الفن: سياسة.

عدد أوراق المخطوط: ٨٠

مقاس الصفحة: ١٨,٥ × ٢٦,٥سم.

عدد أسطر الصفحة: ١٥ سطر.

نوع الخط: نسخي جميل مشكول.

تاريخ النسخ: العشرين من جمادى الأولى سنة ٩٢١هـ.

۞ ۞ ۞

وصف مخطوط المذمة

اسم المخطوط: كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة.

اسم المؤلف: أبو أمامة محمد بن علي بن النقاش.

مكان وجود المخطوط الأصلي: دار الكتب المصرية.

رقم المخطوط الأصلي: ١٦٩٣.

مكان مصورة المخطوط: معهد المخطوطات العربية.

رقم التصوير: ف ٢٥ سن ٥٨٥.

رقم مصورة المخطوط: ٥٠ سياسية.

نوع الفن فقه شافعي.

عدد أوراق المخطوط: ٢٣ ورقة

مقاس الصفحة: ١٧ × ٢٢سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢٦ سطر.

عدد الكلمات في كل سطر: ١٧: ١٩تقريبًا.

نوع الخط: نسخي منقوط.

تاريخ النسخ: يوم الاثنين ثاني عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين وثمانمائة.

ملاحظات: جاء بورقة غلاف المخطوط ترجمة موجزة للمؤلف بغير خط الناسخ وخط كاتبها ضعيف وغير منقوط.

* المخطوط بمعهد المخطوطات مستقل برقم (٥٠) وملحق به مخطوط آخر غير معروف الاسم، وفي دار الكتب ضمن مجموعة ويبدأ برقم (٧٨) وينتهي برقم (١٠٠).

۞ ۞ ۞

وصف مخطوط حصن الوجود

اسم المخطوط: حصن الوجود الواقي من خبث اليهود.

اسم المؤلف: سليمان بن إبراهيم صولة.

مكان وجود المخطوط: دار الكتب المصرية.

نوع الفن: تاريخ.

عدد أوراق المخطوط: ٥٠ ورقة

مقاس الصفحة: ٦,٥ × ١٣,٥ سم.

عدد الأسطر: ١٧ سطر.

عدد الكلمات في كل سطر: ٦: ٨ تقريبًا.

نوع الخط: نسخي جميل جدًا بقلم معتاد.

تاريخ النسخ: القرن الثالث عشر الهجري.

ملاحظات:

* جاء بهامش المخطوط كل عشر ورقات كلمة الجزء (...) واشتمل على خمسة أجزاء.

* وجاء بهامش بعض الصفحات خاتم الوقف ودون فيه: "وقف حكمة الله بن عظمة الله الحسيني".





صورة غلاف منهج الصواب ويظهر عليها اسم الكتاب ومؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي أعز بالإسلام قوما وأذل به آخرين . وقضى بالذلة
من قام بنصر دينه المبين . وأشقى بخذلانه من ناوى وحاد أعداءه
الخاسرين بقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
شرف الإسلام على جميع الملل . ونسخ به جميع الشرائع والنحل
وفضل أمته الآخرين على السابقين الأول . وكبت به
أعداءه أهل الزيغ والزلل . وذوي الخطأ والخطل . أوعد
الكافرين بالخلود في النار . وعذبهم في الدنيا بالقتل العاجل
وإعطاء الجزية على التزام الذلة والصغار ليحقق بذلك ما
وصف به عباده المؤمنين بقوله سبحانه وتعالى وهو أصدق
القائلين . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار وليشفي
به صدور المؤمنين . ويذهب به غيظ قلوب المسلمين . ويخزي
به الكافرين . ويقصم به ظهر المتكبرين من أعدائه المكابرين
ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون . أعز أهل دينه

صورة الورقة الأولى وبها مقدمة المصنف

بيننا وبين أعدائه وحشرنا في زمرة أوليائه إنه المعز ...

حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ...

قال ـــــــــ مؤلفه محمد الحطاب عفا الله عنه ...

الله تعالى على من أقوال العلماء وما فتحه الله تعالى في قلبي من المعاني فنحمده

على ما من به علي وتطول ومنحني به وتفضل حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

وأسأله تعالى أن يصلي على سيدنا محمد المصطفى ورسوله المرتضى وأتوسل

بالله تعالى ورسوله إلى من وقف عليه من المسلمين أن يخلص النية ويحسن

القلب ويسأل الله تعالى الحليم الكريم جل جلاله وتقدست أسماؤه

ولا إله غيره لي العفو والمسامحة وتكفير السيئات ورفعة

الدرجات لي ولوالدي ولسائر المسلمين وأنا أسأل الله تعالى

أن ينفع به من جمعه أو قرأه أو كتبه أو طالعه أو ملكه وعمل

بما فيه وهو حسبنا ونعم الوكيل تم كتاب منهج الصواب

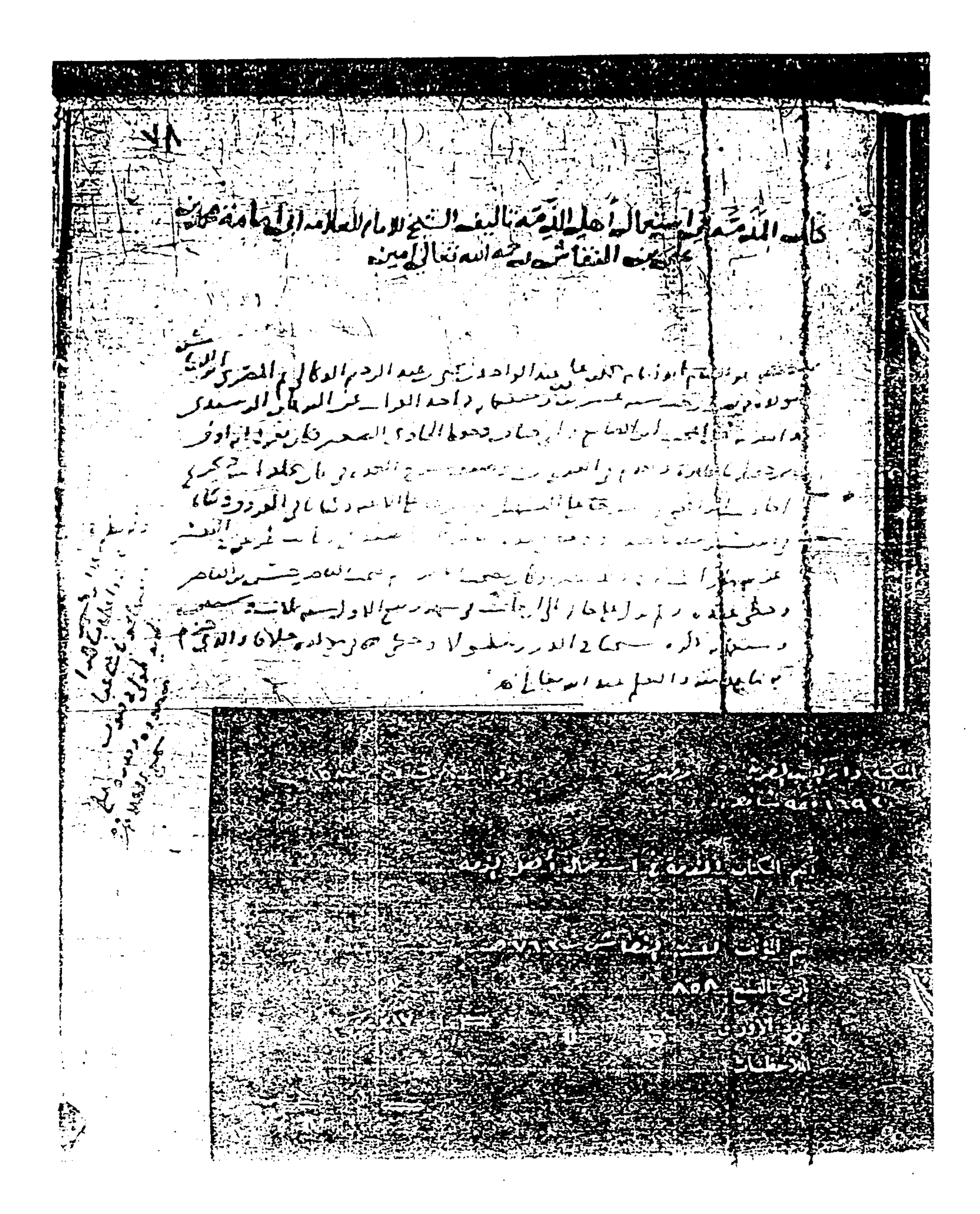
بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ومنه وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

ووافق الفراغ منه في العشرين من

جمادى الأولى سنة ٩٢١

الورقة الأخيرة ويظهر عليها آخر المخطوط واسمه وتاريخ نسخه


كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة تأليف الشيخ الإمام العلامة أبي أمامة محمد بن
علي بن النقاش رحمه الله تعالى آمين

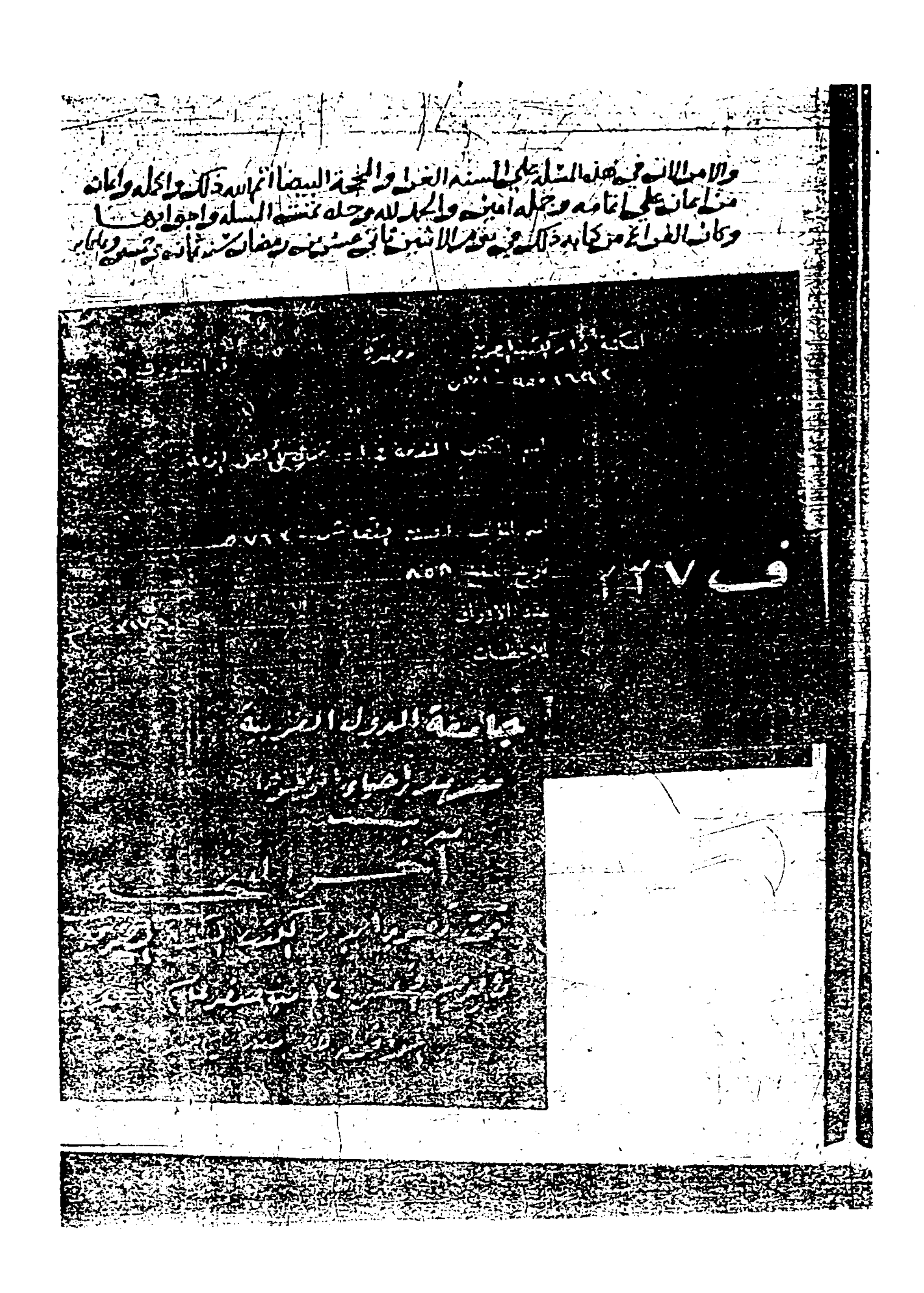
صورة غلاف كتاب المذمة ويظهر عليها اسم الكتاب ومؤلفه وترجمة موجزة لابن النقاش

٧٩

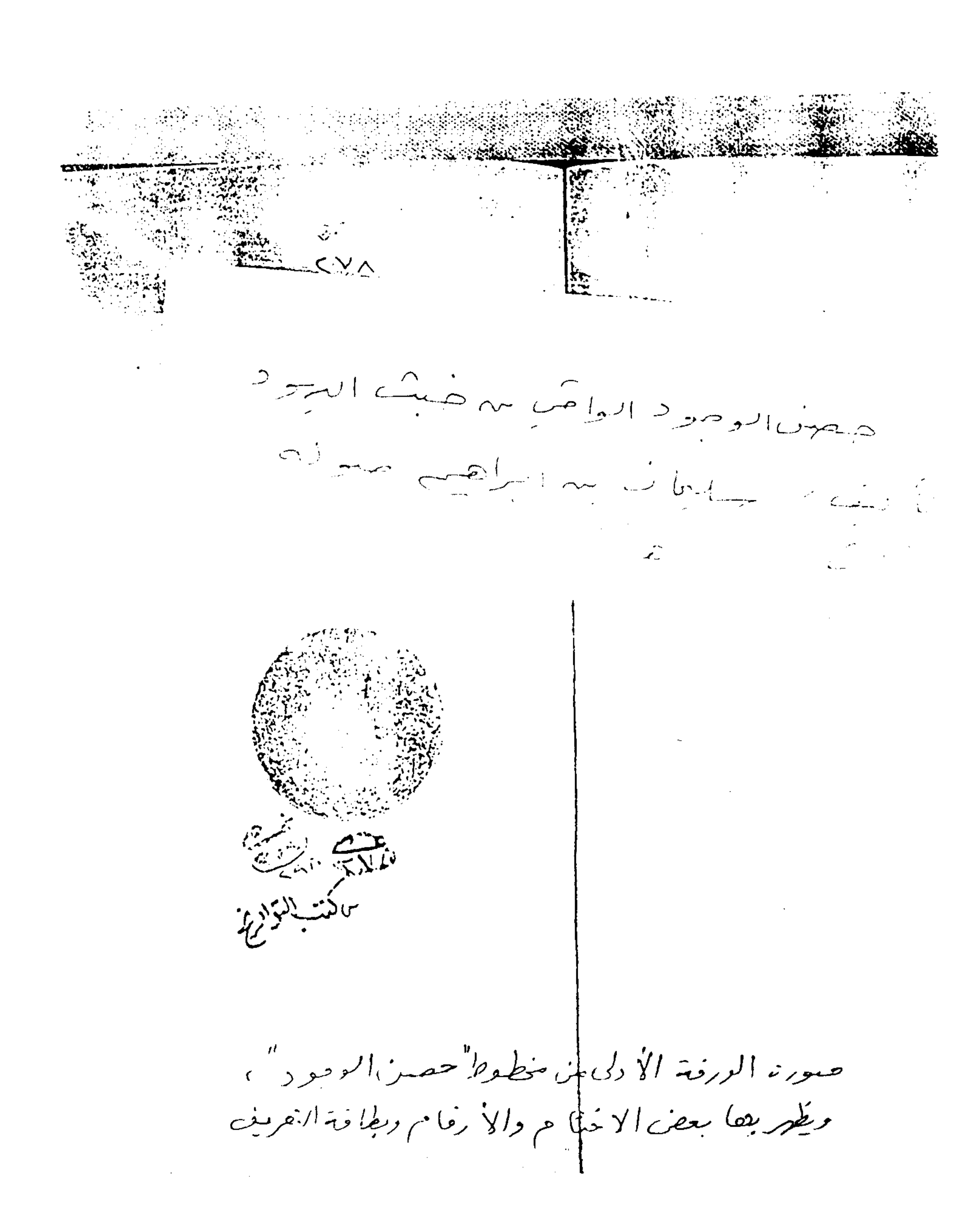
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
سئل الشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين شمس الدين أبو أمامة محمد بن علي الشهير بابن
النقاش رحمه الله تعالى عن استعمال أهل الذمة والاستعانة بهم في الكتابة وعمل
الأمر في البلاد وفي جباية الأموال هل يجوز ذلك أم لا وهل أنكره أحد من علماء
الإسلام أم لا وهل من زمن شهر من الصدر الأول في زمن الخلفاء الراشدين
ومن بعدهم من الأئمة المهديين منعهم وعزلهم عن ذلك أم لا أجاب بأمثاله
الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل اعلم أن الحكم الشرعي في ذلك أنه لا
يجوز وعلى ذلك إجماع المسلمين ولا يجهل أحد من علماء الإسلام إلا ذاكر التحريم ذلك
إما بلفظ التحريم أو بلفظ الكراهة وهاأنا أذكر ما يدل على ذلك من كتاب الله تعالى ثم
ما جرى منه ذلك في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أذكر ما فعله الخلفاء الراشدون والأئمة
المهديون من لدن الصحابة والتابعين إلى زماننا الذي هو في حدود سنة تسع
وتسعين وسبعمائة من السنين أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير
من ربكم الآية وقال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا
من عند أنفسهم الآية وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من
العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير وقال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم
الله نفسه وإلى الله المصير وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم
خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات
إن كنتم تعقلون الآية وقال تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن
تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا الآية وقال تعالى ألم تر إلى
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن
الله فلن تجد له نصيرا الآية وقال تعالى فبشر المؤمنين والآمر بالعذاب الأليم بشر
المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

أيبتغون

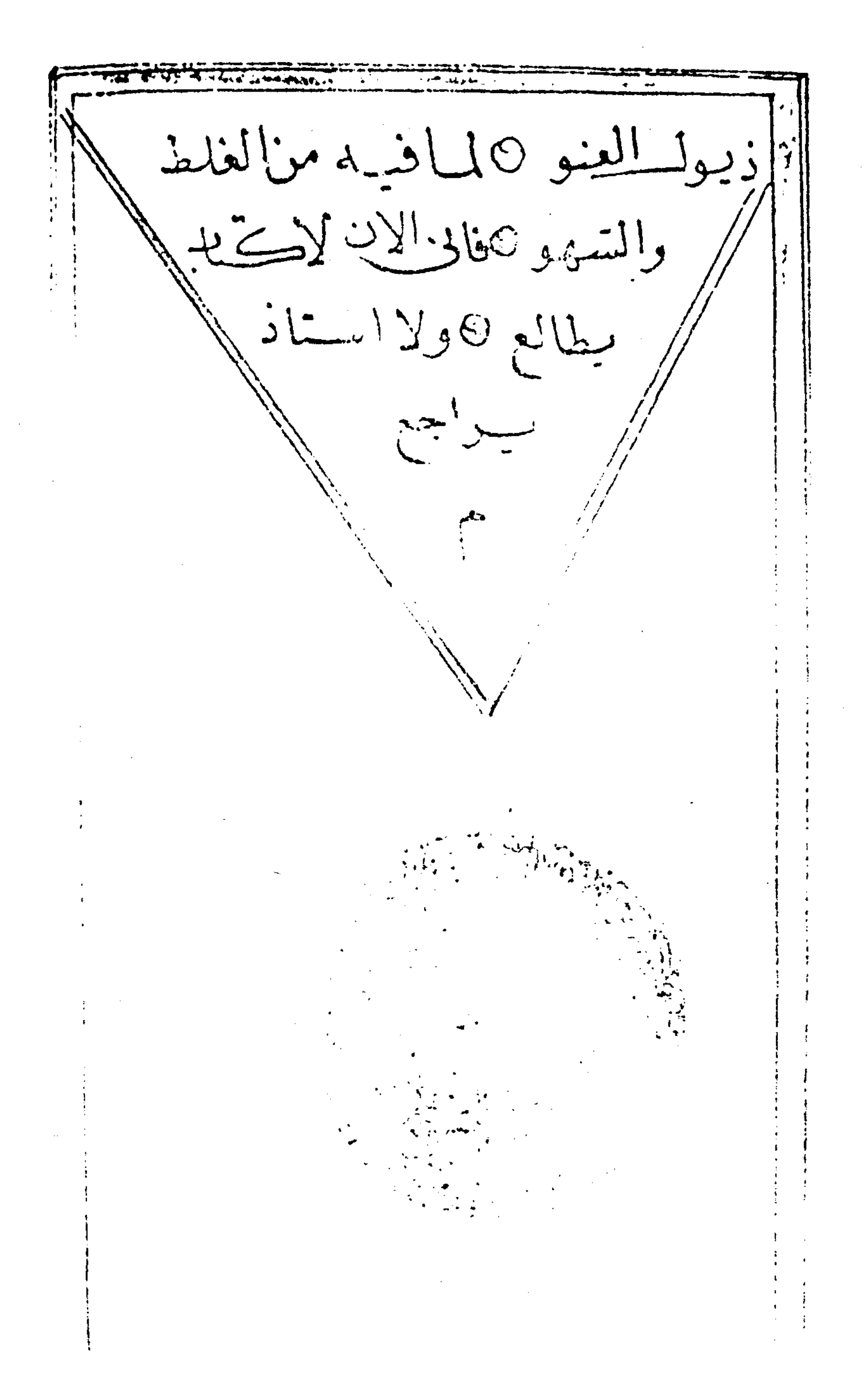
صورة الورقة الأولى من "كتاب المذمة" وبها بداية المخطوط ونسبة مضمونه إلى ابن النقاش



الورقة الأخيرة من "كتاب المذمة "ويظهر عليها آخر المخطوط وتاريخ نسخه



صورة غلاف كتاب "حصن الوجود" ويظهر عليها اسم المؤلف


ذيول العفو لما فيه من الغلط
والسهو فالآن لا كتاب
يطالع ولا استاذ
يراجع
م

صورة الورقة الأخيرة من مخطوط كتاب "حصن الوجود" ويظهر
بها نهاية المخطوط، وخاتم المكتبة المحفوظ بها



تأليف

الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الفتح
المعروف بابن الدريهم المصري الشافعي
المتوفى سنة ٧٦٢هـ

تحقيق

سيد كسروي

بسم الله الرحمن الرحيم(1)
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
[مقدمة الكتاب(2)]

الحمد لله الذي أعز بالإسلام قومًا وأذل به آخرين، ووعد بالزلفى من قام بنصر دينه المبين، أثنى على من ناوى وحادد أعداءه الخاسرين بقوله تعالى: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾(3)

شرف الإسلام على جميع الملل، ونسخ به جميع الشرائع والنحل، وفضل أهله الآخرين على السابقين الأول، وكبت به أعداءه أهل الزيغ والزلل، وذوي الخطأ والخطل(4).

أوعد الكافرين بالخلود في النار، وعذبهم في الدنيا بالقتل العاجل، وإعطاء الجزية على التزام الذلة والصغار(5)، فحقق بذلك ما وصف به عباده المؤمنين بقوله سبحانه وتعالى، وهو أصدق القائلين:

﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار**﴾(6).

---

(1) هذه الورقة هي الورقة الأولى من الكتاب على اعتبار أني لم أعتد بورقة الغلاف أو العنوان.

(2) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية من عمل المحقق -غفر الله له-.

(3) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

(4) الخطل: الحمق، التعجل، والطيش وعدم الاهتداء إلى الهدف بسرعة أو بحكمة وإنما يتخبط نظرًا لعجلته وعدم تأنيه أو ترويه.
والخطل أيضًا الكلام المضطرب الفاسد غير المتراكب، وهو كالهراء.
والخطل أيضًا: ضعف العقل، ورداءة الخلق.
وإذا وصفت به المرأة كان أشنع إذ قد يقصد به القدح في شرفها وعفتها.

(5) في المخطوط: الصغا. بنقصان الراء من آخره، وهو سهو من الناسخ.

(6) سورة الفتح (الآية: ٢٩).

وليشفي به صدور المؤمنين، ويذهب به غيظ قلوب المسلمين، ويخزي به الكافرين، ويقيم به صغر المتكبرين من أعدائه المكابرين: ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون**﴾ (١).

أعز أهل دينه [١/ب] وهداهم وفضلهم على جميع الأمم السالفة.

واجتباهم ومنعهم من هؤلاء الكفار ونهاهم، وحضهم على إذلالهم وعن مخالفة أمره وحماهم، أسمعهم على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- في كتابه المكنون:

﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾ (٢).

أحمده حمدًا يستغرق جميع محامده، وأشكره شكرًا تصفو به المصادر من النعم والموارد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرغم بها المرتاب والمعاند.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي نسخ بشريعته جميع الشرائع، وأفحم بما آتاه من الآيات البينات المعاند له والمنازع، بعثه -صلى الله عليه وسلم- وأهل الكفر في ثياب العزة يهيمون ويرملون (٣)، وقد أطغاهم

(١) سورة الأنفال (الآية: ٣٧).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٢٩).

(٣) يريد يتيهون فخرًا وعزًا وكبرًا وعنجهية وعلوًا واستعلاءً والرمل أصله المشي السريع ومنه الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى في الطواف حول الكعبة وأيضًا بين الميلين الأخضرين بين الصفا والمروة في السعي، وقد استعار الكلمة للوزن ولبيان الفخر في المشي في الأرض مرحًا أو كبرًا.

الإمهال، وغرهم الآمال، فنبذوا كتاب الله وراء الظهور وغرهم بالله الغرور، هذا وأركان الكفر شديدة البناء، ودار الشرك واسعة الفناء، [٢/أ] والشيطان قد عبد من دون رب الأرباب ، واستولى بخيله على ذوي العقول والألباب، ورياح الغي تنشي رعودًا وبروقا، ورايات الكفر والظلم تخفق خفوقًا، فلما: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**﴾(١).

فنهض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما أمره الله به بقوة العزم ، وشدة الحزم، وعادى قومه في ذات ربه -عز وجل-، وأنزل الدمار والبوار بالشيطان وحزبه، حتى ظـــهر نور الإيمان ساطعًا، وأصبح سلطان الإيمان لأسر الكفر قامعًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم بأوامره مؤتمرون، ولنواهيه مزدجرون: ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾(٢).

أما بعد:

فإن الباعث لي على ما ذكرت، والحامل لي على ما وضعت أنني رأيت أعداء الله تعالى النصارى واليهود من أهل الذمة قد تمكنوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وتكبروا على المسلمين وأهانوا أهل الدين، واستحلوا المحارم، وتغلبوا على المسلمين بالمظالم ، وتقووا على الفقراء لصلتهم بالأمـــراء ، حتى لقد رأيتهم يسبون المسلمين [٢/ب] إعلانًا، ويتقربون بأذيتهم وهواهم قربانًا، وتواتر عنهم واشتهر، وبان من فعلهم وظهر فسقهم في حرم المسلمين، وجنايتهم في أموال الموحدين.

وأي عيش يطيب مع هذا الذل العظيم، وأي لذة تستطاب مع هذا

---

(١) سورة الإسراء (الآية: ٨١).

(٢) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

الخطب الجسيم، فالموت في هذا الوقت خير من الحياة الذميمة[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن جملة ما أثار عزمي مع كثرة حزني لهذا الخطب وهمـــي، أنـــي رأيت أهل الحل والعقد عن هذه المصيبة غافلين، وعن القيام فيها متغـــافلين، وخشيت أن يعم العذاب، وينزل المصاب على جميع الخلق لقوله تعالى:

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلمـــوا أن الله شديد العقاب﴾[2].

وقول سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لما ســئل: أنهلـــك وفينا الصالحون؟ قال: "**نعم إذا كثر الخبث**[3]".

أحببت أن أذكرهم ما نسوه من الشريعة، وأعلمهم ما جهلـــوه مـــن أحكامها الرفيعة خشية عقاب الله في الكتمان، ورجاء ثوابه في الإعلان، فإن أخذوا بشريعة الله تعالى ، فهو المراد، وإن عتوا [٣/أ] عن ذلك والعياذ بالله -تبارك وتعالى- باءوا من الله بالبعاد، وأكون أنا وهم كما قال الله تعالى:

﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن الســـوء وأخذنـــا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾[4].

ولأكون من الذين قال فيهم سيد الأولين والآخرين -صلى الله عليـــه

(١) في المخطوط: الذميم، وهو تحريف.

(٢) سورة الأنفال (الآية: ٢٥).

(٣) أطراف هذا الحديث عند: مسلم في الصحيح (١٢٠٧، ١٢٠٨)، الترمذي في الجامع (٢١٨٧)، أحمد في المســـند (٤٢٨/٦)، الحميـــدي في المســـند (٣٠٨)، مالك في الموطأ (٩٩١)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٩/٧)، ابن حجر في الفتح (١٣/٦٠،١٠٦).

(٤) سورة الأعراف (الآية: ١٦٥،١٦٦).

وسلم-: **"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم"**[1].

ولما رأيت مالي في ذلك من الأجر العظيم، ورجوت فضل الله تعالى ونعمته في إزالة هذه الغمة عن هذه الأمة، استخرت الله تعالى في عمل كتاب يشتمل على ما حضرني من كتاب الله تعالى من النهي عن تقريب أهل الذمة وموالاتهم وإعزازهم واستكتابهم وعلوهم على المسلمين، وما يجب عليهم بمقتضى العهد، وما في ذلك من الأحاديث النبوية وآثار السلف، وأقوال العلماء، ما يكشف عن الحقائق ويبين به الفائق من المائق[2]، وأسميته:

"منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب"

ويتم الغرض فيه في ثمانية أبواب تفاؤلاً بأبواب الجنة الثمانية، ليكون لها إن شاء الله سبباً [٣/ب] للوصول وقائداً للدخول وإلى الله تعالى أرغب وإليه أدأب أن يكون خالصاً لوجهه الكريم إنه هو الغفور الرحيم بمنه وكرمه.

---

(١) أطراف هذا الحديث عند : أبي داود في السنن (ب١) ، الترمذي في الجامع الصحيح (٢١٩٢، ٢٢٢٩)، ابن ماجة (٦)، أحمد في المسند (٤/٩٧)، البيهقي في السنن الكبرى (٩/١٨١)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٨٨، ٣١٢)، ابن حجر في المطالب العالية (٤٤١٧، ٤٤١٨).

(٢) الفائق: هو الفائز، المتقدم الناجح المتفوق على أقرانه وعادة ما يكون في الخير والبر والصلاح.

والمائق: هو الهالك الخاسر الأحمق الغبي.

الباب الأول

في النصيحة وحقيقتها ووجوبها.

الباب الثاني

فيما ورد في الكتاب العزيز من النهي عن تقريبهم واستكتابهم وموالاتهم.

الباب الثالث

فيما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين.

الباب الرابع

في صفة العهد المأخوذ عليهم ما يشاكل ذلك.

الباب الخامس

في صفة من يستحق العمل والكتابة للمسلمين.

الباب السادس

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الباب السابع

[٤/أ] في الظلم وسوء عاقبته.

الباب الثامن

في مواعظ وحكايات تزهد في هذه القبائح، وترغب في الدار الآخرة.



وهذا الكتاب وإن شرف مقداره، وكبرت فوائده وعظم وقعه في نفوس المؤمنين فإني أرغب لمن وقف عليه أن يستوفيه مطالعة، فإن الفوائد فيه منتشرة، والجواهر منتثرة، ومطالعته بكماله إن شاء الله تعالى تحصل المقصود، في إبعاد النصارى واليهود، وإن عثر الواقف عليه على غلطة أو هفوة فليصلحها إن قدر وإن أمكنه تأويلها على وجه لائق بالصواب، فليتركها ويقتفي في ذلك سبيل ذوي المكرمات، فليس المقصود من هذا الكتاب، إلا التنفير من أعداء الله تعالى، والتحذير من سوء عاقبة ذلك، ولم أسلك فيه تدقيق المباحث، ولا إغماض العبارة ليفهمه كل من وقف عليه، وليبسط[1] الواقف عليه لي العذر، إذ لم يكن أحد من العلماء صنف في هذا المعنى كتابًا مستقلاً [٤/ب] بل ذكروا فروعاً متفرقة يعسر على المطالع جمعها، ويصعب على الطالب تناولها.

والله أسأل أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب ويجعله سببًا في زوال هذه الغمة عن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، إن شاء الله تعالى، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) يريد يوسع لي في التماس الأعذار التي سببت لي الوقوع في الخطأ.

الباب الأول
[في النصيحة وحقيقتها ووجوبها[1]]

اعلم أيدك الله تعالى أن مما ظهر في الأرض من الفساد، وغدت به قلائد المذلة في رقاب العباد، وخشى من أجله زوال النعم، وحلول النقم، وخراب البلاد، وهلاك العباد استيلاء النصارى على المسلمين أولياء رب العالمين، يتحكمون فيهم ويتكبرون عليهم، ويطعنون في دينهم ويظهرون العزة والأنفة عليهم ويضربونهم ويسبونهم ويفسقون بحرمهم ويفعلون أفعالاً قبيحة منكرة ، وتملكوا البلاد بلطيف الحيلة، وشدة الخديعة والمكر فلا يخرج مرسوم في الغالب إلا بأمرهم، ولا يصدر حكم إلا عن رأيهم، فهم الملوك في المعنى وكلمتهم كلمة واحدة، يتعاونون على أذى المسلمين وإهانتهم ويسومونهم (....[2]) ويطؤنهم بالعنف، ويشفقون[٥/أ] صدورهم من المؤمنين، بإهداء الأذية إليهم بكل ممكن، ويتقوون بالجناية في أموالهم على الفسق في حرمهم، فقد تملكوا المال والحريم، ويتعرضون لحرم المسلمين في الطرقات، فلا يقدر على الإنكار، فإن قوى قلب أحد على الإنكار، بعث إليه النصراني من يسحبه إلى بيت أميره أو إلى شونته ينال منه ما يريد، أو يدخل النصراني على أميره فيقول: يا مولانا، الإنسان يكون عند يهودي يحترم لأجله، فكيف بمولانا؟ أهانني فلان وضربني وحرمني من حرمتك. فهذا إنما اهتضم حق الأمير، فيبعث ذلك الأمير للمسلم من يسحبه ويضربه.

والأمير لا يعلم ما ينال المسلمين، من عدو الله، فيكون ذلك وازعاً

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق وليست في المخطوط، وقد أخذها من أبواب الكتاب السابق ذكرها، والتي التزم بها المؤلف في الأبواب التالية لهذا الباب فربما تكون قد سقطت العنونة هنا من الناسخ والله تعالى أعلم.

(٢) موضع النقط كلمة في المخطوط هذا رسمها (الخسف).

لغيره عن الإنكار ، وحاملاً للنصراني على العتو والاستكبار، وأهل الدولة[1] عن هذه المفاسد مغرضون، وعما ينال أهل الإسلام غافلون أو متغافلون، فالعجب أنهم يقاتلون الأعداء على مسيرة الشهر ويمكنون في بلادهم، فضاقت لذلك صدور الموحدين، واشتد بلاؤهم، وعظمت مصيبتهم وقوى ضررهم [٥/ب] واشتدت البلية، وأهين أهل الملة المحمدية[2]، ومن أعدائهم شر البرية.

ولا عجب من هذا فحقيق بالعدو إذا ظفر بعدوه أن يذيقه من النكال ما لا يخطر له ببال.

وخشيت أن يغضب الله تعالى لأوليائه فيظهر الانتقام ممن يمكنهم، وينزل العقوبة بمن حكمهم، فحملتني الشفقة على المسلمين والنصح لطوائف الموحدين، أن أبذل لهم النصح، ورجوت في زوال هذه الشدة النجح، فالنصيحة سنة المرسلين، وطريقة الصحابة والتابعين، والعلماء والصالحين.

قال الله تعالى إخبارًا عن صالح عليه السلام: ﴿**ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين**﴾[3].

وقال تعالى إخبارًا عن شعيب عليه السلام: ﴿**ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين**﴾[4].

وقال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم**﴾[5].

---

(١) يريد الأمراء، والوزراء، وأهل الحل والعقد في ديار المسلمين.
(٢) الأولى أن يقول الشريعة الإسلامية أو ما شبه ذلك فليست هذه عبارة محببه، ويمكن أن يقال أمة محمد صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.
(٣) سورة الأعراف (الآية: ٧٩).
(٤) سورة الأعراف (الآية: ٩٣).
(٥) سورة هود (الآية: ٣٤).

وقال: ﴿**وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾[(١)].

وقال تعالى إخبارًا عن هود عليه السلام: ﴿**وأنا لكم ناصح أمين**﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿**ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل**﴾[(٣)].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**إن العبد إذا نصح لسيده [٦/أ] وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين**"[(٤)].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: "**إن الدين النصيحة**" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"[(٥)].

وقال الأئمة[(٦)]: النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين واجبة.

قال الإمام أبو سليمان البستي[(٧)] رحمه الله تعالى: النصيحة كلمة يعبر

---

(١) سورة الأعراف (الآية: ٦٢).

(٢) سورة الأعراف (الآية: ٦٨).

(٣) سورة التوبة (الآية: ٩١).

(٤) أطراف هذا الحديث عند: مسلم في الصحيح (في الإيمان ٤٣)، أبي داود في السنن (٥١٦٩)، البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٨)، البخاري في الأدب المفرد (٢٠٢)، البغوي في شرح السنة (٣٤٤/٩)، المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤/٣).

(٥) أطراف هذا الحديث عند: النسائي في المجتبى (١٥٧/٧)، أبي داود في السنن (٤٩٤٤)، أحمد في المسند (١٠٢/٤)، ابن حجر في تغليق التعليق (٥١)، السيوطي في الدر المنثور (٢٦٧/٣)، (٦٧/٧)، الطبراني في الكبير (٤١/٢)، المنذري في الترغيب والترهيب (٥٦٧/٢)، العجلوني في كشف الخفا (٢٦٤/١)، ابن عدي في الكامل (٨١٨/٢).

(٦) يريد العلماء.

(٧) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧): الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب.
=

بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها.

ومعناها في اللغة: الإخلاص من قولهم: نصحت العسل إذا خلصته من الشمع.

وقال غيره: النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملامة مأخوذة من النصاح، وهو الخيط الذي يخاط به الثوب.

فنصيحة الله تعالى: صحة الاعتقاد له بالوحدانية، ووصفه بما هو ظاهله وتنزيهه عما لا يجوز له، والرغبة في نجاته والبعد من مساخطه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عاداه، والجهاد في رد العصاة لله قولاً وفعلاً، والإخلاص في عبادته، فهذه نصيحة الله تعالى.

=

-قلت: ويقال: أحمد بدل حمد-.

البستي، الخطابي، صاحب التصانيف ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة.

... وأخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال الشاشي، وأبي على ابن أبي هريرة، ونظرائهم.

... قلت (أي الذهبي): وله شرح الأسماء الحسني، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله، وغير ذلك أخبرنا أبو الحسن، وشهدة قالا: أخبرنا جعفر أخبرنا السلفي، أخبرنا أبو المحاسن الروياني سمعت أبا نصر البلخي سمعت أبا سليمان الخطابي، سمعت أبا سعيد بن الأعرابي ونحن نسمع عليه هذا الكتاب- يعني سنن أبي داود- يقول: لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم البتة.

قال أبو يعقوب القراب:

توفي الخطابي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين، وثلاثمائة.

والنصيحة لكتابه:

الإيمان به، والعمل بما فيه، وتحسين تلاوته، والتخشع عنده، والتعظيم له، وفهمه، والتفقه فيه، والذب عنه من تأويل الغالين، وطعن الملحدين، فهذه نصيحة كتاب الله.

والنصيحة لرسوله:

التصديق [٦/ب] بنبوته، وبذل الطاعة له فيما أمر ونهى، ونصرته ومؤازرته ، والحماية من دونه(١) حيًا وميتًا، وإحياء سنته بالطلب لها، وإحياء طريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة، والتخلق بالأخلاق الطاهرة.

والنصيحة للأئمة:

معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة، وتعليمهم ما ذهلوا عنه، وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء، وإعلامهم بفساد عمالهم، وسيرتهم في الرعية، وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم.

والنصح لجماعة المسلمين:

الشفقة عليهم وتوقيرهم، والرحمة لصغيرهم، وتفريج كربتهم، ودعوتهم إلى ما يسعدهم، وتوقي ما يشغل خاطرهم، ويفتح باب الوسواس عليهم.

وقيل: نصيحة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها، والحض عليها، والدعوة إلى الله، وإلى كتابه وإلى رسوله وإلى العمل بها.

---

(١) يريد الذب والدفاع عنه -صلى الله عليه وسلم-.

وقال أبو الدرداء[1] رضي الله عنه:

العلم يبلغه البر والفاجر، والنصيحة لله سبحانه لا تثبت إلا في قلوب المحسنين الذين صحت عقولهم، وصدقت نياهم.

واعلم: [٧/أ] أن جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا ذوو العزم وأهل الحزم.

وكان: عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي.

وروي عنه أنه قال: أنشد الله رجلاً علم بي عيبًا إلا أعلمني به. فقام إليه رجل فقال: فيك عيبان اثنان. فقال: وما هما رحمك الله؟ فقال: تذيل بين البردين، وتجمع بين إدامين. فما أذال بين بردين، ولا جمع بين إدامين حتى لقى الله -عز وجل-.

ومعنى تذيل: أي تجمع بين ذيلي البردين.

---

(١) هو صحابي مشهور بكنيته، ويقال له حكيم الأمة، ويقال اسمه عامر، ويقال عويمر (بالتصغير) وقيل بل عويمر لقب وكذا اختلف في أبيه فقيل : عامر، أو مالك ، أو ثعلبة، أو عبد الله، أو زيد وجده قيس بن أمية بن عامر بن عدي ابن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي وقد أسلم يوم بدر وشهد أحدًا ، وغيرهما، راجع ترجمته بتمامها في الإصابة (٤٦/٥).

وقال ميمون بن مهران[1]: قال لي عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧١/٥): الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي اعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة فنشأ بها، ثم سكن الرقة ... قيل إن مولده عام موت علي -رضي الله عنه- سنة أربعين.

وثقه جماعة ، وقال أحمد بن حنبل: هو أوثق من عكرمة روى سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال: هؤلاء الأربعة علماء الناس في زمن هشام ابن عبد الملك: مكحول، والحسن، والزهري، وميمون بن ميمون.

وروى إسماعيل بن عبيد الله عن ميمون بن مهران قال: كنت أفضل علياً على عثمان. فقال لي عمر بن عبد العزيز: أيهما أحب، رجل أسرع في الدماء، أو رجل أسرع في المال؟

فرجعت وقلت: لا أعود. وقال: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فلما قمت، قال: إذا ذهب هذا وضرباؤه، صار الناس بعده رجراجة.

(قلت: يريد يصيرون رعاعا وجهلة).

... قال ابن سعد، وأبو عروبة وغيرهما: توفي سنة سبع عشرة ومئة.

وقال شباب: سنة ست عشرة رحمه الله.

ومن مصادر ترجمته:

طبقات ابن سعد (٤٧٧/٧)، طبقات خليفة (٣١٩)، تاريخ الفسوى، طبقات الشيرازي (٧٧)، تهذيب الكمال (١٣٩٦)، العبر (١٤٧/١)، تاريخ الإسلام (٨/٥)، تذكرة الحفاظ (٩٨/١) شذرات الذهب (١٥٤/١) وغير ذلك.

وقال مالك [بن أنس[1]] رضي الله عنه:

النصيحة لله تعالى في أرضه هي التي بعث الله تعالى إليها أنبياءه، ومن أمر الإسلام القصد والنصيحة لعباد الله عز وجل في أمورهم.

واعلم: أن النفوس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله، مائلة إلى ما يوافق هواها.

وفي منثور الحكم: ودك من نصحك، وقلا من مشى في هواك.

وللثعالبي[2]: من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

---

(١) هو: مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثل ابن عمرو بن الحارث (ذو أصبح) بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة (حمير الأصغر) أبو عبد الله الحميري، الأصبحي، المدني، إمام المذهب.
وشهرته: الإمام مالك. ويقال: إمام دار الهجرة.
ولد سنة: (٩١)، وقيل: (٩٣)، وقيل (٩٤)، توفي سنة: (١٧٩) في (١٤) ربيع الأول، وهو أحد أئمة المذاهب المتبعة في العالم الإسلامي، وإليه تنسب المالكية، ولد بالمدينة وكان بعيداً عن الأمراء والملوك، فوجه إليه هارون الرشيد ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى ولا يأتي فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار فقال مالك: يا أمير المؤمنين، من إجلال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-إجلال العلم. فجلس بين يديه، فحدثه.
ومن كتبه: الموطأ في الحديث، وقد نال شهرة واسعة، رسالة إلى الرشيد، رسالة إلى المواعظ، رسالة في الرد على القدرية، كتاب المسائل، كتاب في النجوم، كتاب غريب القرآن.
راجع ديوان الإسلام بتحقيقي (١٧٩٩)، سير أعلام النبلاء (٤٨/٨)، وغير ذلك كثير جداً تجده بهامش المرجعين السابقين.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٣٧/١٧): أما الثعالبي العلامة شيخ الأدب، فهو أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل النيسابوري، الشاعر. =

ويقال: أخوك من أحتمل ثقل نصيحتك.

واعلم أن رأى غيرك خير من رأيك، لأنه خالٍ من هواك.

وقال [٧/ب] أبو الدرداء –رضي الله عنه–: إن شئتم لأنصحن لكم: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون عباد الله إلى الله، ويحببون الله عزو وجل إلى عباده ويعملون في الأرض نصحًا.

روى أنس –رضي الله عنه–: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**(١).

=

مصنف كتاب: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وكتاب: سحر البلاغة.

وكان رأسًا في النظم والنثر.

مات سنة ثلاثين، وأربعمائة، وله ثمانون سنة.

ومن مصادر ترجمته:

طبقات النحويين واللغويين (٣٨٧)، دمية القصر (٢/٦٦)، الذخيرة في محاسن الجزيرة القسم الرابع المجلد الثاني (٥٦–٥٨٣)، نزهة الألباب (٣٦٥) ، وفيات الأعيان (٣/١٧٨) ، المختصر في أخبار البشر (٢/١٦٢)، العبر (٣/١٧٢)، عيون التواريخ (١٢/١٧٩)، تتمة المختصر (١/٥٢١)، مرآة الجنان (٣/٥٣)، البداية والنهاية (١٢/٤٤)، مفتاح السعادة (١/١٨٧)، معاهد التنصيص (٣/٢٦٦)، شذرات الذهب (٣/٢٤٦)، روضات الجنات (٤٦٢)، هدية العارفين (١/٦٢٥).

(١) أطراف هذا الحديث عند: البخاري في الصحيح (١/١٠)، مسلم في الصحيح (كتاب الإيمان باب ١٧ رقم ٧١)، الترمذي في الجامع الصحيح (٢٥١٥)، النسائي في المجتبى (٨/١١٥،١٢٥)، أحمد في المسند (٣/١٧٦)، الدارمي في السنن (٢/٣٠٧)، الترغيب والترهيب (٢/٥٧٨)، البغوي في شرح السنة (١٣/٦٠)، أبي عوانة في المسند (١/٣٣)، ابن ماجة في السنن (٦٦).

ويقال في الأمثال السائرة[1]:

المحبة تقتضي النصح.

وتجد المحب لا يريد لمحبوبه إلا فوق ما يريده لنفسه.

فالمسلم بطبعه يحب المسلمين، ويحب إيصال المنفعة إليهم بكل طريق.

واعلم: أن الإنسان لا يقدر أن ينصح لكل واحد من المسلمين على حدته لتعذر ذلك عليه، فينبغي له إذا أراد نصح المسلمين كافة أن ينصح لملكهم ولأرباب دولته وينبههم على ما يقربهم إلى الله عز وجل، ويحذرهم عقابه، ويعلمهم ما يفضي بهم إلى رضا ربهم عز وجل، فبصلاحهم تصلح العامة، وترشد الكافة.

فحق على جميع الورى أن يمدوا السلطان بالمناصحات، وأن يخصوه بالدعوات ويعينوه على سائر المحاولات.

وإذا اطلعوا على أمر فيه ضرر للمسلمين وهو غافل عنه أعلموه به، ونبهوه عليه، وأيقظوه له، وسألوا الله تعالى أن يقوي عزمه على إزالته، وينجح قصده في محاولته، ويكونوا له عيونًا ناظرة، [٨/أ] وأيد باطشة، وجثثًا واقية، وألسنة ناطقة، وهيهات له السلامة مع ذلك[2].

---

(١) أقوم الآن بإعداد موسوعة في الأمثال العربية والعامية أسميتها: (على رأى المثل) وقد انتهيت من الجزء الأول منها ودفعت بـــه إلى الطباعة، وستحوى -بمشيئة الله تعالى- حوالي من عشرين ألف مثل عربي وعامي الربع تقريبًا عاميّ والباقي عربي ، وقد نظمتها على حروف المعجم وشرحت ما ورد في كتب الأمثال من الأمثال المولدة، والتي لم يتطرق أحد لشرحها من قبل والله أسأل أن يعينني على إتمامها آمين.

(٢) وقد قيل عن الإمارة: نعم المرضعة، وبئس الفاطمة.

وقد رفض بعضهم التولي حتى يتجنب مرارة الخلع.

وينبغي للملك:

إذا أراد استقامة ملكه، وصلاح دينه ودنياه أن يتخذ العلماء شعارًا، والصلحاء دثارًا، فتدور المملكة بين نصائح المسلمين العلماء، ودعاء الصلحاء، فيستقيم له سلطانه،ويتم له ما يؤمله.

فإن سياسة الشرع خير من سياسة العقل، إذ العقل لا اطلاع له على العاقبة في الحقيقة، فربما رأى شيئًا حسنًا وهو قبيح، وربما رأى شيئًا قبيحًا وهو حسن كما قال تعالى: **﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**(1).

ففي اتباع ما أمر الله به، وتجنب ما نهى عنه صلاح الدنيا والآخرة إذ هو عالم بالعواقب تعالى.

فإذا سلم العبد القيادة له نجاه من كل مكروه، وساق إليه كل محبوب.

وينبغي للملك:

أن يتفقد أمر رعيته صغيرها وكبيرها، فإن في نظره في صغار الأمور مصالح تعود إلى خطير الأمور، ألا ترى أن الله تعالى اتى سليمان بن داود عليهما السلام ملك الدنيا والطير والوحش والإنس والجن: **﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد﴾**(2).

ولأن [8/ب] التهاون في اليسير أساس الوقوع في الكبير.

وربما ذكر لبعض الجهال أمر النصارى، وقبيح طريقتهم ، وذميم ماهم عليه من أذى المسلمين.

فيقول: النصارى أقل وأخس من أن يتحدث فيهم(3).

---

(1) سورة البقرة (216).

(2) سورة النمل (الآية: 20).

(3) يراعى أن الحكيم الشاعر قال: معظم النار من مستصغر الشرر

وهذا غلط كبير يفضي إلى فساد كثير، بل ينبغي للعاقل أن يحذر صغير أعدائه ولا يهمله، فإنه ربما كبر الصغير، وعظم الحقير، قال الشاعر:

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيْرًا فِي مُخَاصَمَةٍ   إِنَّ الذُّبَابَةَ أَدْمَتْ مُقْلَةَ الأَسَدِ

فإذا ثبت هذا:

فطاعة الأئمة في الحق واجبة هو معونتهم فيه وأمرهم به، وترك الخروج عليهم وإعلامهم بما فيه ضرر على رعيتهم مما لا إطلاع لهم عليه ولا علم لهم به، فيجب على الناس كافة لإمامهم، ومن قدر على ذلك ولم يفعله كان خارجًا عن الجماعة، منسلخًا من الطاعة، غاشًا للمسلمين ولأئمتهم، مخالفًا لربه، ناصرًا للشيطان وحزبه، نعوذ بالله العظيم من ذلك.

وأما النصح لعامة المسلمين:

فهو إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل، وتنبيه غافلهم، وتبصير جاهلهم، ورفد محتاجهم، وستر عوراتهم، وكف الأذى عن جميعهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع إليهم.

قال[٩/أ] جابر بن عبد الله[١] **رضي الله عنهما**: بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة، فلقنني: "**فيما استطعت والنصح لكل مسلم**".

---

(١) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وهو صحابي مشهور له رواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن مصادر ترجمته:
طبقات خليفة (ت٦٢٣)، المحبر (٢٩٨)، مشاهير علماء الأمصار (ت٢٥)، المستدرك (٥٦٤/٣)، الاستيعاب (٢١٩)، تذكرة الحفاظ (٤٠/١)، العبر (٨٩/١)، غير ذلك كثير منها سير أعلام النبلاء (١٨٩/٣) والذي فيه: الإمام الأكبر المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه. =

ورحم الله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لقد أخذ بحظه من هذا الباب.

روى عنه الأصمعي قال: لقط عمر بن الخطاب نواة من الطريق فأمسكها بيده حتى مر بدار قوم فألقاها في الدار، وقال: تأكلها دجنهم.

وروى أن رجلاً لطم إبراهيم بن أدهم[1] فرفع رأسه إلى السماء وقال:

=

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا.

روى علمًا كثيرًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعن عمر، وعلي، وأبي بكر، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزبير، وطائفة.

وفي وقت وفاة جابر كان الحجاج على إمرة العراق، فيمكن أن يكون قد وفد حاجًا أو زائرًا. وقال الواقدي، ويحيى بن كثير: مات سنة ثمان وسبعين، وقال أبو نعيم: سنة سبع وسبعين.

قيل: إنه عاش أربعًا وتسعين سنة، وأضر بأخرة.

(١) هو: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد، أبو إسحاق العجلي.

الزاهد المشهور، طبقت شهرة آفاق الدنيا في الزهد والورع، وضرب بزهده وورعه المثل.

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء بعد أن ذكر اسمه (٣٨٧/٧):

القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي، الخراساني، البلخي، نزيل الشام. مولده في حدود المئة. قال النسائي: هو ثقة مأمون، أحد الزهاد وعن الفضل بن موسى قال: حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته، فولدت له إبراهيم بمكة. وعن يونس البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب، والجنائب والبزاة (أي صيد الباز والصقور) فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا**﴾، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة.

=

اللهم إني أعلم أنك تثيبني وتعاقبه، فلا تثيبني ولا تعاقبه.

فانظر كيف آثر مصلحة أخيه المسلم على مصلحته في وقت غضبه.

فهؤلاء هم المؤمنون حقًا، لا جرم أن الله تعالى رفع قدرهم، وأشاد ذكرهم.

ودخل بعض الناصحين لله ورسوله:

على بعض الخلفاء، فوجد عنده رجلاً من أهل الذمة، وكان الخليفة يميل إليه ويقربه، فقال:

يَا مَلِكًا طَاعَتُهُ لاَزِمَةٌ   وَحُبُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبُ

إِنَّ الَّذِي شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ   يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبُ(١)

فسله يا أمير المؤمنين عن ذلك، فسأله، فلم يجد بدًا من أن يقول هو صادق فاعترف بالإسلام.

وسأذكر أمرًا: طيش عقلي، وبلبل حزقي، وألجأني إلى ما [٩/ب] ذكرته، وأجعله خاتمة الباب، وذلك أني تذاكرت مع بعض العقلاء يومًا فيما انتهى إليه أمر النصارى من نكاية أهل الإسلام، وفيما يتعاطونه من القبائح والفضائح، وبلغنا من ذلك مبلغًا من سوء فعالهم وقبيح أفعالهم يضيق هذا المختصر عن ذكره، ويفوت الغرض بنشره ويستغنى عن أخباره بخبره.

فقلت: لو اطلع السلطان -أيده الله- على قبيح سيرتهم، وذميم طريقتهم لاستأصلهم ولم يبقهم.

=

فنزل عن دابته، ورفض الدنيا. توفي سنة اثنين وستين ومائة. وقبره يزار.

قلت: وقد ألفت في سيرته المؤلفات وشاع ذكرها وكثرت أخباره ليس هذا مقام بسطها.

(١) يريد بالذي شرفت من أجله: محمد -صلى الله عليه وسلم-.

فقال لي: لا يقدر السطان على تغييرهم.

فأنكرت قوله إنكارًا عظيمًا، ورددت عليه قوله ردًا عنيفًا.

فقال: أنا أبين ما ذكرت، وأعرب عما التزمت وذلك أن كل واحد من الأمراء يعتقد أنه لا ينضبط ماله ولا ينصلح حاله إلا باستخدام نصراني[1].

فإذا كانوا كلهم على هذه الصورة ، وأشاروا كلهم على السلطان ببقائهم، وإن علم السلطان فساد رأيهم في ذلك ما تمكنه مخالفتهم، ولا يغضب أكابر عسكره لأجلهم.

فرأيت ما قاله ليس ببعيد في العقول لما رأيت من تمكنهم عند أكابر[2] الدولة.

فانظر هؤلاء الخبثة الخونة كيف تمكنوا في البلاد، حتى يقال: لا يقدر السلطان على تغييرهم.

فلا يؤمن [١٠/أ] منهم أن يتعدوا إلى ما هو أشد من هذا، فإنهم إذا تمكنوا وهم وزراء سوءٍ اطلعوا على أمور الدولة وبواطنها، فكاتبوا بذلك

---

(١) وذلك أنهم كانوا في العصر الذي يتحدث عنه المؤلف كانوا يجيدون الحساب والطب وبرعوا فيه أيما بروع غير أن الأوضاع الآن قد تغيرت تمامًا فمن المسلمين من وصل في الطب شأوًا لا يحلم بهم أعلم علماء النصارى ، وكذا في علوم الحساب والفيزياء كأحمد زويل العالم المسلم المصري صاحب أشهر اكتشاف علمي الفمتو ثانية، وهو اكتشاف باعتراف كل علماء الأرض لا يضارع حتى الآن.

فاعتماد بعض القيادات عليهم في هذه الأيام قد يكون اعتمادًا أساسيًا لا اعتمادًا علميًا ولا لحاجة المسلمين لمثل علومهم.

(٢) في المخطوط: الأكابر ، وهو تحريف، وربما يكون سقط لفظ (في) بين هذه الكلمة والتي بعدها من المخطوط والله أعلم.

الأعداء وأظهروهم على عورات المسلمين، وأمدوهم بالأموال التي جمعوها من أموال المسلمين.

كما فعل وزير صاحب بغداد، وأتلف من المسلمين ما لا يعد ولا يحصى.

وهذه نصيحة وجب على ذكرها والتنبيه عليها والإعلام بها، لعل أن يستيقظ أرباب الدولة من هذه الغفلة، وينتبهوا من هذه النومة.

وعسى الله أن يفتح لهذا الأمر من يقوم به ويريح الله المسلمين على يديه من هذه الداهية الدهياء، والداء العياء جعلنا الله من الناصحين لأهل الدين، وباعد بيننا وبين أعدائه الكافرين، وأدخلنا في زمرة عباده المؤمنين، إنه متولي الصالحين، ورب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



الباب الثاني
في
ما ورد في الكتاب العزيز من النهي عن تقريبهم واستكتابهم وموالاتهم(١)

اعلم أيدك الله:

أن من لطف الله تعالى بالمسلمين، ورأفته بهم وفضله عليهم وبرهن بهم حذرهم من أعدائهم ونهاهم عن وصلهم، وأمرهم [١٠/ب] بمقاطعتهم، وحضهم على مباعدتهم، لعلمه تعالى بقبح سرائرهم، واضمارهم للمسلمين العداوة والبغضاء وفساد نياتهم، وقبح طوياتهم، وغيظ قلوبهم، وعيبهم للمسلمين ورداءة سرائرهم، كل ذلك دفعًا لمكائد الأعداء، وتحذيراً من مكاتبتهم، وبين ذلك ونبه عليه وصرح به في غير ما آية من كتابه رأفة منه بأوليائه وأحبابه، وتكرر النهي فقي ذلك تكرارًا كثيرًا تعظيمًا لأمره، وتفخيمًا لضرره، وتفضلاً على عباده.

فنُبذ كتاب الله، واشتدت البلوى، وعظم البلاء، وضاقت الصدور، وفسدت الأمور بتقريب أعداء الله تعالى، ومخالفة أمر الله تعالى بموالاة أعدائه واستكتابهم، ومشاورتهم(٢) في أمور المسلمين، واستعلائهم على المؤمنين، يتحكمون فيهم بأهوائهم.

وسمعت الله عز وجل يقول: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾(٣).

---

(١) وضع المؤلف -رحمنا الله- وإياه العناوين للأبواب من أول هذا الباب إلى نهاية الكتاب حسب ما ذكره بآخر المقدمة.

(٢) في المخطوط: ومساورتهم، بالسين المهملة، وهو تحريف.

(٣) سورة الذاريات (الآية: ٥٥).

فذكرت ما حضرني مما في كتاب الله تعالى العزيز من الآيات في هذا المعنى ما يسر لي ذكره ولم ألتزم حصر ما وقع في الكتاب العزيز ولا الاستنباط من الغوامض، وإنما أذكر ما فيه تصريح أو تلويح ظاهر.

وذكرت في كل آية ما فسرها به العلماء، متوخيًا في ذلك الإيجاز والاختصار دون التطويل والإكثار.

قوله تعالى: ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾[1].

[١١/أ] وروى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "**المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى**"[2].

وقد أمرنا الله تعالى أن نسأله في كل يوم وليلة مرارًا كثيرة في عدد ركعات الصلوات أن يجنبنا طريقهم ولا يسلك بنا سبيلهم.

فكيف تسوغ موادهم مع ذلك؟ وقد ذمهم الله تعالى بأقبح ذم بالغضب والضلال.

فمن غضب الله عليه وأضله ينبغي تجنبه حسب ما أمكن، والبعد منه غاية.

وكفى بهذه الأمة توبيخًا وذمًا، فلو لم يرد في ذمهم سوى هذه الآية كانت كافية في تجنبهم، وازعة[3] عن موادهم.

---

(١) آخر سورة الفاتحة (الآية: ٧).

(٢) أطراف هذا الحديث عند: ابن حجر في الفتح (١٥٩/٨)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨/١)، السيوطي في الدر المنثور (١٦/١)، القرطبي في التفسير (١/ ١٤٩)، ابن كثير في التفسير (٤٦/١).

(٣) أي دافعة ورادعة في الزجر عن التعامل معهم بهذه الصورة التي يجعلهم على رقاب المسلمين وتقديمهم عليهم ورفع شأنهم وقد خفضه الله تعالى، كـــل

واعلم أن الأدب اللائق بجلال الله تعالى متعذر منا. فمن لطف الله تعالى بنا أمرنا أن نتأدب معه كما نتأدب مع أكابرنا، ونحن نرى الملك إذا غضب على شخص لا يقدر أحد يوادده، ولا يجتمع به خشية من غضب الملك عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم**﴾[1].

وقال تعالى إنكارًا على فاعل ذلك ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضبً الله عليهم**﴾[2].

تعجبًا وإنكارًا لفعلهم، ثم توعد على ذلك بالعذاب الشديد، فكيف وقد قال تعالى: ﴿**فإن الله عدو للكافرين**﴾[3].

أخبر الله تعالى أنه عدو هذه الطائفة.

من كان الله تعالى عدوه وجبت أهانته وإبعاده [١١/ب] وطرده والنفور منه والتشاؤم به، فلو أن السلطان نصره الله تعالى مثلاً يقول لأرباب الدولة ولرعيته فلان[4] عدوي.

هل يقدر أحد أن يجتمع به، أو يوادده، أو يخلو به، أويشاوره في أمر من الأمور كل ذلك من خشية السلطان أن ينتقم منه أو يحل به العقوبة، أو ينزل به النقمة، فينبغي أن نحذر عقاب الله تعالى من تقريب أعدائه.

=

هذا في غير إذلال ولكن لإشعارهم دائمًا أنهم ليسوا أهل البلد فقط وليسوا أهل الحل والعقد فيه.

(١) سورة الممتحنة (الآية: ١٣).

(٢) سورة المجادلة (الآية: ١٤).

(٣) سورة البقرة (الآية: ٩٨).

(٤) تكرر هذا اللفظ في المخطوط، فحذفت التكرار.

فسبحان الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة، انظر بعقلك إلى ما أنزل الله تعالى في محكم الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يترل عليكم من خير من ربكم**﴾ [(١)].

أخبر تعالى أن هذه الطوائف صفتهم أهم لا يحبون للمسلمين خيرًا، وخبر الله تعالى حق.

فهل بعد هذا الإنذار عناية؟!!

فلو أخبرك رجل صالح ممن تعتقده: أن فلانًا لا يريد لك خيرًا، أبعدته عنك وحذرت منه، ولم تطلعه على سرك، ولم تستشره في أمورك، وكثير من جهال المسلمين يعتقدون أن النصارى أعلم من المسلمين بمباشرة الخدم، ويغفلون عن هذه الآية.

فلو كان الأمر على مايظنون لامتنعت ولايتهم بهذه الآية، فإهم يغشون ولا ينصحون، لأهم لا يريدون خيرًا، ولا يقوم نفعهم بضررهم، فهم كما قال الله تعالى في الخمر والميسر: ﴿**وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ [(٢)].

وكما قال تعالى: ﴿**يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير**﴾ [(٣)].

والمسلمون أخبر وأذكى وأعلم وأهدى، لأن الله تعالى يقول: ﴿**والله ولي المؤمنين**﴾ [(٤)]، ﴿**الله ولي الذين آمنوا**﴾ [(٥)] قيل: ناصرهم، وقيل: محبهم.

وقيل: متولي أمرهم لا يكلهم إلى غيره.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٠٥).

(٢) سورة البقرة (الآية: ٢١٩).

(٣) سورة الحج (الآية: ١٣).

(٤) سورة آل عمران (الآية: ٦٨).

(٥) سورة البقرة (الآية:٢٥٧).

قيل: هؤلاء ينبغي ولايتهم رجاء بركتهم، واعتمادًا على ثناء الله عليهم.

فلو وجدت منهم خيانة -والعياذ بالله تعالى- أولى من نفع الكفار.

تيقظ لقوله تعالى: ﴿**ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**﴾ [1].

ثم قال تعالى: ﴿**أولئك يدعون إلى النار**﴾ [2]؛ لمخالفتهم ومشاقتهم.

﴿**والله يدعو إلى الجنة**﴾ [3]، إلى عمل يوصل إليها[4].

﴿**ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون**﴾ [5]، يتعظون.

وقوله عز وجل: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاه ويحذركم الله نفسه وإلى[6] الله المصير**﴾.

وهذا النهي عن الاتخاذ، إنما هو فيما يظهره المرء، فأما أن يضمر ولا يتهم، فلا يفعل هذا مؤمن، والمنهيون عنها قد قرر لهم الإيمان فالنهي إنما هو عن إظهار الميل للكفار واللطف بهم.

قوله تعالى: ﴿**فليس من الله في شيء**﴾ [7].

معناه: في شيء على الكمال والصواب، **قال ابن عطية**[8].

---

(١) سورة البقرة (الآية : ٢٢١).

(٢) سورة البقرة (الآية : ٢٢١).

(٣) سورة البقرة (الآية : ٢٢١).

(٤) في المخطوط: إلى، وهو تحريف.

(٥) سورة البقرة (الآية : ٢٢١).

(٦) تكرر اللفظ في المخطوط، والآية من سورة آل عمران (رقم: ٢٨).

(٧) آ ل عمران (الآية: ٢٨).

(٨) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٦).

=

وقال الواحدي: من دين الله، أي [١٢/ب] قد برئ من الله وفارق دينه لـمَّا استثنى فقال: ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾[١].

هذا في المؤمن إذا كان في قوم كفار وخافهم على نفسه وماله، فله أن يداريهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان بعداوتهم دفعًا عن نفسه.

قال ابن عباس: مداراة ظاهرة.

قال ابن عطية: ثم أباح الله تعالى اتخاذهم بشرط أن يتقوا ويخافوا، فأما إبطان اتخاذهم فلا يصح أن يتصف به مسلم.

قال الثعلبي[٢]: وقال بعضهم: إنما كان في جدة الإسلام وقبل استحكامه، فاليوم قد أعز الله المسلمين فلا ينبغي لأهل الإسلام أن يوالوهم في الظاهر لعزة الإسلام.

=

الإمام الحافظ الناقد المجود أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام ابن عطية، المحاربي، الأندلسي، الغرناطي المالكي.

قال ابن بشكوال: كان حافظًا للحديث وطرقه وعلله، عارفًا بالرجال، ذاكرًا لمتونه ومعانيه.

قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمعه يذكر أنه كرر على صحيح البخاري سبعمائة مرة (قلت: أظن هذا على سبيل المبالغة في كثرة مراجعته له عليه وليس على سبيل التحديد، والله أعلم).

قال: وكان أديبًا شاعرًا لغويًا دينًا فاضلاً.

أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره، وكتب إلينا بإجازة ما رواه.

مولده في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة. وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وخمسمائة وله سبع وسبعون سنة رحمه الله.

(١) سورة آل عمران (الآية: ٢٨).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٤٣٥).

=

وقال سعيد بن جبير: ليس في الإسلام تقية.

وقوله تعالى: ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾[1] تهديد ووعيد لمتولي الكفار، ووعظ وتذكير بالآخرة، ويخوفكم من عذابه وعقوبته وبطشه والنفس ها هنا خطاب فيما يفهمه البشر، وهي بمعنى الذات.

قوله عز وجل: ﴿**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير**﴾[2].

=

الإمام الحافظ العلامة شيخ التفسير أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري.

كان أحد أوعية العلم وله كتاب التفسير الكبير.

وكتاب العرائس في قصص الأنبياء.

قال السمعاني: يقال له: الثعلبي، والثعالبي، وهو لقب له لا نسب.

وكان موثقًا، بصيرًا بالعربية، طويل الباع في الوعظ.

قال عبد الغافر بن إسماعيل: قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: رأيت رب العزة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الرب جل اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل توفي الثعلبي في المحرم سنة عشرين وأربعمائة.

ومن مصادر ترجمته: معجم الأدباء (٣٦/٥)، إنباه الرواة (١١٩/١)، اللباب (٢٣٨/١)، وفيات الأعيان (٧٩/١)، المختصر في أخبار البشر (١٦٠/٢)، دول الإسلام (٢٥٤/١)، العبر (١٦١/٣)، تذكرة الحفاظ (١٠٩٠/٣)، تلخيص ابن أم مكتوم (١٩)، تتمة المختصر (١٨/١)، الوافي بالوفيات (٣٠٧/٧)، مرآة الجنان (٤٦/٣)، طبقات السبكي (٥٨/٤)، وغير ذلك كثير.

(١) سورة آل عمران (الآية: ٢٨).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ٢٩).

قوله تعالى: ﴿**إن تخفوا ما في صدوركم**﴾[1] من مودة الكفار، ﴿**أو تبدوه**﴾[2] من موالاهم قولاً وفعلاً ﴿**يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض**﴾[3] معناه: إذا كان لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء فكيف يخفى عليه موالاتكم للكافر وميلكم اليهم مودة بالقلب، أو معونة بالقول والفعل؟

والمعنى: إن أبطنتم الحرص على إظهار موالاهم: ﴿**فإن الله يعلمه**﴾[4] ويكرهه منكم.

وقوله تعالى: ﴿**والله رؤوف بالعباد**﴾[5].

يحتمل أن يكون إشارة إلىالتحذير لأن تحذيره وتنبيهه على النجاة رأفة منه بعباده، ويحتمل أن يكون للجمع بين التأنيس والوعيد لئلا يفرط في الوعيد مثل قوله: ﴿**إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم**﴾[6].

قوله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**﴾[7].

من علامة محبة الله ورسوله اتباع شريعته[8] وبغض أعداء الله ومجاهتهم، وترك موالاهم، فقد قال الشاعر:

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ٢٩).
(٢) سورة آل عمران (الآية: ٢٩).
(٣) سورة آل عمران (الآية: ٢٩).
(٤) سورة آل عمران (الآية: ٢٩).
(٥)سورة البقرة (الآية: ٢٠٧).
(٦) سورة الأنعام (الآية: ١٦٥).
(٧) سورة آل عمران (الآية: ٣١).
(٨) في المخطوط: شريعتهما. وهو تحريف أو سهو من الناسخ لأن مثل هذا اللفظ لا يجوز في مثل هذا السياق لأن فيه ندية لله وحاشاه من ذلك.

تَودُّ عَدُوِّى ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّني صَدِيْقُكَ لَيْسَ التوءكُ عَنكَ بِعَازِبِ

وقال آخر:

صَدِيْقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتي لمن وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدْيقَ وَدُوْدُ

فَلاَ تَقْرَبَنَّ مِنِّي وَأَنْتَ صَدِيْقُهُ فَإِنَّ الّذي بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعِيْدُ

وهؤلاء كلهم يبغضون سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-، فلا يتم لنا محبة الله ورسوله إلا ببغض الكفار، والصادق في حب النبي -صلى الله عليه وسلم- من تظهر عليه علامات منها الاقتداء به واتباع سنته وأقواله وأفعاله وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه.

وقوله عز وجل: ﴿**فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾[1].

وعيد عظيم لمن يتولى الكفار وإعراض عنه وتقبيح لفعله[١٣/ب]، وكفى بهذا خزيًا وإبعادًا.

وقوله عز وجل: ﴿**إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**﴾[2].

قال ابن عطية: معناه بالتشكيك والمخادعة وإظهار الغش في معرض النصح.

قلت: وهذا التحذير لطف من الله تعالى ورأفة بالمؤمنين وإعلام بما انطوت عليه قلوب الأعداء من إضمار العداوة والبغضاء.

وقوله تعالى: ﴿**لن يضروكم إلا أذى**﴾[3].

لن يصيبكم منهم ضرر في الأبدان ولا في الأموال، وإنما هو أذى بالألسنة، فاستثناء متصل.

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ٣٢).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١٠٠).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١١١).

وقال الحسن، وقتادة[1] وغيرهما: الأذى هو تخويفهم أمر محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتكذيبهم إياه.

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣) أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري.
ويقال : مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي قاله عبد السلام بن مطهر عن غاضرة بن قرهد العوفي، ثم قال: وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية رضي الله عنها.
ويقال : كان مولى جميل بن قطبة ويسار أبوه من سبي ميسان سكن المدينة، وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن -رحمة الله عليه- لسنتين بقيتا من خلافة عمر، واسم أمه: خيرة.
ثم نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يؤمئذ أربع عشرة سنة.
قلت: وهو من مشاهير التابعين والمحدثين والفقهاء.
وعن وفاته قال الذهبي: قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر، فقال: مات الحسن، فترحم عليه محمد وتغير لونه، وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه قلت (أي الذهبي): وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مئة يوم.
قال ابن عطية: مات الحسن في رجب سنة عشر ومائة.
وقال عبد الله بن الحسن: إن أباه عاش نحوًا من ثمان وثمانين سنة.
قلت (أي الذهبي) : مات في أول رجب، وكانت جنازته مشهورة صلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة ، فشيعه الخلق ، وازدحموا عليه حتى إن صلاة العصر لم تقم في الجامع.

وقال ابن عطية: وتنقيصهم للمؤمنين وطعنهم عليهم جملة وافذاذًا وهذا كله عظيم مقلق وبسببه استحقوا القتل، والإجلاء، وضرب الجزية.

ولكن أراد الله بهاتين الآيتين أن يلحظهم المؤمنون بعين الاحتقار حتى لا يصدوا أحدًا عن دينه، ولا يشغلوه عن عبادة ربه.

وقوله عز وجل: ﴿**ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة**﴾ (1) الآية.
قوله: ﴿**ضربت عليهم الذلة**﴾ (2): أي ثبتت عليهم الذلة، أي تثبتت بشدة وإلزام.

وقوله: ﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً**﴾ (3) لأن هذا يعطي أن له أن يقتله خطأ، وأن الحبل من الله، والحبل من الناس [١٤/أ] مزيل للذلة(4)، وليس الأمر كذلك ، وأما الكلام محذوف يدركه السامع الناظر، وتقديره: ولا نجاة من الموت إلا بحبل، والحبل: العهد، لأنه يصل قومًا بقوم في صيانة الدماء.

وقوله تعالى : ﴿**وضربت عليهم المسكنة**﴾ (5) أي : التذلل والضعة.

وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم [أكبر(6)] قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾ (7).

---

(1) سورة آل عمران (الآية: ١١٢).
(2) سورة آل عمران (الآية: ١١٢).
(3) سورة النساء (الآية: ٩٢).
(4) في المخطوط: للذة. وهو تحريف.
(5) سورة آل عمران (الآية: ١١٢).
(6) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.
(7) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من اليهود والنصارى أخلاء يأنسون بهم في الباطن في أمرهم، ويفاوضونهم في الآراء، وينتمون اليهم.

ومعنى ﴿**لا يألونكم**[1]﴾: أي لا يقصرون لكم فيما فيه الفساد عليكم. يقول: ما ألوت في كذا، أي ما قصرت، بل اجتهدت.

والخبال: الفساد.

وروى أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "**لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيًا**"[2]. فسره الحسن فقال: أراد المشركين في شيء من أمورهم، ولا تنقشوا في خواتيمكم: "**محمدًا**".

قال العلماء -رضي الله عنهم-: لا يدخل في هذه الآيةاستكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع والشراء.

وقال مالك -رضي الله عنه-: كتب عمر بن الخطاب إلى الأجناد: أن الله قد أغنى بالمسلمين، فلا تجعلوا النصارى في أعمالكم.

قال ابن رشد[3] **في كتاب البيان [١٤/ب] والتحصيل**: إنما كتب عمر بذلك لأنه مسؤل عن رعيته والإمام مسؤل عن رعيته.

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٢) أطراف هذا الحديث عند: أحمد في المسند (٣/٩٩)، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٧)، السيوطي في الدر المنثور (٢/٦٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٣٧٥٩)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠/٢٧٨)، البخاري في التاريخ (١/٤٥٥)، (٤/١٦)، النسائي في المجتبى (في كتاب الزينة باب ٤٨) الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٦٣).

(٣) في المخطوط: ابن رشيد، وهو تحريف والتصويب من سير أعلام النبلاء (١٩/٥٠١) حيث قال في ترجمته:

=

وإذا وجب على الإمام النظر لرعيته فيما يدخل عليهم الضرر في أموالهم، فنظره فيما يدخل عليهم الضرر في أديانهم أوجب.

وروي: أن أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه- استكتب ذميًا، فكتب إليه عمر -رضي الله عنه- يعنفه، وتلا عليه هذه الآية.

وقيل لعمر -رضي الله عنه-: إن ها هنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه، ولا أخط بقلم أفلا تكتب عنده؟

فقال: إذًا أتخذ بطانة من دون المؤمنين.

ومعنى ﴿**ودوا ما عنتم**﴾[1]: أي ما تكرهونه ويشق عليكم.

قال السدى[2]: ودوا ما ضللتم.

=

الإمام العلامة شيخ المالكية قاضي الجماعة بقرطبة، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي المالكي. تفقه بأبي جعفر أحمد بن رزق.

قال ابن بشكوال: كان فقيهاً عالمًا حافظًا للفقه، مقدمًا فيه على جميع أهل عصره، عارفًا بالفتوى، بصيرًا بأقوال أئمة المالكية، نافذًا في علم الفرائض، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل، والوقار والحلم والسمت الحسن، والهدى الصالح، ومن تصانيفه كتاب: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل".

واختصار المبسوطة، واختصار مشكل الآثار للطحاوي سمعنا عليه بعضه.

عاش سبعين سنة، ومات في ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم.

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤): السدى: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش.

=

وقوله عز وجل: ﴿**قد بدت البغضاء من أفواههم**﴾ [1] الآية.

يعني: بالأقوال، فمنهم فوق المتستر الذي تبدوا البغضاء من عينيه، وخص تعالى الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى تشدقهم وبربرتهم في أقوالهم هذه وقوله تعالى: ﴿**وما تخفي صدورهم أكبر**﴾ [2].

إعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم، ثم قال تعالى للمؤمنين: ﴿**قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾ [3].

... وورد عنه أنه رأى أبا هريرة، والحسن بن علي قال النسائي: صالح الحديث. وقال يحيى بن سعيد القطان: لا بأس به. وقال أحمد بن حنبل: ثقة، وقال مرة مقارب الحديث. وقال يحيى بن معين: ضعيف. وقال أبو زرعة: لين. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.

وقال ابن عدي: هو عندي صدوق. وقيل: كان السدي عظيم اللحية جدًا.

قال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت: سمعت الشعبي وقيل له: إن إسماعيل السدي قد أعطي حظًا من علم.

فقال: إن اسماعيل قد أعطي حظًا من الجهل بالقرآن.

قلت: (أي الذهبي): ما أحد إلا وقد جهل من علم القرآن أكثر مما علم.

وقد قال إسماعيل بن أبي خالد: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله. وقال مسلم بن عبد الرحمن شيخ لشريك: مر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر فقال: إنه ليفسر تفسير القوم.

قال خليفة بن خياط: مات إسماعيل السدي في سنة سبع وعشرين ومائة.

قلت (أي الذهبي): أما السدي الصغير فهو محمد بن مروان الكوفي أحد المتروكين كان في زمن وكيع.

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

تحذيرًا، وتنبيهاً.

وقد علم الله تعالى أنهم عقلاء ولكن هذا هز للتقوى، كما تقول: إن كنت رجلاً فافعل كذا وكذا.

وقوله عز وجل: ﴿**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا [١٥/أ] عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور**﴾[(١)].

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن هذه الطائفة لا تحب المؤمنين، ولا تحب لهم خيرًا، بل يحبون لهم الشر، ويفرحون به ويستبشرون بنزول الضر بهم.

ومن كانت هذه صفته ينبغي للعاقل أن يحذره ويجتنبه حسب ما أمكنه لو لم يرد بذلك أمر من الشرع بفعله ووعيد على تركه.

فكيف وقد ورد هذا التحذير العظيم والوعيد الشديد؟

وقد أخبر الله تعالى أن هذه صفتهم وعليها انطوت نياتهم، وهو العليم بخلقه ووقف الله تعالى المؤمنين بهذه الآية على أحوالهم هذه القبيحة، وأوصافهم الذميمة ليمقتوهم ويبغضوهم ويحذروهم، فإن في مخالطتهم فسادًا، وفي موالاتهم ضرر كبير في الدنيا والآخرة.

ثم أعلمهم الله تعالى أنهم ينافقون عليهم، ويستخفون بهم، ويغتاظون منهم، ويتربصون بهم الدوائر.

وقوله تعالى: ﴿**عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**﴾[(٢)].

عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه، ومنه قول أبي طالب: يعضون غيظًا خلفنا بالأنامل

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٩).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٩).

والعض بالأنامل هيئة تتبع هيئة النفس الغاضبة المتلهفة على نيل الأذى من المسلمين، كما أن قرع السن هيئة تتبع هيئة النفس النادمة.

[١٥/ب] وقوله تعالى: ﴿**قل موتوا بغيظكم**﴾ هو دعاء عليهم.

هكذا قاله كثير من المفسرين.

وقال قوم: بل أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- قومه بأن يواجهوهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدعاء، وبقى معنى التقريع والإغاظة.

فإن قيل: قد أمرهم بالموت و لم يموتوا والله تعالى يقول للشيء كن فيكون.

فالجواب عن ذلك: أن الأمر بالأمر لا يكون أمرًا مثل قوله عليه السلام في حق الصبيان: "**مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**"(١).

ليس هذا أمرًا للصبيان، فعلى هذا يندفع السؤال ويحتمل أن يكون ذلك إخبارًا عن دوام هذه الحالة بهم إلى الموت، فإنها لا تزول إلا بانطفاء نور الإسلام، وهلاك المسلمين وذلك لا يكون أبدًا والله أعلم بمراده.

قوله تعالى: ﴿**إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط**﴾(٢).

---

(١) أطراف هذا الحديث عند:

الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٩٤)، وابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٣٤٩)، السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٣٠٠)، الدارقطني في السنن (١/٢٣١)، العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٨٤)، المتقي الهندي (٤٥٣٣٥).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١٢٠).

الحسنة والسيئة، لفظ عام في كل ما يحسن ويسوء، وذكر المسيء إشارة إلى أن بأدق وقوع الخير تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين.

وذكر في السيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن، فلا يفرحون إلا بتمكن الأذى من المؤمنين.

فدل هذا المترع البليغ على هذه العداوة إذ هو حق لا يذهب عند الشدائد بل يفرحون [١٦/أ] بترول الشدائد بالمؤمنين، ولما قرر هذا الحال لهؤلاء المذكورين وأوجبت الآية أن تعتقدهم المؤمنون بهذه الصفة.

وجاء قوله تعالى: ﴿**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا**﴾[١] تسلية للمؤمنين وتقوية لنفوسهم. ﴿**والله بما يعملون محيط**﴾[٢].

وعيد، والمعنى محيط جزاؤه وعقابه بالقدرة والسلطان.

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**﴾[٣] تحذير منهم وحض على عصياهم ومباعدهم وعلى عدم الإصغاء إليهم والاعتماد على ما يقولونه.

قوله عز وجل: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يشترون [الضلالة[٤]] ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليًا وكفى بالله نصيرًا**﴾[٥].

الرؤية ها هنا رؤية القلب، وهي علم بالشيء ، وقال قوم معناه:ألم تعلم، وقال آخرون: ألم تخبر، وهذا كله متقارب ، والمراد بالذين: اليهود،

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١٢٠).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١٢٠).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٤٩).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٥) سورة النساء (الآية:٤٤ ، ٤٥).

ويتناول معهم النصارى ، وقوله تعالى: ﴿**تضلوا السبيل**﴾ [1] معناه: أن تكفروا.

وقرأ النخعي: ﴿**وتريدون أن تضلوا**﴾ بالتاء باثنتين من فوق في ﴿**يريدون**﴾ [2].

قال ابن عطية: هذه الآية وما بعدها تقتضي توبيخ المؤمنين على انتماء منهم إلى أحبار اليهود في سؤال عن دين، أو في موالاة أو ما أشبه ذلك وهذا بين في ألفاظها، فمن ذلك: ﴿**ويريدون [١٦/ب] أن تضلوا السبيل**﴾ [3] أي تدعون الصواب في اجتنابهم وتحبوهم غير أعداء، والله أعلم بهم. وقوله تعالى: ﴿**والله أعلم بأعدائكم**﴾ [4] خبر مضمر في ضمنه التحذير منهم.

قوله تعالى: ﴿**بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا، وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا**﴾ [5].

البشارة ها هنا مصرحا بقيدها ولذلك حسن استعمالها في المكروه ومتى جاءت مطلقة فهي في المحبوب.

---

(١) سورة النساء (الآية: ٤٤).

(٢) في المخطوط بالتاء المثناة من فوق كما في قراءة النخعي، والأحرى أن تكون هذه بالياء المثناة من تحت للتمييز والتفريق بين القراءتين.

(٣) سورة النساء (الآية: ٤٤).

(٤) سورة النساء (الآية: ٤٥).

(٥) سورة النساء (الآية: ١٣٨: ١٤٠).

ثم نص تعالى من صفة المنافقين على أشدها ضرراً على المؤمنين، وهي موالاتهم الكفار وإطراحهم المؤمنين، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة وجهالة.

ثم بين تعالى على وجه التوبيخ مقصدهم في ذلك أهو طلب العـــزة والاستكثار بهم؟

أي ليس الأمر كذلك بل العزة كلها لله تعالى يؤتيها من يشاء، وقــد وعد بها المؤمنين وجعل العاقبة للمتقين. والعزة أصلها الشدة والقوة، ومنه: الأرض العزاز: أي الصلبة، ومنه: عزني: أي غلبني واستعز المرض إذا قوى.

قوله عز وجل: ﴿**وقد نزل عليكم في الكتاب**﴾[1].

مخاطبة لجميع من أظهر الإيمان من منافق [١٧/أ] ومحقــق لأن مــن أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر الله تعالى والمراد بالكتاب: القـــرآن، والإشارة إلى هذه الآية أو آية الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿**فلا تقعـــد بعــد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾[2].

نهى الله سبحانه وتعالى عن مجالســـتهم، وجعـــل العلـــة في ذلـــك استهزاؤهم بآيات الله تعالى.

ففي هذا أدل دليل قوي على تجنب أهل البدع، وأهل المعاصي، وأن لا يجالسوا لأن في مجالستهم رضى بأفعالهم في الظاهر وسبباً في التمادي على بدعتهم وضلالتهم.

---

(١) سورة النساء (الآية: ١٤٠).

(٢) سورة الأنعام (الآية: ٦٨).

ومن كتاب البيان:

قال مالك -رحمه الله تعالى-: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: لا تصحب فاجرًا لكي لا تتعلم من فجوره، ولا تفش إليه سرك، وشاور في أمرك الذين يخافون الله عز وجل.

قوله عز وجل: **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾**[1].

طريق قهر واستعلاء أو عزة أو علو أو رفعة أو غير ذلك.

وقوله عز وجل : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا﴾**[2].

لأن التوقيف إنما هو لمن ألم بشئ من الفعل المؤدي إلى هذه الحال، والمؤمنون المخلصون ما ألموا بشيء من ذلك بل المعنى: يا أيها الذين أظهروا الإيمان والتزموا أوامره قاله ابن عطية.

[١٧/ب] قوله عز وجل: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾**[3].

أمر بالتعاون على البر والتقوى، فيجب على كل قادر على إزالة منكر من المسلمين أن يتعاونوا عليه حتى يزيلوه.

وكذلك يندبون أن يتعاونوا على الإحسان والبر والصدقة وغير ذلك من أعمال البر.

والبر والتقوى لفظان بمعنى، وكرر اللفظ تأكيدًا ومبالغة، إذ كل بر تقوى، وكل تقوى بر.

قال ابن عطية: في هذا تسامح، والعرف في دلالة اللفظين أن البر: يتناول الواجب والمندوب إليه.

---

(١) سورة النساء (الآية: ١٤١).

(٢) سورة النساء (الآية: ١٤٤).

(٣) سورة المائدة (الآية: ٢).

والتقوى: رعاية الواجب، ثم نهى تعالى عن التعاون على الإثم ودخل تحت الوعيد لشدة العذاب.

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ (١).

نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في الخلطة والنصرة المؤدية إلى امتزاج المعاضدة وحكم هذه الآية باق في كل من أكثر من مخالطة هذين الصنفين فله حظ من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿**فإنه منهم**﴾ (٢).

قال ابن أبي الرجال(٣) في تفسيره في هذه الآية:

ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى وأخبر [١٨/أ] بخبره الصادق، وحديثه الحق أنه منهم يجعله منهم ويسلكه في مسلكه، وأنهم بذلك

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٣) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٦٩/٦) : عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة بن النعمان بن نفيع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، الأنصاري، المدني.
كان ينزل بعض ثغور الشام. قال أحمد، وابن معين، والمفضل الغلابي، والدارقطني: ثقة. وقال ابن معين أيضًا، وأبو داود: ليس به بأس. وقال البرذعي : سألت أبا زرعة عن عبد الرحمن وحارثة فقال: عبد الرحمن أشبه، وحارثة واهٍ، وعبد الرحمن أيضًا يرفع أشياء لا يرفعها غيره. وقال الآجري: عند أبي داود أحاديث عمرة يجعلها كلها عن عائشة. وقال أبو حاتم: صالح، وهومثل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ.

ظالمون ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ [1].

فجاء من الفقه في هذا الخطاب الكريم أن هذا مخوف عند الموت وللمحتضر فتن ودعاة يعرضون ثم قال: ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ [2] أي عند الموت. ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾ [3]﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [4].

جاء عن بعض العلماء رضي الله عنهم: أنه سئل عن هؤلاء الأمراء الذي يوالون اليهود والنصارى ويستعملوهم على المسلمين في عمالاهم؟

فقال: بلغنا والله أعلم أهم لا يموتون على دين الإسلام مصداق ما قاله رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ [5]. وقد سماهم باسم الظالمين، وقال إنه لا يهديهم أي في تلك الحال . انتهى كلام ابن أبي الرجال. وسبب نزول هذه الآية أنه لما انقضت غزوة بدر، وشجر أمر بني قينقاع أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قتلهم، فقام عبد الله بن أبي بن سلول[6]،وكان حليفًا لهم ، وكان لعبادة بن

---

(١) سورة التوبة (الآية: ١٠٩).
(٢) سورة إبراهيم (الآية: ٢٧).
(٣) سورة إبراهيم (الآية: ٢٧).
(٤) سورة الأنبياء (الآية: ٢٣).
(٥) سورة المائدة (الآية: ٥١).
(٦) قال الواحدي في أسباب النزول (١٤٧) : قال عطية العوفي : جاء عبادة بن الصامت فقال يا رسول الله إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم وإني أبوء إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله.
فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود.
فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**يا أبا الحباب ما تجلب به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه**" .
=

الصامت[1] من حلفهم مثل ما لعبد الله بن أبي .

=

فقال: قد قبلت، فأنزل الله تعالى فيهما ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض**﴾ يعني عبد الله بن أبي بن سلول يسارعون فيهم وفي ولايتهم يقولون: ﴿**نخشى أن تصيبنا دائرة**﴾ الآية.

(١) قال ابن حجر في الإصابة (٤/٢٧):

عبادة بن الصامت بن قيس بن صرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

الأنصاري، الخزرجي، أبو الوليد.

قال خليفة بن خياط: وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن العجلان، وشهد بدرًا.

وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر.

وقال ابن يونس شهد فتح مصر، وكان أمير ربع المدد.

وفي الصحيحين عن الصنابحي عن عبادة قال: أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة العقبة. الحديث.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا.

... كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر: قد احتاج يزيد بن أبي من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأرسل: معاذ، وعبادة، وأبا الدرداء، فأقام عبادة بفلسطين.

وروى ابن سعد في ترجمته : أنه كان طوالاً جميلاً، ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وكذا ذكره المدائني، وفيها أرخه خليفة بن خياط، وآخرون.

ومنهم من قال: مات ببيت المقدس.

وورد ابن عساكر في ترجمته أخبارًا له مع معاوية تدل على أنه عاش بعد

=

فلما رأى عبادة [ما[1]] يفعلونه من المشاقة لله ورسوله جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إني أبرأ إلى الله ورسوله من حلف يهود وولايتهم ولا أوالي إلا الله ورسوله.

وقال عبد الله بن أبي: أما أنا [١٨/ب] فلا أبرأ من ولاية يهود فإني لابد لي منهم إني رجل أخاف الدوائر.

وقال بعضهم: أذهب إلى فلان النصراني بالشام آخذ منه أمانًا، فنزلت الآية، وقوله: ﴿**فإنه منهم**﴾[2].

الخطاب لعبد الله بن أبي وكل من اتصف بهذه الصفة من ولايتهم.

ومن تولاهم معتقده ودينه فهو منهم بالكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار ومن تولاهم بأفعاله من العضد والنصرة والتعظيم الظاهر كالقيام لهم أو الخدمة إلى غير ذلك مما يوهم التعظيم، والموالاة دون معتقد، فهو منهم في المقت والمذلة الواقعة عليه، ويخشى عليه أن يموت على غير ملة الإسلام كما قال بعض العلماء.

قوله عز وجل: ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**﴾[3].

هذه مخاطبة للنبي -صلى الله عليه وسلم- والإشارة لعبد الله بن أبي ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في جماعة بني قينقاع.

=

ولاية معاوية الخلافة وبذلك جزم الهيثم بن عدي.

وقيل: أنه عاش إلى سنة خمس وأربعين.

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق أحسبها سقطت من الناسخ.

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥٢).

ويدخل في الآية كل من تابعه من مؤمني الخزرج جهالة وعصبية، فهذا الصنف له حظ من مؤمن القلب.

و﴿**يسارعون فيهم**﴾[1] معناه: يسارعون في نصرهم وتأنيسهم وتجميل ذكرهم.

وقوله: ﴿**نخشى أن تصيبنا دائرة**﴾[2] لفظ محفوظ من عبد الله بن أبي ولا محالة أنه قال بقوله جماعة من المنافقين، والآية تعطي ذلك.

ودائرة: بمعنى نازلة [١٩/أ] وحادثة من الحوادث تحوجنا إلى اليهود.

وتسمى هذه الأمور دوائر على قديم الزمان من حيث أن الليل والنهار في دوران، ومنه قوله تعالى: ﴿**يتربص بكم الدوائر**﴾[3].

ومنه قول الشاعر:

يرد عنك القدر المقدورا أو نائبات الدهر أن تدورا

وقوله تعالى: ﴿**فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده**﴾[4].

مخاطبة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وللمؤمنين ووعد لهم، وعسى من الله واجبة.

قال ابن عطية: وظاهر الفتح في هذه الآية ظهور النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلو كلمته، والاستغناء عن اليهود.

وقوله تعالى: ﴿**أو أمر من عنده**﴾[5].

قال السدي: المراد ضرب الجزية.

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٢).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٢).

(٣) سورة التوبة (الآية: ٩٨).

(٤) سورة المائدة (الآية: ٥٢).

(٥) سورة المائدة (الآية: ٥٢).

وقوله تعالى: ﴿**فيصبحوا**﴾[1] أي فيكونوا كذلك طول دهرهم.

وقرئ: فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

قوله تعالى: ﴿**ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين**﴾[2].

تخاطب بين المؤمنين بعضهم لبعض في المنافقين، والمعنى: أهؤلاء المقسمون باجتهاد منهم في الإيمان أنهم لمعكم قد ظهر الآن منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب إيمانهم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿**حبطت أعمالهم**﴾[3] على جهة الدعاء من الله [١٩/ب] تعالى عليهم وإما من المؤمنين.

وقال ابن عطية: قلت الدعاء الذي بمعنى الطلب بافتقار وخضوع مستحيل على الله تعالى، وإنما يوجد من لازم ذلك، وهو الإرادة فإن الداعي يريد ما طلبه، والله تعالى مريد يحبط أعمال هؤلاء.

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾[4].

المعنى في هذا على ما اختاره ابن عطية: أن الله تعالى وعد هذه الأمة أن من ارتد منهم فإنه يجيء بقوم ينصرون الدين، ويغنون عن المرتدين.

وقيل: المراد أبو بكر والصحابة -رضي الله عنهم- وقيل أبو موسى وأصحابه.

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٢).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٣).

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥٣).

(٤) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

وقيل: علي -رضي الله عنه- مع الخوارج وقوله تعالى: **﴿أذلة على المؤمنين﴾**[1] معناه: أرقاء رحماء متذللين متواضعين غير متكبرين.

﴿أعزة على الكافرين﴾[2] أي أشد غلظًا من قول العرب: عز جانبه.

وقرأ ابن مسعود: (أذلة على المؤمنين كالولد لوالده كالعبد لسيده أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته).

ونظير هذه الآية: **﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**[3].

قوله تعالى: **﴿لا يخافون لومة لائم﴾**[4].

إشارة إلى الرد على المنافقين في أهم كانوا يعتبرون بملامة الأحلاف والمعارف من الكفار ويراعون أمرهم.

وقوله تعالى: **﴿ذلك فضل الله﴾**[5] إشارة إلى ما تقدم من أوصافهم الجميلة وتركهم الأخلاق القبيحة قوله عز وجل: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**[6].

في هذا الحصر: "بإنما" دليل على أنه لا يجوز تولي الكفار، ثم وصف الله تعالى المؤمنين بصفات نبه بها على عظيم قدرهم، وعلو شرفهم من الطاعة لله تعالى بأنفسهم وأموالهم بقوله تعالى: **﴿يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**[7].

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

(٣) سورة الفتح (الآية: ٢٩).

(٤) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

(٥) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

(٦) سورة المائدة (الآية: ٥٥).

(٧) سورة المائدة (الآية: ٥٥).

عكس ما وصف به أعداءه كل هذا تحريض على مجانبة الأعداء، وترغيب في تأليف الأولياء.

والخطاب في قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾[1] للذين قيل لهم: لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء.

وقرأ ابن مسعود: ﴿إنما مولاكم الله﴾.

وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾[2].

من آمن من الناس حقيقة لا نفاقًا وهم الذين يقيمون الصلاة المفروضة بجميع شروطها والزكاة لفظ عام في الفرض، وصدقة التطوع، ولكل أفعال البر إذ هي منمية للحسنات مطهرة للمرء من دنس الذنوب

وقوله تعالى: ﴿وهم راكعون﴾[3].

جملة معطوفة على جملة ومعناها وصفهم بتكثير الصلاة وخص الركوع بالذكر لأنه أعظم أركان الصلاة وهو هيئة تواضع.

قال السدي: هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن على بن أبي طالب -رضي الله عنه- مر به سائل [٢٠/ب] وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه[4].

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٥).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٥).

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥٥).

(٤) مثل هذه الآثار والأحاديث ليست صحيحه وهي من مغالاة الشيعة في سيدنا علي -رضي الله تعالى عنه-، ومن المعلوم أنه -رضي الله عنه- من أتقى الصحابة ومن أتقياء الأمة، ومن أهل الإمامة في الإسلام في العلم، ومن المعلوم لدينا جميعًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "**إن في الصلاة لشغلاً**"

=

وروى في ذلك: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من بيته وقد نزلت عليه هذه الآية، فوجد مسكينًا، فقال له "**هل أعطاك أحد شيئًا**"؟

فقال: نعم، أعطاني هذا الرجل الذي يصلي خاتماً من فضة، وأعطانيه وهو راكع.

فنظر النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا الرجل الذي أشار إليه علي بن أبي طالب فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**الله أكبر**"[١].

وتلى هذه الآية على الناس ثم أخبر تعالى أن من تولى الله ورسوله والمؤمنين فإنه غالب كل من ناوأه وجاءت العبارة عامة بقوله: ﴿**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا، فإن حزب الله هم الغالبون**﴾[٢].

اختصاراً لأن هذا المتولي هو من حزب الله وحزب الله غالب.

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبًا من الذين [أوتوا[٣]] الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**﴾[٤].

=

فبعلمه لا يفعل مثل هذا الأمر، ومراد الآية يدل على حرص المسلمين جميعاً وخصوصًا الأتقياء منهم على طاعة أوامر الله والخضوع لها على كل حال، وليست على لفظ الآية الحرفي، ولأهل اللغة في تفسير هذه الآية كلام كثير ليس هذا مجال بسطه.

(١) أطراف هذا الحديث عند الواحدي النيسابوري في أسباب النزول (١٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/٣٨٣).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٦).

(٣) ما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ، والآية من سورة المائدة (رقم:٥٧).

(٤) سورة المائدة (الآية: ٥٧).

نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ورسم لهم برسم يحمل النفوس على تجنبهم وذلك اتخاذهم دين الله هزوًا ولعبًا والهزؤ: السخرية والازدراء.

ثم بين الله تعالى جنس هؤلاء أنهم من أهل الكتاب ومن قرأ بالنصب أخرج الكفار غير أهل الكتاب من الاستهزاء وأدخلهم في النهي عن الموالاة.

وعلى قراءة [٢١/أ] الخفض أدخلهم في الاستهزاء والموالاة فتأمل ذلك تجده حسنًا وفرقت الآية بين الكفار وبين أهل الكتاب من حيث الغالب في اسم الكفر أن يقع على المشركين وإلا فهم كفار.

ثم أن الله تعالى أمر بتقواه للنفوس، وبقوله ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ [١] مثل قول القائل لولده: أطعني إن كنت ابني.

قوله عز وجل: ﴿**وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾ [٢].

تبين قبيح فعلهم وسوء قولهم، فإنهم كانوا إذا سمعوا قيام المؤمنين للصلاة قال بعضهم لبعض: قد قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا، سجدوا لا سجدوا، وتغامزوا، وتضاحكوا على طريق الاستهزاء في وقت الأذان وغيره. وكل ما ذكر من ذلك فإنما هو مثال [٣].

وقد ذكر السدي: أنه كان رجل من النصارى بالمدينة وكان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٧).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٨).

(٣) قلت: ما زال مثل هذا القول سائراً حتى الآن بين كثير من النصارى لكن لا يعلنون به بين الناس، وكنا نسمعه ونحن صغار ولم نكن نميز فكنا نرد نحوه معهم عن غير وعي نظرًا لعامل السن وعدم الإدراك.

يقول: حرق الله الكاذب حتى سقط مصباح في بيته ليلة واحترق النصراني لعنه الله.

وقال آخرون: أنهم لما سمعوا الأذان حسدوا النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، قد ابتدعت شيئًا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية فإن كنت تدعي النبوة، فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الأذان الأنبياء قبلك ولو كان في هذا الأمر خيرًا [٢١/ب] لكان.

أولى الناس والأنبياء والرسل فمن أين لك صياح كصياح العير، فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر، فنزل قوله تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعى إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين**﴾(١).

وكل ما ورد في ذلك عنهم ينبه العقلاء أنهم أعداء يحبون أذى المسلمين، ويجتهدون فيه بكل ممكن من قول أو فعل، كما أخبر الله تعالى عنهم ووصفهم به في غير ما آية من كتابه العزيز، فكيف يتخذون خلصاء، وأخدانًا، وأصحابًا، وكتابًا، ومحلاً للمشورة والنصيحة، مع ما هم عليه من الخصال الذميمة والأوصاف القبيحة؟!

قوله تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا من قبل وأن أكثركم فاسقون**﴾(٢).

أمر الله -تعالى- رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يقول لأهل الكتاب: ﴿**هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله**﴾ ومعناه: هل تعدون علينا ذنبًا أو نقيصة.

---

(١) سورة فصلت (الآية: ٣٣).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٩).

وهذه الآية من البلاغة الوجيزة، ومثلها قوله: ﴿**وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾[1].

ونظير هذا الاستثناء قول النابغة:

ولا عيب فهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ثم وصفهم الله تعالى بوصف قبيح بقوله تعالى: ﴿**ويسعون في الأرض فسادًا**﴾[2].

ومن كانت [٢٢/أ] هذه صفته حرمت ولايته[3].

ثم قال الله تعالى: ﴿**إن الله لا يحب المعتدين**﴾[4] بين تعالى أنه لا يحبهم وأنهم مفسدون.

والسعي: العمل، وقد يجيء بمعنى ثقل الدم، وعليه حمل بعض العلماء آية الجمعة ومعنى أنهم لا يحبهم لا يظهر عليهم في الدنيا والآخرة ما يقتضي المحبة.

قوله تعالى: ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم**﴾[5] إلى قوله: ﴿**فاسقون**﴾[6].

ظاهر هذا أن هذه القبائح المذكورة موجبة هذا الوعيد العظيم بسخط الله وعقابه فما أعظم وقع هذه الآية في القلوب للمتأملين، وما أشد خطرها عند المؤمنين فلا يتأملها مؤمن إلا ويعمل بمقتضاها لشدة وعيدها لأنها

---

(١) سورة البروج (الآية: ٨).

(٢) سورة المائدة (الآية: ٦٤).

(٣) أي شيء من أمور المسلمين.

(٤) سورة البقرة (الآية: ١٩٠).

(٥) سورة المائدة (الآية: ٧٨).

(٦) سورة المائدة (الآية: ٨١).

تضمنت اللعنة والسخط والعذاب، ووصف فاعل ذلك بالفسق، ونفي الإيمان عنه.

وهذا لا يبعد فلقد رأيت بعض المفسرين ذكر عن بعض العلماء: أن من استكتبهم يوشك أن يموت على غير الإسلام لقوله تعالى: ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾[1].

وغير بعيد أن يكون الأمر على ما ذكر فإن تقريبهم ذنب عظيم والذنوب توقع في الهلكات قال الله تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾[2].

والعجب أن الله تعالى ذكر في هذه الآية الكفر وعدم التناهي والعصيان والاعتداء ولم يكرر شيئًا من ذلك، ثم ذكر موالاة الكفار وكررها مرتين تعظيمًا لأمرها وتمييزًا [٢٢/ب] لها عن أخواتها من المعاصي وهذا دليل على أن هذا من أعظم المعاصي وأقبح الفسوق، وضرره أشد من ضرر الكفر، والآية لا تحتاج إلى تفسير لظهورها وبيانها.

فقوله تعالى: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره**﴾[3].

اقتضت هذه الآية الإعراض عن أعداء الله لأنهم لا ينفكون عن الاستهزاء.

وروى: أنه لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: إن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا عنهم، لا نستطيع أن نجلس في المسجد أو نطوف بالبيت فرخص الله تعالى للمؤمنين في القعود معهم يذكرونهم لهذه

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٢) سورة الشورى (الآية: ٣٠).

(٣) سورة الأنعام (الآية: ٦٨).

الضرورة.

قوله عز وجل: ﴿**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿**إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون**﴾[2].

لا تعارض بين هاتين الآيتين، وبين قوله عز وجل: ﴿**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**﴾[3].

لأنه قد يتوهم متوهم التسوية بالأنعام ها هنا لأن التشبيه يقتضي المماثلة إلا في وصف ما، والتشبيه إنما وقع هنا في عدم الفهم وجعل عدم الانتفاع بالعقل كعدم العقل بالكلية.

وقوله: ﴿**شر الدواب**﴾[4] بين أن الذين كفروا شر المخلوقات لتأكد ذمهم، وليفضل عليهم الكلب العقور والخنزير من السباع، والخمس الفواسق وغيرها.

وجعلهم في الآية الثانية ثلاثة أوصاف [٢٣/أ] بالكفر والموافاة عليه والمعاهدة مع النقض، فقال تعالى: ﴿**الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة**﴾[5].

وهذه الآية وإن كانت في بني قريظة فهي تعم كل من اتصف بهذه الصفة إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٢٢).

(٢) سورة الأنفال (الآية: ٥٥).

(٣) في المخطوط: أولئك. وهو سهو والآية من سورة الفرقان (الآية: ٤٤).

(٤) سورة الأنفال (الآية: ٢٢،٥٥).

(٥) سورة الأنفال (الآية: ٥٦).

وقوله تعالى: ﴿**وهم لا يتقون**﴾[1] أي لا يخافون في نقض العهد.

وكان بنو قريظة عاهدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم نقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم، وأعانوا مشركي مكة على قتال النبي -صلى الله عليه وسلم- عليه وأصحابه، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم الثانية ومالؤا الكافر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم الخندق.

قوله تعالى: ﴿**فإما تثقفنهم في الحرب**﴾[2] أي تجدنهم وتريهم ﴿**فشرد بهم من خلفهم**﴾[3].

قال ابن عباس: فنكل بهم من وراءهم.

في هذه الآية دليل أن الذمي إذا نقض عهده وخالف ما شرط عليه، أنه يقتل ويردع به غيره من أمثاله.

وقال عطاء[4]: أثخن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم.

---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٥٦).

(٢) سورة الأنفال (الآية: ٥٧).

(٣) سورة الأنفال (الآية: ٥٧).

(٤) هو: عطاء بن أبي رباح أبو محمد القرشي ولاءً، المكي، الحجازي، الجندي، الزاهد قال ابن العزى في ديوان الإسلام (ت١٤١٤) : الإمام الحبر، التابعي الكبير، أبو محمد فقيه الحجاز ومفتيه. توفي سنة (١١٥).
قلت: وقيل توفي سنة (١١٤)، وولد سنة (٢٧).
ومما قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/٧٨): قال الثوري عن سلمة بن كهيل : ما رأيت أحدًا يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة: عطاء وطاوس، ومجاهد.
وقال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.
وقال إسماعيل بن عياش: قلت لعبد الله بن عثمان بن خثيم: ما كان معاش

وقال العتبي[1]: سمع بهم، وقرئ: من خلفهم على أن من حرف جر[2]: من عمل بمثل عملهم لعلهم يتذكرون يتعظون فلا ينقضون العهد. ٠

قوله عز وجل: ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء**﴾[3] تخافن: قيل: قنن وتعلمن . كذا قال الثعلبي.

وقال أبو عبيد[4]: أي توقنن لهم خيانة وغشًا وغدرًا.

=

عطاء؟ قال: صلة الإخوان ونيل السلطان.

(١) الظاهر أن المراد بالعتبي هنا هو : أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب، الأموي ثم العتبي، البصري.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩٦/١١): العلامة الأخباري الشاعر المجود... روى عن ابن عيينة، وأبي مخنق، ووالده.

وكان يشرب، وكان له تصانيف أدبيات وشهرة مات سنة ثمان وعشرين ومائتين قلت: وهناك عتبى آخر أرجح أنه ليس المقصود، وهو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن حميد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب، الأموى السفياني العتبي القرطبي المالكي صاحب كتاب العتبية.

وهذا قد ضعفوه ووهوا كتبه، وقد ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٣٥/١٢).

(٢) في المخطوط جراء وهو تحريف.

(٣) سورة الأنفال (الآية: ٥٨).

(٤) كذا قال أبو عبيد ولم يسمه، ولم ينسبه ولم يلقبه.

وممن كنى بهذه الكنية: أبو عبيد القاسم بن إسماعيل المحاملي، وأبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الرومي، وأبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي اللغوي، وغيرهم.

والأخير هو الذي أرجحه لاشتهار الأخير باللغة، وللتعليق الذي جاء

=

وقال ابن عطية: وهذه الآية عندي فيمن يستقبل حاله من سائر الناس غير بني قريظة [٢٣/ب] لأن بني قريظة لم يكونوا فيمن يخاف منه، وإنما كانت خيانتهم ظاهرة مشتهرة وخوف الخيانة بأن يبدو الشر من قبل المعاهدين، وتتصل عنهم أقوال وتجسس فتلك المبادئ معلومة والخيانة التي هي غايتهم مخوفة لا متيقنة، فحينئذ ينبذ إليهم عهدهم على سواء أي كن أنت وهم على سواء في استشعار الحرب، وأعلمهم أنك تحاربهم.

واختلف العلماء في الذمي إذا نقض عهده هل يقتل في الحين أو يرد إلى مأمنه؟ قولان.

=

على الآية من الناحية اللغوية.

وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/١٤٦) العلامة أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي، الشافعي، اللغوي صاحب الغريبين.

أخذ علم اللسان عن الأزهري، وغيره ويقال له: الفاشاني، وفاشان، بفاء مشوبة بباء: قرية من أعمال هراة.

وقد ذكره أبو عمرو بن الصلاح في طبقات الشافعية، فقال: روى الحديث عن أحمد بن محمد بن ياسين، وأبي إسحاق أحمد بن محمد بن يونس البزار الحافظ.

حدث عنه: أبو عثمان الصابوني، وأبو عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي بكتاب الغريبين.

قلت (أي الذهبي): توفي في سادس رجب سنة إحدى وأربعمائة.

قال ابن خلكان: سار كتابه في الآفاق وهو من الكتب النافعة.

ثم قال: وقيل: إنه كان يحب البذلة، ويتناول في الخلوة، ويعاشر أهل الأدب في مجالس اللذة والطرب، عفا الله عنه.

والسواء، قد يكون بمعنى العدل مثل قوله تعالى: ﴿**تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**﴾[1].

ومنه قول الراجز:

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدُرِ وَالأَعْدَاءِ   حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى سَوَاءِ

وقد تكون بمعنى الوسط، مثل قوله تعالى: ﴿**فاطلع فرآه في سواء الجحيم**﴾[2].

قوله تعالى: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير**﴾[3].

ذكر الثعلبي في تفسيره عن ابن إسحاق قال: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض.

﴿**إلا تفعلوه**﴾[4]: وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين ﴿**تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾[5]. صدق الله العظيم.

فما أشبه وقتنا هذا بهذه الآية بذلك كثر الفساد وعظم الخطب واشتد الكرب، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال ابن عطية في هذه الآية معنى بديع قال: [٢٤/أ] هذه الآية ترغيب وإقامة للنفوس كما تقول لمن تريد يستطلع[6]: عدوك مجتهد لك، أي فاجتهد أنت.

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ٦٤).

(٢) سورة الصافات (الآية: ٥٥).

(٣) سورة الأنفال (الآية: ٧٣).

(٤) سورة الأنفال (الآية: ٧٣).

(٥) سورة الأنفال (الآية: ٧٣).

(٦) الاستطلاع هو محاولة معرفة الخبر سواء عن العدو أو عن الصديق، =

بسط هذا الكلام: أن الكفار كلهم يتعاونون وينصر بعضهم بعضًا وهم أعداؤكم، فكونوا أنتم كذلك اجتماع الكلمة، وموالاة بعضكم لبعض.

قوله عز وجل: ﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾ [إلى] [1] ﴿**ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا**﴾[2].

بتر الله ورسوله من عهد المشركين الذي كان بينهم، وبينه عليه السلام لما نقضوا عهده.

وهذه الآية حكم من الله عز وجل بنقض العهد الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين طوائف المشركين الذين ظهر منهم أو تحسس من جهتهم نقض ولما كان عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لازمًا لأمته، حسن أن يقال: ﴿**عاهدتم**﴾.

قوله عز وجل: ﴿**إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فأتموا**[3] **إليهم عهدهم إلى مدتهم**﴾[4].

يريد الذين لهم عهد ولم ينقضوا.

مفهوم هذا أنهم إذا نقضوا شيئًا مما افترض عليهم انتقض عهدهم.

=

والاستعمال الأكثر فيها هو محاولة معرفة أخبار العدو عن غير حس منه وهو أمر أشبه بالتلصص والاستماع والتشمم والتسلل في هدوء حتى لا يشعر أهل المراد معرفة خبره.

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) سورة التوبة (الآية: ١ : ٤).

(٣) في المخطوط: فألقوا، وهو تحريف أو سهو.

(٤) سورة التوبة (الآية: ٤).

قوله عز وجل: ﴿**كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون**﴾[1].

هذه الآية مردودة على الآية التي قبلها، والتقدير كيف يكون هـؤلاء [٢٤/ب] المشركين عهد وهذه صفتهم؟

قال الأخفش[2]: كيف لا تقتلونهم، وهم إن يظهروا عليكم أو يظفروا بكم يقتلونكم؟

﴿**لا يرقبوا**﴾ معناه: لا يراعوا ولا يحفظوا.

وأصل الارتقاب بالبصر، ثم قيل لمن حافظ على شئ وراعاه: راقبه وارتقبه، ومنه الرقب.

والإل: القرابة، وقيل الرحم، وقيل الحلف.

وقرىء: وإيلاً، بالياء بعد الهمزة، وألا، بفتح الهمزة.

---

(١) سورة التوبة (الآية: ٨).

(٢) المراد بالأخفش هنا على أغلب الظن عندي هو المقرئ التغلبي الدمشقي أبو عبد الله هارون بن موسى بن شريك.

والأخافش كثير بين العلماء ولهذا ذهبت لمناسبة المقام والله أعلم، وقد قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٦٦/١٣): مقرئ دمشق الإمام الأكبر .. قرأ على ابن ذكوان، وهشام.

وحدث عن سلام المدائني، وأبي مسهر الغساني.

تلا عليه: ابن شنبوذ، وأبو علي الحصائري، وأبو الحسن بن مر الأخرم، وجعفر أبي داود، وعدة.

مولده سنة مئتين، ومات في صفر سنة اثنتين وتسعين ومئتين وكان إماماً صاحب فنون، وله تصانيف في القراءات والعربية. ارتحل عليه المقرئون كهبةالله بن جعفر، وأبي بكر النقاش، وإبراهيم بن عبد الرازق، ومحمد بن أحمد الداجوني، وغيرهم.

فمن قرأ بالكسر فيحتمل به أن يراد به الله تعالى، ومنه قول أبي بكر -رضي الله عنه- لما سمع كلام مسلمة: هذا كلام لم يخرج من آل.

أي: لم يأت من عند الله. وفي البخاري: إيل الله ولا ذمة.

﴿**وتأبى قلوبهم**﴾[1]. أي ولا عهد.

قوله: ﴿**يرضونكم بأفواههم**﴾[2]. خلاف ما في قلوبهم.

﴿**وأكثرهم فاسقون**﴾[3]. ناكثون ناقضون كافرون.

قوله عز وجل: ﴿**لا يرقبون في مؤمن**[4] **إلا ولا ذمة**﴾[5].

يقول الله تعالى لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظفروا بكم.

قوله تعالى: ﴿**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾[6].

هذه الآيات كلها توجب تقبيح سرائر الكفار وأنهم إنما يتركون أذى المسلمين إذا لم يقدروا عليه فإذا قدروا نهضوا إليه و لم يراقبوا فيهم قرابة ولا عهداً ولا يميناً ولا ميثاقاً بينكم وبينهم.

---

(١) سورة التوبة (الآية: ٨).

(٢) في المخطوط: بألسنتهم وهو سهو من الناسخ.

(٣) سورة التوبة (الآية: ٨).

(٤) في المخطوط: فيكم، وهو سهو من الناسخ، وكان في حالة إجهاد حيث تكرر منه الخطأ في هذه الصفحة.

(٥) سورة التوبة (الآية: ١٠).

(٦) سورة التوبة (الآية: ١٢).

ومما يؤكد ذلك أن أهل ديننا في هذا الوقت لما دخل التتار إلى دمشق نابذوا المسلمين وسبوا الأنبياء وسخروا من المسلمين وسبوهم وأهانوهم ونبذوا عهدهم [٢٥/أ] وذمتهم.

وكان ضررهم على المسلمين أشد من ضرر التتار خذلهم الله.

فمثل هؤلاء ينبغي أن لا يؤمنوا، وأدنى الأمر فيهم أن يكونوا تحت الذلة والصغار كما أمر الله تعالى فإن أذاهم قد عظم[١] وشرهم قد كثر[٢].

قال ابن عطية: ويليق هنا ذكر شيء من طعن الذمي في الدين فالمشهور من مذهب مالك رحمه الله:

أنه إذا فعل شيئًا من ذلك، مثل تكذيب الشريعة وسب النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحوه، قتل.

وقيل: إذا كفر وأعلن بما هو معهود من معتقده[٣] وكفره، أدب على الإعلان وترك، وإذا كفر بما ليس معهود كفره كالسب ونحوه قتل.

واختلف إذا سب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم أسلم تقية القتل.

فالمشهور من المذهب أنه يترك.

وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: **"الإسلام يجب ما قبله"**[٤].

---

(١) في المخطوط: فإن إذ قد عظم، وفي بعض العبارة سقط أثبته على حسب مقتضى السياق. والله أعلم.

(٢) في المخطوط : فذكر . وهو تحريف أيضًا حيث جعل الكلمتين كلمة واحدة غير مناسبة للمعنى.

(٣) في المخطوط: معتقد. وهو تحريف أيضًا وهذا دل كما أسلفت على أن الناسخ كان في حالة إجهاد عند ما كان ينسخ في تلك الأوراق، والله أعلم.

(٤) أطراف هذا الحديث عند: أحمد في المسند (١٩٩/٤، ٢٠٤، ٢٠٥)، كشف الخفا (١٤٠/١)، ابن عساكر في التاريخ (١٠٠/٥)، (٤٣٦/٧)،

وفي العتبية أن يقتل ولا يكون المسلم أسوأ حالاً منه.

قوله عز وجل: ﴿**قاتلوا أئمة الكفر**﴾ [1] أي رؤساؤه وأعيانه الذين يقودون الناس إليه.

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾ [2] قال ابن عطية -رحمه الله-: ظاهر هذه الآية لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة، فالمخاطبة على هذا هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب خوطبوا بأن لا يوالوا الآباء والإخوان فيكونوا لهم تبعًا في سكنى بلاد الكفر.

ولم يذكر لأبنائهم في هذه الآية [٢٥/ب] إذ الأغلب من القرآن [أن[3]] الأبناء هم التبع للآباء في هذه الآية.

وقرئ: أن استحبوا. بفتح الهمزة للتعليل، وذلك أن المسلم إذا هجر قريبه كان هجره حاملاً له على الإسلام، وإذا خالطه وقربه بقي على حاله.

وقد رأيت هذه الآية في الأقارب: الآباء، والإخوان.

نهى الله -سبحانه وتعالى- المؤمنين عن موالاة أقاربهم إذا كانوا كفارًا، فكيف الأجانب؟!

ثم حكم الله تعالى أن من والاهم واتبعهم في أغراضهم ظالم واضع للشيء في غير موضعه، وهذا ظلم المعصية لا ظلم الكفر.

=

المتقي في الكنز (٢٤٣، ٣٧٠٢٤).

(١) سورة التوبة (الآية: ١٢).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٢٣).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

قوله عز وجل: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾[1].

تأمل هذه الآية، وما انطوت عليه من إشارة الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- على ما تهواه النفوس وتحب القلوب من الأقارب والمساكن والتجارات.

ثم توعد سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿**فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**﴾[2] وهذا وعيد عظيم لمن تأمله.

فينبغي إيثار طاعة الله تعالى على كل شيء محبوب.

ومن جملة طاعة الله تعالى كف أيدي الكافرين عن أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم**﴾[3].

اختلف المفسرون [٢٦/أ] هل نجاسة الكافر لأنه جنب أو لأن معنى الشرك ينجسه كنجاسة الخمر؟

---

(١) سورة التوبة (الآية: ٢٤).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٢٤).

(٣) سورة التوبة (الآية: ٢٨).

ومجال بسط القول في تفسير هذه الآية في كتب الفقه لا في كتب التفسير، وما ذكره المؤلف رحمنا الله وإياه هنا إنما هو طرفًا مما ذكروا في ذلك في هل هي نجاسة حسية أو معنوية؟

قال الحسن البصري: من صافح مشركًا فليتوضأ.

قال ابن عطية: فمن قال بسبب النجاسة، أوجب الغسل على من أسلم من الكفار.

ومن قال بالقول الآخر، لم يوجب الغسل.

وخص الله تعالى في هذه الآية المشركين والمسجد الحرام.

فقاس مالك وغيره جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائر المساجد على المسجد ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد.

وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- إلى عماله، واتبع نهيه بهذه الآية.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**﴾[1].

وقال الشافعي[2] رضي الله عنه: عامة في الكفار خاصة بالمسجد الحرام.

---

(١) سورة النور (الآية: ٣٦).

(٢) هو: محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، إمام المذهب، المحدث، الفقيه، القرشي الهاشمي، المطلبي، المكي، الغزي، الشافعي.
الشهرة: الإمام الشافعي.
ولد سنة: (١٥٠) في غزة بفلسطين وحمل إلى مكة وتوفي سنة (٢٠٤) في آخر يوم من رجب وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة عند أهل السنة وإليه تنسب الشافعية.
=

فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد.

وقال أبو حنيفة[1]: في المسجد الحرام وغيره، ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد.

=

ونشأ بمكة، وبمدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقدم بغداد، وحدث بها، ثم قدم إلى مصر فنزلها إلى أن توفي ودفن بها رحمه الله.

ومصادر ترجمته كثيرة وكذا مؤلفاته راجعها في كتاب ديوان الإسلام بتحقيقي (ت ١٢٥٦).

(١) هو : النعمان بن ثابت بن زوطي، أبو حنيفة التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة. ويقال: من أبناء الفرس. ولد سنة: (٨٠)، وتوفي سنة (١٥٠).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٣٩٠): قال أحمد العجلي: أبو حنيفة تيمي من رهط همزة الزيات كان خزازًا يبيع الخز وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة: أما زوطي فإنه من أهل كابل، وولد ثابت على الإسلام، وكان زوطي مملوكًا لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتق فولاؤه لهم ثم لبني قفل.

قال: وكان أبو حنيفة خزازًا ودكانه معروف في دار عمرو بن حريث.

وقال محمد بن سعد العوفي: يحيى بن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظ، وقال صالح بن محمد: سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة في الحديث.

وروى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين : كان أبو حنيفة لا بأس به.

وقال مرة: هو عندنا من أهل الصدق و لم يتهم بالكذب، ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيًا.

قلت: ومصادر ترجمته كثيرة راجعها مع مؤلفاته في كتاب ديوان الإسلام بتحقيقي (ت: ٧٦٣).

وقال عطاء: وصف المسجد الحرام ومنع القرب منه يقتضي منعه من سائر الحرم وقوة قوله تعالى: ﴿**فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾ [1].يقتضي أمر المسلمين بمنعم، قاله ابن عطية.

وكان المسلمون لما منع المشركون من الموسم، وهم كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم [٢٦/ب] الخوف من الفقر كما قذف في نفوس الأمراء اليوم الخوف من تضييع الأموال إذا لم يباشرها النصارى.

وقالوا: من أين نعيش فوعدهم الله تعالى أن يغنيهم الله من فضله إذا آثروا رضي الله تعالى على ما يعتقدون أنه صلاح حالهم.

وقال عكرمة[2]: أغناهم بإدرار المطر عليهم.

---

(١) سورة التوبة (الآية: ٢٨).

(٢) هو عكرمة بن عبد الله أبو عبد الله، الحافظ، المفسر، القرشي، مولاهم، البربري، المدني.

ولد سنة: (٢٥). وتوفي سنة: (١٠٤)، وقيل: (١٠٧)، وقيل: (١١٠).

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٦٣/٧): قال العجلي: مكي، تابعي، ثقة بريء مما يرميه به الناس من الحرورية. وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلاوهو يحتج بعكرمة. وقال النسائي: ثقة. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عكرمة كيف هو؟ قال: ثقة، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: نعم، إذا روى عنه الثقات، والذي أنكر عليه يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك فلسبب رأيه. وقال مصعب الزبيري: كان يرى رأي الخوارج.

قلت: ومن كتبه تفسير القرآن.

ومصادر ترجمته كثيرة وهو من مشاهير المحدثين من التابعين ومن المفسرين.

راجع في مصادر ترجمته ديوان الإسلام بتحقيقي (ت: ١٤١٦).

وقال غيره: وأسلمت العرب فتمادى حجهم ونحرهم وأغنى الله بفضله بالجهاد والظهور على الأمم.

والعيلة: الفقر، يقال: عال الرجل، يعول عيلة، إذا افتقر.

قال الشاعر:

وَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ ... وَمَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعُوْلُ

قوله عز وجل: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**(١).

اقتضت هذه الآية قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية عن يد.

وقوله تعالى: **﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق﴾**(٢) لا يطيعون ولا يمتثلون.

ومنه: قول عائشة رضي الله عنها: ما عقلت أبواي إلا وهما يدينان الدين.

والجزية: ما يؤديه المعاهد على عهده، وهي فعلة من جزي يجزي، إذا قضى ما عليه وقوله تعالى: **﴿عن يد وهم صاغرون﴾**(٣).

يدفعها من يده إلى يد من يدفعها إليه كما يقال: كلمته فما بفم(٤).

---

(١) سورة التوبة (الآية: ٢٩).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٢٩).

(٣) سورة التوبة (الآية: ٢٩).

(٤) وما أذهب إليه في معنى هذه الآية هو ما ذهب إليه ابن عطية ومن قوله عن استسلام منهم وانقياد إذ هذا هو غاية مراد الإسلام ممن خالفه فمن أطاع واستسلم وترك للمسلمين شؤن تصريف دولتهم فلا سبيل لهم عليه =

قال أبو عبيدة: [٢٧/أ] يقال لكل من أعطي شيئًا كرهًا من غير طيب نفس منه أعطاه عن يد.

وقال العتبي: يقال: أعطاه عن يد، وعن ظهر يد إذا أعطاه مبتدئ غير متكلف.

وقال ابن عباس، وأبو عبيدة: هو أن يعطوها بأيديهم يمشون كارهين ولا يجيئون بها ركبانًا، ولا يرسلون.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون عن نعمة في قبولها منهم وتأمينهم.

واليد في كلام العرب القوة، يقال: فلان ذو يد، ويقال: ليس بكذا وكذا يد، أي قوة.

ويحتمل أن يقال: يريد ينفذونها ولا يؤخرونها، كما تقول: بعه يدًا بيد.

ويحتمل أن يكون استسلام منهم وانقياد، على نحو قولهم: ألقى فلان بيده، إذا عجز واستسلم.

وقوله عز وجل: ﴿**وهم صاغرون**﴾ [1] لفظ يعم وجوهًا لا تحصر لكثرتها، فذكر منها:

عن عكرمة: أن يكون قابضها جالسًا، والدافع من أهل الذمة قائم، وصاغرون: ذليلون مهينون.

=

﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة**﴾ بعد ما يقترب منه الإسلام ويعايشه ويلمسه عن قرب لا عن سماع، إذ أن أهل النصرانية وأئمتهم يصورون لهم الإسلام على غير حقيقته فلما يعايشه تكون هناك فرصة لمعرفته فيعطون الجزية، ويدرسون الدين فإن أحبوه دخلوا فيه وإن لم يرق لهم استمروا في دفعها بلا ضرر عليهم، ومنهم.

(١) سورة التوبة (الآية: ٢٩).

وقال الكلبي[1]: هو أنه إذا أعطى الجزية صفع في قفاه[2].
وقيل إعطاؤها هو الصغار. وقيل: إنه لا يقبل فيها رسالة ولا وكالة.
وقيل: هو أن تجري عليهم أحكام الإسلام.
وبالجملة: فينبغي إظهار عزة الإسلام وإذلال أهل الكفر.

---

(١) هو إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي.
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧٢/١٢): الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور، الكلبي البغدادي الفقيه، ويكنى أيضًا أبا عبد الله.
ولد في حدود سنة سبعين ومائة. جمع وصنف.
قال أبو بكر الأعين: سألت أحمد بن حنبل عنه، فقال: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسلاخ سفيان الثوري وقال النسائي: ثقة مأمون أحد الفقهاء وقال أبو حاتم بن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلاً. صنف الكتب، وفرع على السنن، وذب عنها، رحمه الله تعالى. ذكره الخطيب وأثنى عليه، وقال: توفي في صفر سنة أربعين ومائتين. قيل: سئل أحمد عن مسألة، فقال: سل غيرنا، سل الفقهاء سل أبا ثور. وقال بدر بن مجاهد: قال لي سليمان الشاذاكوني: اكتب رأي الشافعي، واخرج إلى أبي ثور، ولا يفوتنك بنفسه.
قال الخطيب: كان أبو ثور يتفقه أولاً بالرأي ويذهب إلى قول العراقيين حتى قدم الشافعي، فاختلف إليه، ورجع عن رأي إلى الحديث.
وراجع مصادر ترجمته في هامش سير أعلام النبلاء.
(٢) ما كان هذا هو الإسلام يومًا ما ، ومن قال مثل هذا الكلام عنه إنما أراد أن يشوه صورته ويظهر بمظهر أهل الكبر والبطر والطغيان والجبروت والقسوة، ومن لا دين لهم غير القوة.
ولا أظن مثل هذا الكلام إلا مكذوب على هذا الشيخ الذي شهد له بالعلم والفقه والفتيا.

وأما في وقتنا هذا فما أغفلهم عن هذه الآية المسلمون يعطون النصارى الرشا والبراطيل وهم صاغرون، والكفار يتكبرون عليهم [٢٧/ب] ويهددوهم ويحتقروهم، ومنهم من لا يؤدي جزية أصلاً، ومنهم من يبعث بها.

فلم يكن لهذه(١) الآية وقع في قلوب أهل زماننا، ولا امتثال.

إن هذا الأمر شنيع وخطب فظيع، أكابر أهل الدنيا في زماننا هذا يداهنون النصارى، ويتقربون إليهم، ومنهم من يقبل أيديهم وأرجلهم في الركاب؛ كل هذا لتمكنهم في الدولة وخشية شرهم وتقيتهم.

فهل هذا هو حكم الله فيهم؟

وقد سمعت ما ذكر الله تعالى في كتابه فيهم، وقد قال تعالى: **﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾**(٢).

يعني أن وبال مكرهم ضرر عائد عليهم، فهم في الحقيقة يمكرون بأنفسهم، فإن الله سبحانه وتعالى إذا خولف أمره أظهر الانتقام منهم، فكأنهم تسببوا في هلاك أنفسهم.

فينبغي لهؤلاء الذين مكنهم الله في الأرض أن يعزلوا هؤلاء الكفار وينابذوهم، ويذلوهم كما أمر الله تعالى، رجاء أن يصلح الله شأنهم ويعلي كلمتهم، وينصرهم الله على أعدائهم، فإنهم إذا مكنوا أعداء الله يوشك أن يمكن الله منهم أعداءهم، وقد جاء: (كما تكونوا يولى عليكم)(٣).

---

(١) في المخطوط: لأهل. وهو تحريف.

(٢) سورة الأنعام (الآية: ١٢٣).

(٣) هذا الحديث وأمثاله وما في معناه من الأحاديث الجارية والشائعة على ألسنة العوام وهي في الحقيقة من الموضوعات.

=

ومن الأمثال السائرة: "كما تدين تدان".

فينبغي أن يعتبر بمن خالف أمر الله من أهل المشرق كبغداد، وبلاد العجم، وكانت لهم قوة وجلد ومال وعدد، فأخذهم الله تعالى، وسلط عليهم العدو وكل هذا [٢٨/أ] لإظهار المعاصي، ومخالفتهم الأوامر وإنه ليخشى على أقلهم مضرة بسبب هذا المنكر العظيم أن يسلط علينا العدو فالله يوقظ المسلمين من هذه الغفلة إنه على كل شيء قدير.

وقوله عز وجل: ﴿**وجعل كلمة الذين كفروا السفلى**﴾ [١] يريد بإدحارها، ودحضها، وإذلالها ﴿**وكلمة الله هي العليا**﴾ [٢] يريد: لا إله إلا الله.

وقيل: يريد الشرع بأسره وهذا يقتضي إذلال أهل الكفر[٣]، واعزاز أهل الإسلام وأن لا يجعل لذمي كلمة عالية على المسلمين.

=

وقد قال الشوكاني، في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص٢١٠) عن هذا الحديث: في إسناده وضاع، وفيه انقطاع وأطراف الخبر عند: المتقي الهندي في كتر العمال (١٤٩٧٢)، ابن الجوزي في تذكرة الموضوعات (١٨٢)، العجلوني في كشف الخفا (٢/١٨٤)، الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٣٢٠).

(١) سورة التوبة (الآية: ٤٠).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٤٠).

(٣) إذا كان المراد بالإذلال هنا الإرغام فلا بأس به على أن يعطوا الجزية عن يد أو وعدم رفعهم فوق رؤوس أهل الإسلام، فلا بأس أيضًا، أما الإذلال لمخالفتهم لدين الإسلام فلم ينص على ذلك القرآن والدولة المسلمة يعيش فيها المسلم، والذمي، والمستأمن في حالة حفظ لكرامتهم ما داموا في أرضها بإذن أهلها، وما داموا خاضعين لما تعاهدوا عليه واتفق معهم عـــليه، فإن =

قوله عز وجل: ﴿**وفيكم سماعون لهم**﴾[1] هذه في النهي عن الاستماع من المنافقين، ويدخل فيها الكفار كلهم.

وجمهور المفسرين على أن معناه: وفيكم مطيعون لهم سماعون منهم.

﴿**والله عليم بالظالمين**﴾[2] وعيد لهم ولمن كان من المؤمنين على هذه الصفة.

قوله عز وجل: ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾[3].

وفي هذا كله حض على منابذة أهل الكفر ومباعدتهم وترك الصلاة عليهم، واجتنابهم وإن كانوا أقارب.

ثم قال تعالى: ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه**﴾[4].

في قوله تعالى: ﴿**لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء**﴾[5].

لأن إبراهيم عليه السلام طمع في إسلامه فحمله ذلك الاستغفار له حتى نهى عنه، وأما تبينه أنه عدو لله، قيل: بموت آزر على الكفر.

[٢٨/ب] وقيل: إنه نهي عنه وهو حي وهذا كله تحريض على معاداة الكفار وإهمالهم وترك الاحتفال بهم، وإن كانوا أقارب ففي تقريب أعـــداء

=

مخالف حوسب على قدر مخالفته إما تعزيرًا، وإما قتلاً كل هذا في غير إذلال.

(١) سورة التوبة (الآية: ٤٧).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٤٧).

(٣) سورة التوبة (الآية: ١١٣).

(٤) سورة التوبة (الآية: ١١٤).

(٥) سورة الممتحنة (الآية: ٤).

الله بغي في الأرض، والله تعالى يقول: ﴿**يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون**﴾ [١].

أي ما تنالوه من الفساد والبغي، إنما[٢] تمتعون به في الحياة الدنيا ﴿**ثم إلينا مرجعكم**﴾ [٣] وهذا وعيد لمن تدبر وتهديد شديد لمن فهمه.

قوله تعالى: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**﴾ [٤] أي لا تداهنوا الكفار، ولا ترضوا بأعمالهم فيصيبكم لفح النار.

﴿**وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**﴾ [٥] وما يمنعكم من عذاب الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿**وإذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا**﴾ [٦] هذا وعيد لمن خالف أمر الله تعالى، ووعد الله صدق حق، أي: سلطنا[٧] شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم. وأي عصيان أشد من تسليط النصارى على المسلمين؟ وتحكيمهم فيهم والرضى بأفعالهم؟

---

(١) سورة يونس (الآية: ٢٣).

(٢) تكرر هذا اللفظ في المخطوط فحذفت التكرار.

(٣) سورة يونس (الآية: ٢٣).

(٤) سورة هود (الآية: ١١٣).

(٥) سورة هود (الآية: ١١٣).

(٦) سورة الإسراء (الآية: ١٦).

(٧) أي : جعلناهم سلاطين على أهل هذه القرية وانظر أنت كيف يكون الحال إذا صار أمر قرية إلى شرارها والمفسدين فيها سلمنا الله وإياكم من تلك الحال، ويكفي نظرة واحدة على النتيجة من قوله تعالى ﴿**دمرناها تدميراً**﴾.

ومعنى ﴿**دمرناها**﴾. أخربناها وأهلكنا من فيها إهلاكاً.

ألم تسمع الجليل جل جلاله يقول لنبيه صلى الله غليه وسلم: ﴿**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرًا**﴾ [١] يعني [٢٩/أ] ضعف ما يعذب به غيرك في الدنيا والآخرة.

وهذا الوعيد العظيم لمن يركن للكفار أو يميل إليهم وهو تسميع للمؤمنين وتعظيم لهذا الأمر.

وانظر إلى الإشارة في قوله عز وجل ﴿**وإذ اعتزلوهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقًا**﴾ [٢] أي من اعتزل أعداء الله لطف الله به، ورفق: أحسن إليه.

إذ المقصود من الخير الاقتداء والتشبه بأفعال من أثنى الله تعالى عليه، كما أن المقصود من خبرِ الكفار وسوء عاقبتهم اجتناب ما فعلوه والمباعدة منه.

وتفطن لقوله تعالى في إبليس لعنه الله: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً**﴾ [٣] على طريق الإنكار على فاعل ذلك. وقد بين الله تعالى السبب المقتضي لقبح الموالاة وهو قوله تعالى: ﴿**وهم لكم عدو**﴾ [٤].

---

(١) سورة الإسراء (الآية : ٧٤،٧٥) ومع ما في هذه الآية من الوعيد الشديد، إلا أن فيها العدل الكبير أيضًا وذلك أن له على حسناته أجور مضاعفة ولنسائه أجرين على سائر الناس، فكذلك تهدده هنا بمضاعفة العذاب.

(٢) سورة الكهف (الآية: ١٦).

(٣) سورة الكهف (الآية: ٥٠).

(٤) سورة الكهف (الآية: ٥٠).

يعني أن العدو لا يؤمن شره ولا مكره، فالنصارى خذلهم الله أعـــداء فدخل متوليهم تحت هذا الإنكار، لوجود العلة المانعة عن الموالاة فيهم.

ثم أن الله تعالى أسماهم ظالمين لأنهم وضعوا الأشياء في غير محلها.

والعدول من صيغة المخاطب الحاضر إلى الغائب في قوله: ﴿**أفتتخذونـه وذريته**﴾[1]، ثم قال: ﴿**بئس للظالمين بدلاً**﴾[2]، دليل على قوة الإنكـــار، هذا قول علماء البيان.

قوله تعالى: ﴿**وما كنت متخذ المضلين عضدًا**﴾[3] قال المفســـرون: يعني أنصارًا وأعوانًا.

وهذه الآية فيها تسميع لمن يفعل ذلك وتقبيح لفعله وتشنيع عليه لأن الله تعالى [٢٩/ب] لا يتخذ المضلين ولا الهادين أعوانًا.

لكن في ذكر هذا تقبيح على متعاطي ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿**لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة**﴾[4].

فالربا لا يجوز أكله على كل حال، وإنما ورد هذا مورد التشنيع على فاعل ذلك، وهذا على وجه الحث[5]، ولم أجده منقولاً.

وتأمل بعقلك قوله تعالى في حق إبراهيم الخليل.

﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا، ووهبنا لهم من رحمتنا**﴾[6].

---

(١) سورة الكهف (الآية: ٥٠).

(٢) سورة الكهف (الآية: ٥٠).

(٣) سورة الكهف (الآية: ٥١).

(٤) سورة آل عمران (الآية: ١٣٠).

(٥) أي الحث والتحريض على ترك الفعل بالتخويف والكلمـــة في المخطـــوط: البحث وأحسبه تحريف من الناسخ والله أعلم.

(٦) سورة مريم (الآية: ٤٩، ٥٠).

قيل المال **﴿لسان صدق عليًا﴾**[1]. يعني ثناءً حسنًا رفيعًا من كل الأديان، فكل أهل دين يتولوهم ويثنون عليهم.

فاعلم أن في اعتزال أعداء الله والتنحي عنهم صلاح الدنيا والآخرة يدلك على ذلك قوله تعالى: **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾**[2].

وتأمل بعقلك ما أخبر الله به عن آدم -عليه السلام- إذ أوحى -سبحانه- إليه يحذره من عدوه بقوله تعالى: **﴿يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾**[3].

فحذره إبليس، وأعلمه أنه عدو **﴿فوسوس إليه [٣٠/أ] الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾**[4].

وتسبب العدو إلى أن تمكن من غرضه وأخرجه من الجنة فكفى بهذا تحذيرًا من الركون إلى الأعداء وتنبيهًا على مكائدهم فينبغي للعاقل أن يحذر عدوه ويجانبه فإنه إذا قربه ولو حذر منه تسلط عليه وقوى على إيصال الأذية إليه.

قوله عز وجل: **﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾**[5]. الآية

نفت هذه الآية الإيمان عن متولي الكفار، ومعناه[6] نفي الإيمان الكامل لأن موالاتهم وإن كانت من أعظم المعاصي فلا تسلب الإيمان الأعلى ما قاله

---

(١) سورة مريم (الآية: ٥٠).

(٢) سورة هود (الآية: ١١٣).

(٣) سورة طه (الآية: ١١٧).

(٤) سورة طه (الآية: ١٢٠).

(٥) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٦) يبدو أنه سقط من هنا لفظ وأظن أن المراد: "وليس معناه" ليستقيم سياق =

بعض أهل العلم: إن ذلك يكون سببًا في الوفاة على غير الإسلام نعوذ بالله تعالى من ذلك.

قال ابن عطية: ومعنى يوادون أي يكونون بينهم من اللطف بحيث يود كل واحد منهم صاحبه.

وعلى هذا التأويل قال بعض الصحابة: اللهم لا تجعل لكافر قبلي يدًا فتكون سببًا للمودة، فإنك تقول، وتلى هذه الآية.

قال: ويحتمل أن يكون المعنى: لا يوجد من يؤمن بالله والبعث يواد من حاد الله لأجل المحاددة لأنه حينئذ يود المحاددة وذلك يوجب ألا يكون مؤمنًا، فعلى هذا يكون نفي الإيمان على حقيقته.

قال الثعلبي: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالسًا إلى جنب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشرب رسول الله [٣٠/ب] -صلى الله عليه وسلم- الماء، فقاله له: فضلة من شرابك يا رسول الله، قال: "**وما تصنع بها**".

قال أسقيها أبي لعل الله أن يطهر قلبه، ففعل، فأتاه بها، فقال: ما هذا؟ قال فضلة من شراب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فقال له أبوه: هلا جئتني ببول أمك.

فرجع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، ائذن لي في قتل أبي.

=

الكلام ، هذا على خلاف بين العلماء في نفي الإيمان بالكلية من عدمه. والله أعلم.

ولكن أثبت ما يفيد استقامة الكلام المراد توصيله إلى القارئ، وللقارئ أن يراجع الأقوال حسب ما يظهر له من أدلة أخرى مع هذا الدليل ؛ ليظهر له وجه الحق في المسألة. والله تعالى أعلم.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**بل ترفق به وتحسن إليه**"[1].

قال ابن جريج[2]: حدثت أن أبا قحافة سب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فصكه أبو بكر ولده صكة سقط منها، ثم ذكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "**أو فعلت**"؟! قال: نعم، قال: "**تعد إليه**".

---

(١) أطراف الحديث عنه: القرطبي في التفسير (٣٠٧/١٧) ابن كثير في التفسير (١٥٩/٨)، ابن حجر في فتح الباري (٦٥٠/٨).

قلت : وفي هذا الحديث دعوة لترفق الولد بوالده عسى الله أن يهديه بسبب ذلك الترفق ، وإن كان هنا في علم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه منافق وأنه لن يتوب من هذا النفاق بإخبار الله له، وهي قصة معروفة، ففي الحديث حث على الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين، سائلاً المولى أن يهدي لي والدي ويرحم أمي آمين.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥) : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام ، العلامة الحافظ شيخ الحرم ، أبو خالد، وأبو الوليد، القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، مولى أمية ابن خالد.

وقيل: كان جده جريج عبداً لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد الأموي، فنسب ولاؤه إليه وهو عبد رومي.

وكان لابن جريج أخ اسمه محمد لا يكاد يعرف، وابن اسمه محمد .. قال عبد الله ابن أحمد: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟

قال: ابن جريج، وابن أبي عروبة، قال ابن عيينة: سمعت ابن جريج يقول: ما دون العلم تدويني أحد. وقال: جالست عمرو بن دينار بعد ما فرغت من عطاء تسع سنين.

قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن جريج:

فقال أبو بكر: ولو كان السيف قريبًا مني لقتلته، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

=

لمن طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي. غير أن ابن جريج فإنه قال: طلبته للناس قلت (أي الذهبي) : ما أحسن الصدق، واليوم تسأل الفقيه الغبي: لمن طلبت العلم؟ فيبادر ويقول : طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا، ويا قلة ما عرف منه.

قال أبو محمد بن قتيبة : مولد ابن جريج سنة (٨٠) عام الجحاف .. ومات سنة خمسين ومائة.

(١) ذكر الخبر القرطبي في تفسير القرآن (٦٤٧٧/٩) ثم ذكر عن ابن مسعود كما هو وارد بعضه هنا فقال: قال ابن مسعود: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل يوم بدر ، وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة، وأبو عبيدة يحيد عنه. فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه ﴿**لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾الآية.

قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالاً من بني الحارث ابن فهر، فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام.

﴿**أو أبناءهم**﴾ يعني أبا بكر، دعا ابنه عبد الله إلى البراز يوم بدر.

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**متعنا بنفسك يأ أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر**"؟

﴿**أو إخوانهم**﴾ يعني: مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر.

ثم ذكر القرطبي تفسير باقي الآية على نحو مما ذكره المؤلف هنا.

والآية واضحة الدلالة في عدم مولاة الكفار، والتبرؤ منهم، والاكتفاء بما وسع الله به على أمة الإسلام من علوم عند أهلها يفيدهم ويخدمهم في حياقم دون الاستعانة بغيرهم حتى تحفظ كرامتهم وتصان أسرار دولتهم.
=

وروى مقاتل الهمداني: عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿**ولو كانوا آباءهم**﴾ يعنى أبا عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد.

﴿**أو أبناءهم**﴾ يعني: أبا بكر دعا ابنه إلى البراز يوم بدر.

﴿**أو إخوانهم**﴾[1]: يعنى مصعب بن عمير يوم أحد.

﴿**أو عشريتهم**﴾[2]: يعني عمر ، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلى، وحمزة، وعبيدة: قتلوا عتبة وشيبة، والوليد بن عتبة يوم بدر، فأثنى الله عليهم هذا الثناء العظيم بقوله تعالى: ﴿**كتب في قلوبهم الإيمان**﴾[3] أثبته فيها فهي مؤمنة مخلصة.

[٣١/ب] ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾[4]: وقواهم بنصر منه، قاله الحسن.

وقال ابن عطية: معناه: هدىً، ولطف، وتوفيق إلهي ينقدح من القرآن، وكلام النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقيل: أنذرهم بالقرآن لأنه روح.

والمفلح: الفائز ببعثه.

فانظر ما اشتلمت عليه هذه الآية من التغليظ على من والاهم وأحبهم، وتقبيح فعله، ونفي الإيمان عنه.

ومن الثناء الجليل والذكر الجميل لمن أبغضه وعاداهم في الله، وباعدهم وإن كانوا أقاربه وأهله.

=

ويهاب جنابهم.

(١) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٢) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٣) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٤) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

فهذه الآية نهاية في هذا الباب، ونازعة عن الموالاة لذوي الألباب.

﴿أولئك حزب الله﴾[1] ثم قال: **﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾**[2].

وأتى بالجواب عامًا لأنهم يدخلون فيه إذ هم من حزب الله، وإذا كانوا من حزب الله فهم المفلحون[3].

قوله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾**[4] الآية. العدو: يقع على الجمع والواحد.

ومعنى **﴿تلقون إليهم بالمودة﴾** أي المودة والباء زائدة مثل قول القائل: أريد أن أذهب، أو أريد بأن أذهب.

قال الله تعالى: **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾**[5].

ثم ذكر السبب المقتضى لعدم جواز توليهم وهو كفرهم وأذاهم للرسول والمؤمنين وإخراجهم.

وهذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى أهل مكة من كفار قريش [٣١/ب] بخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه يريد أن يغزوهم.

---

(١) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٢) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٣) وهي آية تجمع بين الترغيب والترهيب، فهي على بعض الأقوال تنفي الإيمان عمن والى غير المسلمين ووادهم وفعل العكس مع المسلمين فحاددهم ثم هي ترفع من شأن من جعل ولاءه ظاهرًا وباطنًا فجعلهم حزبه ثم أكد لهم على أن في حزبه الفلاح وهو أمر معروف لديهم من أول الأمر غير أن في التأكيد تذكيرًا لهم.

(٤) سورة الممتحنة (الآية: ١).

(٥) سورة الحج (الآية: ٢٥).

وقصته مشهورة تركناها خشية التطويل والآية عامة في كل من والى أعداء الله تعالى إلى يوم القيامة.

قال الثعلبي: وفي الكلام تقديم وتأخير، ونظم الآية: ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ إلى قوله: ﴿**السبيل**﴾ [1].

والضمير في فعله عائد على الاتخاذ المذكور ﴿**وسواء السبيل**﴾: وسط الطريق شرع الله تعالى، والمعنى: فقد ضل عن طريق شرع الله.

وإنما سمى الوسط سواء لأنه يساوى نسبته إلى أطراف الشيء.

وقوله تعالى: ﴿**إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلى وابتغاء مرضاتي**﴾ [2].

يحتمل أن يكون[3] هذا من باب التهييج والتحريض، والإغراء على معاداهم، كما يقول القائل لولده: أطعني إن كنت ابني.

إذا قصد تحريضه على الفعل أو الطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿**إن كنتم خرجتم**﴾ [4] وقد تقدم هذا.

قوله تعالى: ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾ [5] الآية.

أخبر الله -سبحانه وتعالى- أن مداراة الكفار غير نافعة في الدنيا وأنها ضارة في الآخرة؛ ليبين فساد رأي مصانعهم، ومعنى (يثقفوكم): يتمكنوا

---

(١) سورة الممتحنة (الآية: ١).

(٢) سورة الممتحنة (الآية: ١).

(٣) تكرار هذا اللفظ في المخطوط، فحذفت التكرار.

(٤) سورة الممتحنة (الآية: ١).

(٥) سورة الممتحنة (الآية : ٢) وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة ثقف: ثقف الشيء ثقفًا وثقافًا وثقوفة: حذفه.

ورجل ثقف وثقف: حاذق فهم.

منكم ويخلصوا في نفاقكم، يظهر لكم عداوتهم وبسط أيديهم بضرركم، وألسنتهم بسبكم

وهذا هو السوء وأشد من هذا كله أنهم إما يقنعهم أنكم تكفرون.

وهذا هو ودهم لأن المعنى الذي حصلت به العداوة هو الإيمان [٣٢/أ] ولا تزول العداوة إلا به، كما قال تعالى: ﴿**يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله**﴾(١) أي لأجل إيمانكم بالله.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾(٢).

ثم أخبر تعالى أن هذه القرابات التي رغبتم في أصلها لن تنفعكم يوم القيامة. ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾(٣) وعيد وتحذير.

قوله عز وجل: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله**﴾ إلى قوله ﴿**المصير**﴾(٤).

حضنا الله تعالى وحرضنا بهذه الآية على الاقتداء بأبينا إبراهيم الخليل

---

(١) سورة الممتحنة (الآية: ١).

(٢) سورة البروج (الآية: ٨).

(٣) سورة الممتحنة (الآية: ٣).

وقد قال القرطبي في التفسير في هذه الآية: ﴿**إن يثقفوكم**﴾: يلقوكم، ويصادفوكم، ومنه المثاقفة، أي طلب مصادفة العزة في المسابقة وشبهها.

وقيل: ﴿**يثقفوكم**﴾: يظفروا بكم ويتمكنوا منكم.

قلت: وهذا ما أذهب إليه في فهم هذه الآية.

(٤) سورة الممتحنة (الآية: ٤)، وقال القرطبي في التفسير بعد ذكرها: لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وأن من سيرته التبرؤ من الكفار أي فاقتدوا به وأتموا، إلا في استغفاره لأبيه.

-عليه الصلاة والسلام- والذين معه، وجعل الاقتداء بهم أسوة حسنة.
والإسوة بكسر الهمزة وضمها: القدوة والإمام، والمثال.
واختلف الناس في الذين معه، فقيل: من آمن به من الناس.
وقال الطبري وغيره[1]: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبًا من عصره.

---

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الإمام المجتهد.
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/٢٦٧): صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان.
مولده سنة أربع وعشرين ومائتين وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقى نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله.
واستقر في آخر أمره ببغداد، وكان من كبار أئمة الاجتهاد.
قال الخطيب: .. كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم. وله الكتاب المشهور في: "أخبار الأمم وتاريخهم".
وله "**كتاب التفسير**" لم يصنف مثله، وكتاب سماه: تهذيب الآثار، لم أر سواه في معناه، ولكن لم يتمه.
وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه.
قال أحمد بن كامل: توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة.

وتعجب من تعظيم الله تعالى في قلوب هؤلاء المؤمنين في قولهم، لم يكفهم التبري من قومهم، ولا متاركتهم حتى أبدوا لهم العداوة والبغضاء من أجل كفرهم، وجعلوا غايتهم أن يؤمنوا بالله وحده.

لا جرم أن الله تعالى أثنى عليهم هذا الثناء، وحض أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على اتباعهم والاقتداء بهم، ثم قال الله تعالى تأكيداً لذلك: **﴿لقد كان [٣٢/ب] لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول الله فإن الله هو الغني الحميد﴾**(١).

إعراض عن من لم يقتد بهم، ووعيد وحض على مباعدة الكفار وإظهار العداوة لهم فانظر هذه الآية وما انطوت عليه، فهل يسمع أحد في قلبه شيء من إيمان بهذا، ثم يقرب النصارى ويشاورهم أو يستكتبهم أو يوليهم على أهل الإيمان؟

لا يفعل ذلك بعد سماع هذه الآيات إلا من أمن مكر الله، واستخف بوعيد الله.

وقد ذكر الله تعالى اليهود والنصارى بأقبح ذكر، ووصفهم بأخس وصف، فقال عز وجل: **﴿أولئك هم شر البرية﴾**(٢).

فوجب على كل من آمن بالله عز وجل الانقياد لأحكامه واتباع أوامره وتقريب من قرب وإبعاد من أبعد، ولا كلفة في إبعاد النصارى وعزلهم عن الولاية والاستخدام إذ غيرهم من المسلمين يفعل ما يفعلونه.

---

(١) سورة الممتحنة (الآية: ٦)، وقال القرطبي في تفسيرها: أي في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء وأسوة حسنة أي في التبرؤ من الكفار.
وقيل: كرر للتأكيد ، وقيل نزل الثاني بعد الأول بمدة وما أكثر المكررات في القرآن على هذا الوجه.

(٢) سورة البينة (الآية: ٦).

ولو فعل هذا معهم أسلم أكثرهم، وحصل القصد منهم بعد إسلامهم.

وقد قامت حجج الله تعالى على من والاهم أو استكتبهم أو قربهم أو ولاهم على المسلمين، أو أعزهم على أهل الدين:

﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾[1].

جعلنا الله ممن اتعظ بالقرآن، وانقاد للدليل بالبرهان، ونابذ أهل الكفر والطغيان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨١).

الباب الثالث
في
ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة والتابعين والسلف الصالح من النهي عن موالاتهم وإعزازهم وابتدائهم بالسلام إلى غير (ذلك) مما يشاكله

فافهم ذلك، ولابد من أن نقدم شيئًا يحسن ذكره قبل ذكر الأحاديث وذلك: أن الله فرض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقرن طاعته بطاعته في غير ما آية من كتابه، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾(1).

وقال تعالى: ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**﴾(2).

وقال تعالى: ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾(3).

وقال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾(4).

وقال تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا**﴾(5) فوعد الله سبحانه وتعالى من أطاعه بجزيل الثواب، وأوعد من خالفه بوبيل العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه(6).

---

(1) سورة النساء (الآية: ٥٩).

(2) سورة النور (الآية: ٥٤).

(3) سورة النساء (الآية: ٨٠).

(4) سورة الحشر (الآية: ٧).

(5) سورة النساء (الآية: ٦٩).

(6) هذا الذي يذكره المؤلف - رحمنا الله وإياه - لا خلاف فيه بين المسلمين =

وقال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول**﴾(١) فتمنوا الطاعة حيث لا ينفعهم الندم(٢).

وقد قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾(٣).

قال محمد بن عيسى الترمذي(٤): الأسوة في الرسول: الاقتداء [٣٣/ب] به والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول أو فعل.

وقال عليه الصلاة والسلام: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله"(٥).

عالمهم وجاهلهم فطاعته مقررة في النفوس منذ دخول الإيمان إلى قلب أي مسلم ومن أول لحظة.

(١) سورة الأحزاب (الآية: ٦٦).

(٢) في المخطوط : النهي. وهو تحريف.

(٣) سورة الأحزاب (الآية: ٢١).

(٤) في المخطوط: محمد بن علي الترمذي وهو تحريف، وهو أحد أصحاب كتب السنن الأربعة المشهورة، وقد اشتهر كتابه الجامع الصحيح باسم سنن الترمذي نسبة إليه، ومصادر ترجمته كثيرة جداً راجعها بهامش سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠) وغيره من كتب الأعلام.

(٥) أطراف الحديث عند : الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢١) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٠٦) ، الحميدي في المسند (١١٢٣) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢١٢)، ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٣٤٨)، المتقى الهندي في الكنز (١٤٨٠٤، ١٤٨٥٤، ٣٢٩٧٣)، البغوي في شرح السنة (١٠/ ٤١)، البخاري في الصحيح (٩/ ٧٧)، مسلم في الصحيح (كتاب الإمارة ٣٢، ٣٣)، النسائي في المجتبى (٧/ ١٥٤)، ابن ماجة في السنن (٣٠، ٢٨٥٩)،

وقال صلى الله عليه وسلم: "**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها**"(٢).

وعن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد**"(٣).

=

أحمد في المسند (٢/٩٣)، وغير ذلك كثير، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/١٥٥)، وابن خزيمة في الجامع الصحيح (١٥٩٧).

(١) أطراف الحديث عند : أبي داود في السنن (كتاب السنة ب ٥) الترمذي في الجامع (٢٦٧٦)، ابن ماجة في السنن (٤٢)، أحمد في المسند (٤/١٢٦)، الطبراني في الكبير (١٨/٢٤٦)، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/١١٤)، ابن أبي عاصم في السنن (١/٢٩)، ابن حجر في الفتح (١٣/٢٩٢)، الزيلعي في نصب الراية (١/١٢٦)، البغوي في التفسير (٢/٢٠٦)، المنذري في الترغيب والترهيب (١/٧٨)، ابن الجوزي في تلبيس إبليس (١٢)، ابن عبد البر في التمهيد (٨/٦٦، ١١٦).

(٢) أطراف الحديث عند: النسائي في المجتبى (٣/٥٨)، أحمد في المسند (٣/٣١٩)، ابن سعد في الطبقات (١/٢/٩٨)، المتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٤٠٤)، (٣٠٤١٤)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/٤٣٧)، البيهقي في الأسماء والصفات (٨٢).

(٣) أطراف الحديث عند: أبي نعيم في الحلية (٨/٢٠٠)، الزيلعي في نصب الراية (٢/١٩٠)، الهيثمي في مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد (١/١٧٢)، المتقي

فإذا ثبت هذا، فلنرجع إلى ما ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نحن بصدده.

روى هذا الحديث مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لما خرج إلى غزوة بدر تبعه رجل من المشركين، فقال: إني أريد أن أتبعك وأصيب معك، فقال: "**تؤمن بالله ورسوله**"؟ قال: لا. قال "**فارجع فلن أستعين بمشرك على مشرك**" ثم لحقه عند الشجرة، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت له قوة وجلد، فقال: جئتك لأتبعك وأصيب معك: فقال: "**تؤمن بالله ورسوله**"؟

قال: لا. قال "**فارجع فلن أستعين بمشرك على مشرك**". ثم لحقه على ظهر البيداء، فقال له مثل ذلك، فقال: "**تؤمن بالله ورسوله**"؟ [٣٤/أ]

فقال: نعم[١].

قال الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي[٢] رحمه الله: وهذا

=

الهندي في كتر العمال (١٠٧١)، الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٢٧)، المنذري في الترغيب والترهيب (١/٨٠)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/٧٣٩).

(١) أطراف الحديث عند: مسلم في الصحيح (في الجهاد: ١٥٠)، الترمذي في الجامع الصحيح (١٥٥٨)، أحمد (٦/٦٨/١٤٩)، البيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٧)، الزيلعي في نصب الراية (٣/٤٢٣)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/١٠٠)، السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٢٠)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٩٣).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩٠): الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوشي، الفقيه، عالم الإسكندرية، وطرطوشة: هي

=

آخر حد المسلمين من شمالي الأندلس، ثم استولى العدو عليها من دهر.
وكان أبو بكر يعرف في وقته بابن أبي رندقة.
لازم القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف، ثم حج ودخل العراق.
وسمع بالبصرة سنن أبي داود من أبي علي التستري، وسمع ببغداد من قاضيها أبي عبد الله الدامغاني، ورزق الله التميمي، وأبي عبد الله الحميد، وعدة.
وتفقه أيضًا عند أبي بكر الشاشي، ونزل بيت المقدس مدة، وتحول إلى الثغر، وتخرج به أئمة.
قال ابن بشكوال: كان إمامًا عالمًا زاهدًا، ورعًا دينًا، متواضعًا، متقشفًا متقللاً من الدنيا راضيًا باليسير.
وأخبرنا عنه القاضي أبو بكر ابن العربي ووصفه بالعلم والفضل والزهد والإقبال على ما يعنيه. قال لي: إذا عرض لك أمر دنيا وأمر آخرة فبادر بأمر الآخرة يحصل لك أمر الدنيا والآخرة.
قال القاضي شمس الدين بن خلكان: دخل الطرطوشي على الأفضل بن أمير الجيوشي بمصر فبسط تحته مئزره، وكان إلى جانب الأفضل نصراني، فوعظ الأفضل حتى أبكاه، ثم أنشده:

يا ذا الذي طـــاعته قربة وحقه مفترض واجب
إن الذي شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى ذلك النصراني، فأقام الأفضل النصراني من موضعه.
وقد صنف أبا بكر كتاب : "سراج الملوك" للمأمون ابن البطاحي الذي وزر بمصر بعد الأفضل، وله مؤلف في طريقة الخلاف. وكان المأمون قد نوه باسمه وبالغ في إكرامه. وكان مولده سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.
قال ابن الفضل: توفي بالإسكندرية في جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة.

أصل عظيم في أن لا يستعان بمشرك.

هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ويريق دمه، فكيف باستعمالهم على رقاب المسلمين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تستضيئوا بنار المشركين**"(١).

فسره الحسن بن أبي الحسن فقال: معنى لا تستضيئوا بنارهم : لا تستشيروهم في شيء من أموركم.

قال الحسن، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً**﴾(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تصحب إلا مؤمنًا**"(٣).

---

(١) بهامش المخطوط: أهل الشرك وأطراف الحديث عند: أحمد في المسند (٩٩/٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٢٧/١٠)، السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦٦/٢)، الخطيب في تاريخ بغداد (٢٧٨/١٠)، البخاري في التاريخ (٤٥٥/١)، (١٦/٤)، النسائي في المجتبى (الزينة ب ٤٨)، الطحاوي في معاني الآثار (٣٦٣).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٣) أطراف الحديث عند: أحمد في المسند (٣٨/٣)، الدارمي في السنن (٢/ ١٠٣)، الحاكم في المستدرك (١٢٨/٤)، الترمذي في الجامع الصحيح (٢٣٩٩، ٢٣٩٥)، الربيع بن حبيب في المسند (٢٠٤٩، ٢٥٢٢)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠١٨)، أبي داود في السنن (٤٨٣٢)، المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧/٤)، البغوي في شرح السنة (٩٦/١٣)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٢٨/٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (٢٤٧٨٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: "**من أحب قومًا ووالاهم حشر معهم**"[1].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**المرء مع من أحب**"[2].

وعنه أنه قال: "**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**"[3].

ومعنى هذا، والله أعلم: أنه يجب على المؤمن أن يحب المؤمنين ويمقت

---

(١) أطراف الحديث عند : الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦٦٥/٩) العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣٤١/٤)، ابن كثير في التفسير (٤٢/٤)، العجلوني في كشف الخفا (٣٠٨/٢)، الطبراني في الكبير (٣/٣)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨١/١٠)، المتقي الهندي في كنز العمال (٢٤٦٧٨)، العجلوني في كشف الخفا (٣٠٩/٣)، الخطيب في تاريخ بغداد (١٩٦/٥)، ابن الجوزي في العلل المتناهية في الضعف (٤٣٣/٢)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥٣٤٨/٦).

(٢) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٤٨/٨، ٤٩)، مسلم في الصحيح (البر والصلة ١٦٥)، أبي داود في السنن (٥١٢٧)، والترمذي في الجامع الصحيح (٢٣٨٥)، (٢٣٨٦، ٢٣٨٧، ٣٥٣٥)، أحمد في المسند (٣٩٢/١)،(١٠٤/٣، ١١٠، ١٥٩، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٦٨)، الطبراني في الصغير (٥٨/١)، وفي الكبير (١٣/١٠)، (١٥٤/١٧)، الدارقطني في السنن (١٣٢/١)، البغوي في شرح السنة (٦١/١٣، ٦٢)، الخطيب في تاريخ بغداد (٢٥٩/٤)، أبي نعيم في الحلية (١١٢/٤).

(٣) أطراف الحديث عند : مسلم في الصحيح (الإيمان ٢٤٠)، ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨/١١)، (٢٢٩/١٣)، الحاكم في المستدرك (٤٨٠/٢)، كنز العمال (٢٤٦٥٧)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠/١، ١٦٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٧٧/٦)، السيوطي في الدر المنثور (١٨٧/٦)، ابن حجر في فتح الباري (٤٧/١).

الكفار، ولا يقربهم ولا يظهر لهم لطفًا ولا ميلاً ويعاملهم معاملة العدو الذي يحذره على نفسه وماله، فإن الله تعالى حذره منهم ونهى عن تقريبهم في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيه الصادق صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "**ثلاث من كن فيه ذاق طعم الإيمان من لم يكن شيء أحب إليه من الله ورسوله، وأن [٣٤/ب] حرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه، ومن أحب لله وأبغض لله**"(١).

وعن عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله رضي الله عنهما- دخل لفظ حديث أحدهما في الآخر-: لو أن عبدًا صف بين قدميه عند الركن والمقام فعبد الله تعالى عمره يصوم نهاره، ويقوم ليلة، ثم لقي الله يوم يلقاه وليس في قلبه محبة وموالاة لله، ولا بغض ومعاداة لأعداء الله لما نفعه ذلك شيئًا(٢).

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عاد في الله ووال في الله، فإنه لا تنال ولاية إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك.

---

(١) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (١/١٠، ١٢)، (٩/٢٥)، مسلم في الصحيح (الإيمان ٦٧)، النسائي في المجتبى (٨/٩٤)، أحمد في المسند (٣/١٠٣)، عبد الرازق في المصنف (٢٠٣٢٠)، ابن حجر في فتح الباري (١/٦٠، ٧٧)، أبي نعيم في حلية الأولياء (١/٢٧)، (٢/٢٨٨)، الترمذي في الجامع (٢٦٢٤) ابن ماجة في السنن (٤٠٣٣).

(٢) سياق إسناده يفيد أنه مرفوع، وإن كان متنه لا يفيد الرفع حيث أنه قد يكون عن رأي أو وعظ أو تحذيرًا من ولاء غير المسلمين، وهو موافق لما سبق أن ساقه المؤلف من أدلة قرآنية وأحاديث نبوية، وهو من هنا بدء في سرد الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التدليل على عدم جواز تقديمهم على المسلمين في أي حال من الأحوال لما وصفهم بهم الله عز وجل من حرصهم على تخريب الإسلام وتدمير أهله بكل الوسائل والطرق المباشرة والغير مباشرة.

وعن عمر وغيره قال: إن أحدكم ليشيب في الإسلام ولم يوال في الله ولم يعاد في الله عدوًا، وذلك نقص كبير.

وقد قال تعالى: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[2].

وقال الشيخ الإمام العالم شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة: **أبو طالب المكي**[3] **في قوت القلوب**: وعندي من عزائم الدين وسبيل الورعين أن

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٤).

(٢) سورة الفتح (الآية: ٢٩).

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٣٦/١٦): صاحب القوت الإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية أبو طالب : محمد بن علي بن عطية ، الحارثي، المكي المنشأ ، العجمي الأصل ، روى عن أبي بكر الآجري، وأبي بكر بن خلاد النصيبي ، ومحمد بن عبد الحميد الصنعاني، وأحمد بن ضحاك الزاهد، وعلي ابن أحمد المصيصي، ومحمد بن أحمد المفيد.

وعنه: عبد العزيز الأزجي، وغير واحد قال الخطيب: حدثني العتيقي والأزهري أنه كان مجتهدًا في العبادة ، وقال لي أبو طاهر العلاف: وعظ أبو طالب ببغداد ، وخلط في كلامه وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. فبدعوه وهجروه.

وقال غيره: كان يجوع كثيرًا، ولقي سادة، ودخل البصرة بعد موت أبي الحسن ابن سالم، فانتهى إلى مقالته.

ولأبي طالب رياضات وجوع بحيث أنه ترك الطعام ، وتقنع بالحشيس حتى اخضر جلده.

رأيت لأبي طالب أربعين حديثًا بخطه ، قد خرج فيها عن عبد الله بن جعفر ابن فارس الأصبهاني إجازة، وفيها عن أبي زيد المروزي من صحيح البخاري، أولها: الحمد لله كنه حمده بحمده.

=

تتبغض إلى أعداء الله وتتمقت إليهم ليبغضوك ويمقتوك فيكون لك من القرب كحب أولياء لك، وحبك لهم، فهذا من أسباب ولاية الله تعالى.

قال: وقد نفى الله تعالى الإيمان عمن أحب من حاده، وأثبت الإيمان والتأييد بروحه لمن أبغض [٣٥/أ] أعداءه، قال عز من قائل: ﴿**لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالـــدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هـــــم المفلحون**﴾(١).

وروى البيهقي عن مالك بن مغول رحمه الله قال، قال عيسى ابن مريم عليهما السلام: "تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم ، والتمسوا مرضاته بسخطهم"(٢).

وقيل لبعض التابعين: ألا تدخل على فلان؟ قال: أخاف أن أدخل عليه

=

وله كتاب: "قوت القلوب" مشهور.

توفي في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلاث مائة.

(١) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

(٢) هذا الخبر وإن كان ليس فيه ما يخالف الإسلام وفيه ما تؤيده الأدلة الشرعية على مجانبة أهل المعاصي إلا أننا عندنا من الأدلة الشرعية ما فيه الغنية عن مثل هذا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بأن لا نصدق ما في كتب أهل الكتاب ولا نكذبه حتى لا نكذب صدقًا ونصدق كذبًا، وحتى لا يعتاد الإنسان المسلم عند ما يجد أمرًا موافقًا للشرع الاطمئنان إلى أقوال هؤلاء القوم فيقع في المحظور من الشرع والعياذ بالله، ففيما أنزل الله سبحانه وما قال رسوله صلى الله عليه وسلم كفاية لكل مسلم.

فيدني مجلسي فأكون قد أحببت من يبغضه الله أو أحشر يوم القيامة معه لمودتي له.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تسلموا على اليهود والنصارى وإذا لقيتموهم فاضطروهم إلى ضيقة"**[(١)].

وقال بعض العلماء في معنى هذا: لأن الكافر ليس بأهل للإكرام بل للإذلال والهوان. وهذا كله تحذير منهم وحض على عدم الألفة بينهم وبينهم. فإن إفشاء السلام والبداءة به تقتضي الألفة والمحبة.

والذي يدلك على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: [٣٥/ب] **"أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم"**[(٢)].

---

(١) هذا الحديث والذي بعده أطرافه عند: مسلم في الصحيح (السلام ب ٤ رقم ١٣)، أبي داود في السنن (٥٢٠٥)، الترمذي في الجامع الصحيح (١٠٦٢، ١٧٠٠)، أحمد في المسند (٢/٢٦٦)، عبد الرزاق في المصنف (١٩٤٥٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٣٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/٢٧٧، ١٩٥) ، المتقي الهندي في كتر العمال (٢٥٣٣٨)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٤٣٥)، ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٩)، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٣٦).

(٢) أطراف نحو هذا الحديث عند : أحمد في المسند (٢/٢٩١) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٢٥٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٦)، المتقي الهندي في كتر العمال (٤٩٧٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٤٢٤)، أبي نعيم في تاريخ أصبهان (٢/٣٣١)، البغوي في التفسير (١/ ٥٦٧)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٣٠)، وابن عساكر في التاريخ (٧/٥).

وروى **الحافظ أبو عبد الله بن حبان**[1]: يرفعه إلى أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم**"[2].

ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى السكنى والاجتماع بالقلوب.

ويحتمل أن يريد بالأجساد.

وهذا كله به حض على عدم التآلف معهم ومخالطتهم.

قلت: ومصداق هذا في كتاب الله: ﴿**وقد نزل عليكم في الكتاب أن**

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨٦/٥): محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ بن عمرو. الإمام الفقيه الحجة، أبو عبد الله الأنصاري، النجاري، المازني، المدني، حفيد الصحابي الذي كان يخدع في البيع ويقول: (لا خلابة). مولده في سنة سبع وأربعين. وهو إمام مجمع على ثقته.

قال الواقدي: كانت له حلقة للفتوى، وكان ثقة كثير الحديث، عاش أربعًا وسبعين سنة.

قلت: أرخ جماعة موته في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وهو من أعيان مشيخة مالك رحمه الله.

ومن مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٤٤٩/٧)، طبقات خليفة (٢٥٨)، تاريخ الإسلام (١٦٢/٥)، العبر (١٥٣/١)، الجرح والتعديل (١٢٢/٨)، تاريخ الفسوي (٣٨٩/١)، التاريخ الكبير (٢٦٥/١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٥٠٧)، تهذيب الكمال (١٢٨٤)، خلاصة تهذيب الكمال (٣٦٣)، شذرات الذهب (١٥٩/١).

(٢) أطراف هذا الحديث عند: الحاكم في المستدرك (١٤١/٢)، أبي نعيم في تاريخ أصبهان (١٢٣/١)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥١٠/٢)، مسند ابن عمر (٢٩) ، الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٦)، وابن عراق في تتريه الشريعة (٥١٤/٢).

إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذًا مثلهم﴾ [(١)] فجعل جلوسهم بحالة الاستهزاء موجبًا لمماثلتهم لهم، فالنصارى واليهود لا ينفكون عن الاستهزاء لأن نياتهم عليه انطوت، وقد قال تعالى: **﴿لا تتخذوا الذين [اتخذوا دينكم[(٢)]] هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء﴾** [(٣)].

فينبغي للعاقل النفور من أعداء الله تعالى ومباعدتهم والإعراض عنهم امتثالاً لأمر الله تعالى فيهم، وحذرًا من حلول سخط الله تعالى عليه، وقد قال الله تعالى: **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾** [(٤)].

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [٣٦/أ] **"من صافح مشركًا فليتوضأ أو ليغسل كفيه"** [(٥)].

---

(١) سورة النساء (الآية: ١٤٠).

(٢) ما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ.

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥٧).

(٤) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٥) أطراف هذا الخبر عند: السيوطي في الدر المنثور (٢٢٧/٣)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٦٣)، الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٧٨/٢)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢٥٩/١) ، ابن عراق في تنزيه الشريعة (٦٦/٢) اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣/٢).

وفي هذا الخبر الموضوع، وكذا الذي بعده دلالة واضحة على مبالغة المبالغين في مثل هذه الأمور.

وقد اختلف الفقهاء فيما بينهم في هل أن نجاسة أهل الكتاب حسية أم معنوية؟ والذي أذهب إليه أنها نجاسة معنوية وحسية في آن واحد غير أنها تختلف عن النجاسات التي نعهدها من النجاسات السائلة والتي تنتقل عن

وقال الحسن البصري: من صافح مشركًا توضأ.

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل، فناوله يده فأبى أن يتناولها، فقال لجبريل: "**ما منعك أن تأخذ يدي**"؟ فقال: إنك أخذت بيد يهودي فكرهت أن تمس يدي يدًا قد مستها يد كافر، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ به فناوله يده، فتناولها.

وجاء في التفسير في قوله تعالى: ﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ [1] لا يمالئون أهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم.

وهذا كله تأكيد لمجانبتهم، وأمر بمباعدتهم ونهى عن تقريبهم ومخالطتهم وموالاتهم وكفى بهذا تحذيرًا.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أهل الذمة: سموهم ولا تكنوهم ، وأذلوهم [2] ولا تظلموهم.

وقال عمر فيهم أيضًا: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تؤمنوهم إذ خذلهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله.

وكتب عمر رضي الله عنه: لا تكاتبوا أهل الذمة فيجري فيما بينكم

=

طريق اللمس فهم أنجاس معنويًا من حيث العقيدة حيث يشركون بالله تعالى كما هو معلوم، وأنجاس حسيًا حيث لا يتطهرون بعد الوطء وهذه النجاسات لا تنتقل باللمس، والله أعلم.

(١) سورة الفرقان (الآية: ٧٢).

(٢) أي أخضعوهم، وليس بالإذلال الجارح للكرامة ، ويتضح ذلك من نهيه عن الظلم لهم.

قلت: ولا أرى مانعًا من أن يكنى إذا كان قد غلبت كنيته على اسمه او اسمه على كنيته.

وبينهم المودة، ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم.

وعنه لا تستعملوا اليهود والنصارى، فإنهم أهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا.

وذكرشريك بن أبي هلال عن استق قال: كنت عبداً لعمر بن الخطاب[1]، وكنت نصرانياً، فأرادني على الإسلام فأبيت، فقال ﴿**لا إكراه في الدين**﴾[2].[٣٦/ب]

ثم قال: إن أسلمت استعنت بك على أمانتي أو قال: على أمانة المسلمين- فإنه لا يحل لي أن أستعين بك على أمانتهم، وأنت على غير دينهم، فلما احتضر اعتقني، وقال: اذهب حيث شئت.

وفي هذا كفاية، وليت شعري أي شيء أغفل أولو الأمر حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين، وسلكوا هذا المسلك الذميم، وفعلوا هذا الفعل من تقريب أعداء اللله تعالى وإعزازهم على المسلمين، وتحكيمهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمهم، وامتثال أوامرهم، مع ما هم عليه من الخصال الذميمة، والطرائق القبيحة وبغض أهل الإسلام، ومعاداة سيد الأنام صلى

---

(١) في المخطوط: لعمر بن عبد المطلب، وهو تحريف.

والخبر في موسوعة آثار الصحابة تأليفي رقم (١٢٨٠) والخبر رواه ابن سعد في طبقاته؛ وسعيد بن منصور في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وفيها أيضاً برقم (٧٧٧) وكلا الخبرين بنحو مما هو هنا وليس في الخبر الثاني ذكر عتقه إنما فيهما كراهيته لتوليته مع شعوره بأنه على علم ما قد يفيد المسلمين لكن حال دون الاستفادة منه عند عدم إسلامه.

(٢) سورة البقرة (الآية: ٢٥٦).

الله عليه وسلم؟

فلو أنهم يعطون لأرباب الدولة كل يوم جبل من مال ما استحقوا أن يعاملوا بهذه المعاملة يمكنون من المسلمين يضربونهم ويسبونهم ويفعلون معهم كلما أرادوه من السوء ما أشنع[1] هذه السيرة في هذه الديار.

وما أقبح هذه الفضيحة في سائر الأقطار ولقد رأيت لبعض المغاربة شعرًا يهجو بها الديار المصرية وأهلها فمعظم ما فيه أن النصارى أكثر حرمة من الأشراف ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نقصت حرمتها عند الملوك لهذا الأمر القبيح.

[٣٧/أ] يركب أعداء الله الخيل المسومة ويجلسون في صدور المجالس والمسلمون قيام بين أيديهم.

ويركب بعضهم في الليل، ويمر على جامع عمرو بن العاص والفانوس[2] بين يديه والناس في ركابه على رؤوس المسلمين، لا يقدر أحد

---

(١) في المخطوط: اسبع، وهو تحريف وما أثبته يناسب السياق.

(٢) كذا. فربما كان يسير أحدهم في شبه موكب والفوانيس بين يديه لتضيء له الطريق مارًا أمام مسجد عمرو وكان من أهم وأكبر المساجد آن ذاك وحتى الآن وله من المهابة ماله حيث أن صاحبه هو الذي وضع عليهم تلك الشروط فيريد أحدهم أن يقول بفعله هذا ها قد نقضنا ما اتفقنا عليه وسدنا على رؤوس المسلمين يا ابن العاص.

وربما كانت الكلمة : الناقوس . وتحرفت ، فيكون الأمر أشنع من الفانوس حيث أن للفانوس علة ، قد لا يلتفت إليها كثير من المسلمين وهي الإضاءة، أما إن كان الناقوس فهو حينئذ تحد صارخ حيث لا علة له إلا إظهار السلطة والسيادة والرفعة والتمكن من رقاب المسلمين والعلو عليهم واستفزاز مشاعرهم وإذلالهم.

وفي عصرنا قد تمكنوا من شئون الدولة الخارجية مما يجر علينا =

على الإنكار عليه.

هذا مع ما يفعلونه من أخذ أموال الناس مصانعة، وأمـــوال الأمـــراء خيانة، ويضربون من أرادوا ضربه من المسلمين، ويفتخرون بسرقة الأموال وسدها في الحساب.

لقد خاب وخسر من استخدمهم، ولقد ذهب مال من ائتمنهم .

وتجد الأمير يرجع إلى قوله في المسلمين مع علمه بأنه عدوهــــــم، ولا يقول في الحساب إلا على ما يقوله، فتجد العاملين والفلاحين يحملون إليهم الهدايا والأموال فيرد عنهم الحقوق ومن لم يعطه ألزمهم بالباطل ويحـــــرض عليه الأمير، هذا ما لا يخفى على أحد من أمرهم.

ويفسقون بحرم المسلمين ويغلبون بذلك.

ولقد أخبرني بعض عدول المسلمين الموثوق بدينهم وإخبــــارهم، أن نصرانيًا بعث إلى امرأة من المسلمين يراودها عن نفسها، فامتنعت فبعث إلى زوجها، وزعم أن في جهته مالاً خرجه في الحساب وأمر به إلى السجن إلى أن بعث النصراني إلى زوجته: إن لم توافقه على هذا تركه في السجن وألزمه بالمال، فطاوعته المرأة خشية منه وتقية من شره.

ولم أذكر هذا إلا على سبيل [٣٧/ب] الاستطراد ولو سلكت أذكـــر ما يفعلونه لضاقت المجلدات عن وسعه، ولتعذر على كمال وضعه.

فقبحهم الله من طائفة، لقد تمكنوافي هذه البلاد تمكنًا عظيمًا، وأهانوا أهل الإسلام إهانة بالغة.

=

الويلات،ومجالس الأمة، وأظهروا كفرهم علانية في التلفاز في كل عــــام في يومهم الذي يسمونه "الكريسمس". قبحهم الله، وأزاحهم عن منـــــاصبهم بكرمه وفضله آمين.

والأمراء غافلون عما يفعل أعداء الله بالمسلمين فاستخدامهم مفسدة في الدنيا والآخرة، ولقد ورد النهي عن مخالطة أهل البدع والفساق، فكيف بالكفار أعداء الله؟

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام**"[(١)].

هذا فيمن يوقره فكيف بمن يسلط الكفرة على إهانة المسلمين ويلبسهم ثوب العز؟

قد استهان والله بحرمة الإسلام وإذلاله أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأصغى للكفرة اللئام.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: لا تمكن أذنيك من صاحب هوى فيمرض قلبك.

وقال بعض العلماء: لا تمكن زائغ القلب من أذنك.

وضرب بعضهم لذلك مثلاً: أرأيت لو أن أحدكم قعد إلى سارق وفي كمه مال أما كان يتحرز منه أن يغتاله. قال: فدينكم أولى بأن تحرزوه.

وعن يحيى بن أبي كثير[(٢)] **قال:** إذا رأيت صاحب بدعة فخذ في

---

(١) أطراف هذا الخبر عند: الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٢١١) ، ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٧١)، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الضعيفةو والموضوعة (١/١٣٠)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/٧٣٦)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٦)، أبي نعيم في حلية الأوليـــاء (٥/٢١٨)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٨٨) ، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/١٩٦)، التبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٩)، المتقي الهندي في كتر العمال (١١٠٢).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٢٧): الإمام الحافظ، أحد الأعلام، أبو

طريق أخرى.

وعن أبي حازم[1] **قال:** يكون لي عدو صالح أحب إلي من أن يكون

=

نصر الطائي، مولاهم اليمامي، واسم أبيه صالح، وقيل: يسار، وقيل: نشيط. وكان طلابة للعلم، حجة. قال شعبة: يحيى بن أبي كثير أحسن حديثًا من الزهري. وقال أحمد بن حنبل: إذا خالفه الزهري، فالقول قول يحيى.

وقال أبو حاتم الرازي : هو إمام لا يروي إلا عن ثقة، وقد نالته محنة، وضرب لكلامه في ولاة الجور.

قال أحمد: هو من أثبت الناس، إنما يعد مع الزهري، ويحيى بن سعيد.

وقال ابن حبان: كان من العباد، إذا حضر جنازة لم يتعش تلك الليلة ولا يكلمه أحد. قال العقيلي: كان يذكر بالتدليس. وقال أبو حاتم: قد رأى أنسًا يصلي في الحرم. عن يحيى بن أبي كثير قال: إذا رأيت المبتدع في طريق، فخذ في غيره. وقال يحيى القطان: مرسلات يحيى بن أبي كثير شبه الريح. وقال الفلاس: ما حدثنا يحيى القطان لقتادة ولا ليحيى بن أبي كثير بشيء مرسل إلا حديثًا واحدًا. قال الفلاس: مات سنة تسع وعشرين ومائة.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٩٦): سلمة بن دينار الإمام القدوة الواعظ، شيخ المدينة النبوية، أبو حازم المديني المخزومي، مولاهم، الأعرج، القاص، الزاهد. وقيل: ولاؤه لبني ليث.

ولد أيام الزبير، وابن عمر. وثقه ابن معين، وأحمد، وأبو حاتم.

وقال ابن خزيمة: ثقة، لم يكن في زمانه مثله.

قال ابن عيينة عن أبي حازم: إني لأعظ وما أرى موضعًا، وما أريد إلا نفسي. وروى ابن عيينة عنه قال: اشتدت مؤنة الدين والدنيا، قيل: كيف؟ قال: أما الدين فلا تجد عليه أعوانًا، وأما الدنيا، فلا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرًا قد سبقك إليه.

=

لي عدو فاسد.

فيجب على كل مسلم بغض أعداء الله ومنابذتهم [٣٨/أ] ومباعدتهم. ويجب على أولي الأمر رفع أيديهم عن المسلمين، وإذلالهم وإلزامهم الشرائط المشترطة عليهم المأخوذين بها في عهدهم.

وسيأتي بعد هذا صفة العهد المأخوذ عليهم. وفي إهمال ذلك ضرر كبير وفساد عظيم.

قال ابن مكحول[1]: إياك ورفيق السوء فإن الشر للشر خلق.

=

وقال عنه أيضًا: ليس للملوك صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح العقول.

وروى عبيد الله بن عمر عن أبي حازم قال: لا تكون عالمًا حتى يكون فيك ثلاث خصال : لا تبغ على من فوقك، ولا تحقر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا.

وروى يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة، فاتركه اليوم، وقال: انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

قال ابن سعد: .. ومات في خلافة أبي جعفر بعد سنة أربعين ومائة، قال: وكان ثقة كثير الحديث. وقال الفلاس والترمذي: مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/١٦٠) مكحول الأزدي البصري أبو عبد الله. روى عن ابن عمر، وأنس وعنه عمارة ابن زاذان، والربيع بن صبيح وهارون بن موسى النحوي. وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم لا بأس به. قال عباس: سمعت ابن معين يقول: مكحول رأى أبا هند الداري وواثلة ، وسمع أيضًا من واثلة، وفضالة بن عبيد، وأنسًا، وخطأ من روى أنه دخل على أبي أمامة.

=

(.......[1]) ولا ترجون نصيحة من خان نفسه ولا تجلسن مع من تحتاج أن تحاكيه بالتوقي وقد قال الله تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾[2].

وقال تعالى في ذم مخالطة قرناء السوء: ﴿**يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانـــاً خليلاً**﴾[3].

فندم حيث لا ينفع الندم وزلت به قدم وقال تعالى: ﴿**وقيضنا لهم**

=

قال إسماعيل بن أمية: قال لي مكحول: عامة ما أحدثك، فعن سعيد بن المسيب والشعبي.

وقال تميم بن عطية: سمعت مكحولاً يقول: اختلفت إلى شريح ستة أشهر أسمع ما يقضي به.

قال سعيد بن عبد العزيز: قال مكحول: ما استودعت صدري شيئًا سمعته إلا وجدته حين أريد. ثم قال شعبة: كان مكحول أفقه أهل الشام.

قال سعيد: كان إذا سئل عن شيء لا يجيب حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا رأي، والرأي يخطيء ويصيب قال تميم بن عطية العبسي: كثيرًا ما كان مكحول يسأل: فيقول: ندائم- يعني: لا أدري-.

قال سعيد بن عبد العزيز: لم يكن عندنا أحد أحسن سمتا في العبادة من مكحول وربيعة بن زيد.

قال الأوزاعي وغيره : عن مكحول : لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن ألي القضاء، ولأن ألي القضاء أحب إلى من أن ألي بيت المال.

(١) موضع النقط ممحو من المخطوط لعامل الزمن.

(٢) سورة الزخرف (الآية: ٦٧).

(٣) سورة الفرقان (الآية: ٢٧،٢٨).

قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أممٍ قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، حامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**"[2].

فينبغي تجنب خلطاء السوء حسب ما أمكن.

وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: [٣٨/ب]

لا تصحب أخا السوء وإياك وإياه ... كم من لئيم[3] أردى حليمًا حين أخاه

وعن الأوزاعي[4] رحمه الله أنه قال: الرفيق بمترلة الرقعة في الثوب إن

---

(١) سورة فصلت (الآية: ٢٥).

(٢) أطراف هذا الحديث عند : مسلم في الصحيح (الصلة والبر ١٤٦)، البيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٦)، المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٩)، المتقي الهندي في كتر العمال (٢٤٨٤٩)، البخاري في الصحيح (٧/١٢٥)، (٣/٨٢)، أبي داود في السنن (الأدب ب ١٩)، أحمد في المسند (٤/٤٠٤)، الحاكم في المستدرك (٤/٢٨٠)، العقيلي في الضعفاء الكبير (١/٤٩)، (١/١٥٨)، الحميدي في المسند (٧٧٠).

(٣) في المخطوط، تحرفت الكلمة على رسم (حلمل). والبيت مشهور.

(٤) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد.

ويقال: عبد العزيز بن عمرو بن يحمد، أبو عمرو الأوزاعي، الفقيه، صاحب المذهب. ولد سنة: (٨٨) وقيل غير ذلك. توفي سنة: (١٥٧).

قال ابن الغزي في ديوان الإسلام بتحقيقي (ت: ٢٣٥): الأوزاعي: عبد الرحمن ابن عمرو، الإمام، الحبر، البحر، المجتهد، أبو عمرو، الدمشقي، التابعي.

=

لم تشبهه شانته. وقال بعض الحكماء:

لا تصحب الأشرار فإن طبعك يسرق من طبعهم وأنت لا تشعر، وقد قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

والأخبار في ذلك كثيرة، واقتصرنا على هذا خشية التطويل، وفي بعض هذا كفاية، وإنما أوردنا هذا لتعلم اهتمام صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر.

وأن في إهماله ضررًا كبيرًا على المسلمين وفسادًا عظيمًا.

وبالجملة فنقول: إذا كان استكتابهم واستخدامهم سببًا في الاستعلاء على المسلمين وإهانتهم لا نعلم خلافًا في تحريم استكتابهم والحالة هذه لأن ذلك وسيلة إلى المحرم محرمة.

=

أحد المجتهدين أصحاب المذاهب. توفي ببيروت سنة (١٥٧).

قلت : ومن مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٤٨٨/٧)، شذرات الذهب (٢٤١/١)، تاريخ خليفة (٤٢٨)، العبر (٢٢٦/١)، سير أعلام النبلاء (١٠٧/٧)، طبقات الحفاظ (٧٩)، تذكرة الحفاظ (١٧٨/١)، التاريخ الكبير (٣٢٦/٥)، المعرفة والتاريخ (٣٩٠/٢)، الجرح والتعديل (١٨٤/١)، (٢٦٦/٩)، الميزان (٥٨٠/٢)، مشاهير علماء الأمصار (١٨٠)، حلية الأولياء (١٣٥/٦)، وفيات الأعيان (١٢٧/٣)، تهذيب التهذيب (٢٣٨/٦)، تاريخ الإسلام (٢٢٥/٦)، البداية والنهاية (١١٥/١٠)، الخلاصة (٢٣٢)، وغير ذلك كثير.

ومن كتبه: كتاب السنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه أيضًا.

وكان الأوزاعي يسكن دمشق، بمحلة الأوزاع، وهي العقيب الصغيرة ظاهر باب الفراديس، ثم تحول إلى بيروت مرابطًا إلى أن مات رحمنا الله وإياه.

وقد قامت الحجج على من خالف الأوامر وتحقق الوعيد على من والاهم خشية الدوائر.

وليس العجب ممن وقف على هذا الكتاب وعلم ما فيه إذا نابذ أعداء الله ومقتهم وأهانهم وأبعدهم وعزلهم عن ديوانه، وطردهم ورآهم أخس من الخنافس، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿**إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون**﴾[1].

ولكن العجب [٣٩/أ] ممن وقف عليه من سوء الحال وقبح الفعال فسبيله سبيل المشاقق المعاند المعرض عن ذكر الله تعالى، والمؤثر له على رضا مولاه.

فينبغي الإعراض عن مثل هذا ونظيره، ونظره بعين الإحتقار كما قال الله تعالى: ﴿**فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا**﴾[2].

فمثل هذا يخاف عليه حلول غضب الله وشدة انتقامه ونزول سخطه وبلائه، أيقظنا الله من الغفلة، وجنبنا ما يورث المقت والمذلة، وجعلنا ممن أعز بهم الدين، وأعاظ بهم الكافرين، إنه ولي الخيرات ومجيب الدعوات، ومفرج الكربات، وقاضي الحاجات.

وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٥٥).

(٢) سورة النجم (الآية: ٢٩).

الباب الرابع
في
صفة العهد المأخوذ عليهم
وذكر شيء من أحكامهم وترك الاستعانة بهم

روي أبو داود: أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل نجران على: ألفي[1] حلة النصف في صفر، والنصف في رجب يؤدونها إلى المسلمين.

وعارية: ثلاثين درعًا، وثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامون لها حتى يردوها عليهم[2].

على أن لا تهدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قس ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثًا أو يأكلوا [٣٩/ب] الربا[3].

وروى عبد الرحمن بن غنم[4] قال: كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) في المخطوط: ألف، وهو تحريف والتصويب من سنن أبي داود والحديث فيه برقم (٣٠٤١) بالإسناد التالي: حدثنا مصرف بن عمرو اليامي حدثنا يونس -يعني ابن بكير- حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل ابن عبد الرحمن القرشي عن ابن عباس قال: صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل نجران على ألفى حلة النصف في صفر والبقية في رجب ... وساق الحديث.

(٢) بعدها في السنن (إن كان باليمن كيدٌ أو غدرة).

(٣) جاء بعده تعليق في السنن نصه: قال إسماعيل فقد أكلوا الربا.
قال أبو داود: إذا نقضوا بعض ما اشترط عليهم، فقد أحدثوا.

(٤) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/٤٥): الأشعري الفقيه، الإمام، شيخ أهل فلسطين.
حدث عن معاذ بن جبل وتفقه به، وعمر بن الخطاب، وأبي ذر الغفاري،

عنه: من نصارى مدينة كذا: إنكم لما قدمتهم علينا وسألناكم الأمان لأنفسنا، وذرارينا، وأموالنا، وشرطنا لكم على أنفسنا: أنا لا نحدث في مدائننا، ولا نقيم[1] ديرًا، ولا كنيسة، ولا قلية، ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب منها، ولا ما كان منها في خطط[2] المسلمين في ليل ولا نهار، أو أن نوسع أبوابها للمارة، وابن السبيل، وأن نترل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم. ولا نؤوي في كنائسنا ولا في مجالسنا جاسوسًا ولا نكتم غشًا للمسلمين. ولا نعلم أولادنا القرآن. ولا نظهر شرعنا، ولا ندعوا إليه أحدًا. ولا نمنع أحدًا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوا. وأن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس.

ولا نشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم[3]، ولا نكتن بكناهم، ولا نركب بالسروج، ولا نتقلد بالسيوف.

=

وأبي مالك الأشعري، وأبي الدرداء، وغيرهم.

قال ابن سعد: ثقة إن شاء الله، بعثه عمر إلى الشام يفقه الناس وكان أبوه صحابيًا، هاجر مع أبي موسى.

قال أبو القاسم البغوي: ولد عبد الرحمن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مختلف في صحبته. قال الهيثم بن عدي وشباب: توفي سنة ثمان وسبعين.

(١) في المخطوط: فيما، وهو تحريف.

(٢) الخطط: هي تقسيم المدن وجغرافيتها أي لا نحدث مدينة ولا نغير معالمها بعد يوم الاتفاق، فتظل على ما هي عليه وما تلف منها لا يجدد.

(٣) المراد احترام لغة المسلمين ومصطلحاتهم حتى لا يظن مسلم أننا نتهكم بهم أو بشرعهم.

ولا نتخذ شيئًا من السلاح، ولا نحمله معنا[1]. ولا ننقش على خواتيمنا بالعربية. ولا نبيع الخمور. وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنانير على أوساطنا. وأن لا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم. ولا نضرب ناقوسًا في كنائسنا إلا ضربًا [٤٠/أ] هينًا[2]. - ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حيزة المسلمين. ولا نخرج شعانيتنا ولا طاغوتنا. ولا نرفع أصواتنا مع موتانا.

ولا نظهر النيران في شيء من طرق المسلمين، ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين[3].

ولا نطلع على منازلهم[4].

قال: فلما أتيت عمر بن الخطاب بالكتاب، زاد فيه: ولا نضرب أحدًا من المسلمين، شرطنا ذلك على أنفسنا، وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان، وإن نحن خالفنا عن شيء مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل منا ما حل من أهل المعاندة والشقاق.

وكتب إليه عمر رضي الله عنه: امض ما سألوه، وألحق فيه حرفين أشرطهما عليهم مع ما شرطوه على أنفسهم: أن لا يشترطوا شيئًا من سبايا المسلمين[5].

---

(١) لا قيمة لحمل السلاح بالنسبة لهم في دار المسلمين حيث يقوم المسلمون بحمايتهم من كل خطر يحدق بهم بعد دفع الجزية، فهم في حكم أهل الجوار.

(٢) أي ضربًا يسمع الجالسين داخلها ولا يخرج خارج الكنيسة حتى لا يجرح ذلك مشاعر المسلمين.

(٣) وهو كان لا يبيع على بيع مسلم إلا بعد ترك المسلم لذلك وانصرافه عنه.

(٤)حتى تنكشف أمامهم عورات بيوت المسلمين إن هم تطاولوا عليهم بالبنيان

(٥) أي إذا أسر أحد من المسلمين عند عدوهم فلا يشتروه هم ليسترقوه وهذا

ومن ضرب مسلمًا عمدًا فقد خلع عهده.

وروى نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن عمر كتب إلى أهل الشام في النصارى: أن تقطع ركبهم، وأن يركبوا على الأكف، وأن يركبوا في شق، وأن يلبسوا خلاف زي المسلمين ليعرفوا.

معنى في شق أن تكون رجلاه في ناحية واحدة.

وينبغي أن لا يتاح لهم الركوب إلا[1] في المواضع البعيدة، والطرق الخالية، أما في أسواق المسلمين، وداخل البلد حيث يتضرر المسلمون بركوبهم فلا.

اللهم إلا أن يكون شيخًا كبيرًا [٤٠/ب] مضطرًا إلى الركوب من زمانة أو ضعف، فينبغي أن يباح له ذلك.

فهذا هو العهد الذي أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النصارى.

وفي بعض طرقه: وأن نكشف وجوه موتانا. وفي بعضها:

ولا يوجد في بيت أحد منا سلاح إلا أسهمه.

وفي بعضها: وأن لا يشارك منا مسلمًا إلا أن يكون للمسلم أمر

=

شرط جيد، ثم إن هذه الشروط قد اشترطوها هم على أنفسم وقبلها عمر -رضي الله عنه-، وهي قابلة للزيادة والحذف بما يتناسب مع كل عصـــــــر.

(١) في المخطوط: إلى. وهو تحريف، وهذا شرط قد اختل فقد اختلف معيار البعد في زماننا عن زمانهم اختلافًا جذريًا.

ومن العجيب والمفارقات المضحكات المبكيات!! أن المسلمين اليوم هم الذين يتشبهون بهم في الزي وحلق الشعر والكلام وبناء المنازل وكل صغيرة وكبيرة فسبحان من له الأمر من قبل ومن بعد.

التجارة.

وقال ابن حزم[1] في مراتب الإجماع: اختلف العلماء في نقض عهد

---

(١) هذا الرجل أنا أحبه حبًا شديدًا راجيًا من الله تعالى أن يرحمنا وإياه فقد كان لكتابه المحلى شديد الأثر على حياتي، لا من الناحية الفقهية فحسب بل من نواحي كثيرة في حياتي وقد أعانني الله تعالى على أن حققت له ثلاثة كتب وكان ذلك باب سعادة لي عندما كنت أقوم بتحقيق كتاب له حيث أتشرف بأن يقرن اسمي إلى جوار اسمه على غلاف مؤلف، وهذه الكتب الثلاثة هي:

١ - أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد.

٢ - أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن يعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا.

٣ - كتاب حجة الوداع.

ثم أني قمت بتأليف كتاب كان السبب في تأليفه تحقيقي لكتاب أسماء الصحابة الرواة وأسميته: "هدي القاصد إلى أحاديث أصحاب الحديث الواحد".

وفي هذا الكتاب دراسة هامة جدًا أتمنى من الله أن يطلع عليها كل من له اشتغال بالحديث النبوي وفنونه حيث أن في عدد الأحاديث التي أوردها ابن حزم رحمنا الله وإياه وغيره من العلماء الذين تناولوا هذا الباب نظر.

وحتى لا يطول بنا الكلام فإني أذكر لك عن ترجمته نبذة يسيرة جدًا فأقول:

هو: الإمام الحبر البحر الفقيه الحافظ الأديب المتكلم الوزير شيخ الظاهرية أبو محمد: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، اليزيدي، الأندلسي، القرطبي.

الشهير بـ: ابن حزم الأندلسي الظاهري.

ميلاده: ولد بقرطبة سنة (٣٨٤) آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من رمضان. =

الذمي وقتله، وسبي أهله وماله، إذا أخل بواحدة مما ذكره، وهو: اعطاء أربعة مثاقيل ذهبًا في انقضاء كل عام وصرف كل دينار اثنى عشر درهماً.

وأن لا يحدثوا كنيسة، ولا بيعة، ولا ديرًا، ولا صومعة، ولا يجددوا ما خرب منها.

ولا يمنعوا المسلمين من الترول في كنائسهم وبيعهم ليلاً ولا نهارًا، ويوسعوا أبوابها للنازلين.

ويضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثًا.

ولا يؤوا جاسوسًا، ولا يكتموا غشًا للمسلمين.

ويقومون لهم من مجالسهم.

ولا يتشبهوا بهم في شيء من لباسهم، ولا فرق شعورهم، ولا يتكلموا بكلامهم، ولا يتكنوا بكناهم.

ولا يركبوا على السروج. ولا يقلدوا سيوفًا ولا شيئًا من السلاح.

ولا ينقشون في خواتيمهم بالعربية. ولا يبيعون الخمور.

=

وهو الموافق السابع من نوفمبر.

أما عن نشأته: فقد كان والده من كبراء أهل قرطبة ووزرائها كما ولي هو أيضًا الوزارة أكثر من مرة.

وعلى الإجمالي: فقد كان ابن حزم ينهض بعلوم جمة ويجيد النقل ويحسن النظم، والنظر مع تدين وفضيلة وخير ومقاصد جميلة وزهد في الرئاسة وإقبال على العلم.

أما عن مؤلفاته، فقد قاربت المائة.

وتوفي رحمنا الله وإياه عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة في بلدة كان يملكها بالأندلس يقال لها لبلة، وقيل: منت.

وراجع مصادر ترجمته بأي منْ مقدماتي للكتب الثلاثة التي ذكرتها لك بتحقيقي.

ويجزون مقادم رؤسهم. ويشدون الزنانير. ولا يظهرون الصليب.

ولا يجاورون المسلمين بموتاهم. ولا يظهرون في طريق المسلمين نجاسة. [٤١/أ] ويخفون الناقوس وأصواتهم، ولا يظهرون شيئًا من شعائرهم. ولا يتخذون الرقيق مما جرت عليه سهام المسلمين. ويرشدون المسلمين. ولا يطلعون عليهم عدوًا. ولا يضربون مسلمًا ولا يسبونه ولا يستخدمونه. ولا يسمعون مسلمًا شيئًا من كفرهم.

ولا يسبون أحدًا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولا يظهرون خمرًا، ولا نكاح ذات محرم.

وأن يسكنوا المسلمين بينهم. فمتى أخلوا بواحدة من هذه اختلف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم ووجد نقض عهدهم متى أخلوا بشيء من هذه الشروط قوله تعالى: **﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فأتموا إليهم عهدهم﴾**(١).

وهذا عام في كل ما شرط عليهم، فمفهوم هذا أنهم متى أخلوا بشيء مما شرط عليهم انتقض عهدهم.

وقول علي رضي الله عنه: لئن بقيت لنصارى بني تغلب لأقتلن المقاتلة ولأسبين الذرية، وكتبت(٢) الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣): على أن لا ينصروا أولادهم(٤).

---

(١) سورة التوبة (الآية: ٤).

(٢) في سنن أبي داود: فإني.

(٣) في سنن أبي داود: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) في سنن أبي داود: أبناءهم.، والخبر فيه برقم (٣٠٤٠) وعلق عليه المؤلف بقوله : هذا حديث منكر، بلغني عن أحمد أنه كان ينكر هذا الحديث إنكارًا شديدًا.

=

يدل على نقض عهدهم إذا أخلوا بما شرط عليهم.

وروى عن عمر رضي الله عنه: أنه أخبر أن ذميًا نخس بغلاً عليه مسلمة فوقعت فانكشفت عورتها، فأمر بصلبه في ذلك الموضع.

وقال: إنما عاهدناهم على إعطاء الجزية عند يدٍ وهم [٤١/ب] صاغرون.

وروي أن يهوديًا تعرض لناقة عليها امرأة فوقعت بسببه، فانكشفت، فقتله ابنها، فأهدر دمه.

فالمقصود بإذلالهم وصغارهم وإهانتهم، ليشق ذلك عليهم فيكون ذلك حاملاً على الانتقال إلى دين الإسلام(١).

=

قال أبو علي: ولم يقرأه أبو داود في العرضة الثانية.

(١) اختلف مع المؤلف رحمنا الله وإياه على هذه الفقرة أو العبارة كل الاختلاف حيث يرى أن الإذلال أو المشقة تكون سببًا أودافعًا للانتقال الى الإسلام، ولكن قد يكون العكس هو الصحيح.

وكلنا يعلم قصة دخول الإسلام الهند.

والمؤلف والمحقق كلاهما مصري ونعرف كيف دخل الإسلام مصر واستقر بها. وغير ذلك من بلاد الدنيا ما كان الإذلال والمشقة إذا أريد بهما الدخول في الإسلام إلا اكراه على الدين، والله تعالى يقول وبعبارة صريحة لا تحتاج إلى توضيح أو تفسير ﴿**لا إكراه في الدين**﴾.

ولكن كما سبق أن ذكرت أن في دفع الجزية لمتسعٌ من الوقت ليدرس الإسلام على حقيقته ويعايش أهله فتظهر فيه روح التسامح والرحمة للعالمين الذي يحدو بأهل الذمة إلى التسارع للدخول فيه.

وإلا أين هي الذلة في أن يضع عمر رضي الله عنه الجزية عن الشيخ النصراني، بل لم يكتف بوضعها فإذا به يكفله من بيت مال المسلمين.

=

فإن النفوس لا تحتمل الذلة.

ولقد بلغني أن : **الملك الكامل رحمه الله:** ألزمهم بشد الزنانير، فأسلم بسبب ذلك خلق كثير منهم.

واعلم أن مخالفة الشروط تنافى الصغار فيرجعون إلى ما كانوا عليه قبل الأمان[1]، يثاب قاتلهم وسالب أموالهم لأنهم لا عهد لهم.

=

هذا هو الإسلام الحق وهذا هو الفهم الصحيح للدين وروحه ممن قبل منهم شروطهم. فليس المقصود الإذلال ولا المشقة إنما المقصود عدم التدخل في شئون الدولة من قبلهم بعد الاشتراط عليهم.

ومن أسلم قهراً فهو أشد خطراً على الإسلام ممن لم يسلم، وكم نعاني اليوم من المستشرقين وكم عانى النبي -صلى الله عليه وسلم- من منافقي المدينة من أصحاب عبد الله بن أُبيّ بن سلول ووصفهم بشدة الحنكة والدهاء والمكر بألفاظ قاطعة قوية حتى أن مكرهم لينطلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرفهم ويحسبهم مسلمين صلحاء أتقياء، فيقول الله تعالى له : ﴿**ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**﴾ [التوبة: ١٠١] فانظر إلى لفظة: ﴿مردوا﴾. أي تمرسوا لفظة قوية رصينة وانظر من قائلها إنه سبحانه العليم الخبير، فلن يولد القهر والإذلال إلا الضد، وهؤلاء المنافقون الذين كانوا بالمدينة لم يقع عليهم أدنى نوع من أنواع القهر أو الإذلال أو المضايقات.

وإن كان حدث في بعض الحقب التاريخية نوع من هذا فلا يقاس على ذلك ولا يكرر الخطأ بل يرجع إلى الصواب والحق وهو الفضيلة كما هو معلوم.

وعلى الإجمال فإن الحكمة أو العلة في أخذ الجزية منهم عن يد وهم صاغرون لا يعلمه إلا الله فعلينا تنفيذ ما أمر بلا بحث عن علة ولا سبب لنشعر أننا عبيد الله وننفذ أوامره بغير اجتهاد منا ولا افتيات.

(١) في المخطوط : الإيمان. وهو تحريف.

وقد روي أن بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا قوم من العرب افرض لنا.

قال: نصارى؟ قالوا: نصارى.

قال: ادع لي حجاماً ففعلوا.

فجزوا نواصيهم، وشق من أرديتهم حزمًا يحتزمون بها، وأمرهم أن لا يركبون الأكف من شق واحد.

قال العلماء رضي الله عنهم: يلزمهم أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس وأن يلبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق، ويشدون الزنانير في أوساطهم ويكون في أعناقهم خواتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخل معهم الحمام. وليس لهم أن يلبسوا العمائم والطيلسان.

وأما المرأة فتشد الزنار تحت الإزار.

وقيل فوق، وهو الأولى، ويكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام.

ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض.

ولا يركبون [٤٢/أ] (..)[١] بغير السروج بالبراذع عرضًا من شق واحد في المواضع العامرة (....[٢]). ولا يتصدرون في المجالس.

ولا يبدؤن بالسلام. ويؤون إلى ضيق الطرق.

ويمنعون أن يعلوا على المسلمين في البناء، وتجوز المساواة.

وقيل: لا يجوز بل ينهون.

---

(١) موضع النقط طمس بالمخطوط، وعيب في تصوير الميكروفيلم، والطمس قدره أربع كلمات.

(٢) موضع النقط طمس قدره ثلاث كلمات لعيب في تصوير المخطوط.

ويمنعون من إظهار المنكر والخمر، والخنزير والناقوس، والجهر بالتوراة والإنجيل[1]. ويمنعون من المقام بالحجاز، وهي مكة، والمدينة واليمامة.

ويجعل الإمام عليهم رجلاً يكتب أسماءهم وحلاهم. ويستوفون من جميع الشرائط. وإن امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام الملة انتقض عهدهم. [وكذا[2]]إن زنا أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح.

أو آووا الكفار، أو دل على عورة المسلمين أو ذكر الله تعالى بما لا يجوز؛ قتل لنقض العهد.

وإن فعل ما يمنع منه مما لا ضرر فيه كترك الغيار، وإظهار الخمر عزر[3] عليه.

ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد إلى مأمنه في أحد القولين.

وقيل: في الحين في القول الآخر وهو القياس.

وروى مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجال من بني قريظة، وسبى ذراريهم[4]. وقتل كعب بن الأشرف[5].

---

(١) نعم يمنعون من ذلك ومن كل ما لا يجوز الجهر به في الشريعة الإسلامية من قول أو فعل أو اعتقاد.

(٢) مابين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٣) أي عوقب عقوبة بدنية ، كالجلد ونحوه بملا لا يزيد على عشر جلدات فيما دون الحدود المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية.

أو عوقب عقوبة مالية أي غرم بها بما يوازي ما فعل أو أفسد أو أضر به.

(٤) وهي قصة مشهورة وقد حكم فيهم بذلك سعد بن معاذ، وأقره على الحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تحكيم سعد اجابة لطلب بني قريظة أنفسهم في الاحتكام إليه بعد نقضهم العهد.

(٥) وقصة هذا أيضًا مشهورة فإنه قد آذى الله ورسوله.

وقال العلماء فيه: إن المعاهد والذمي إذا نقض العهد كان حكمه حكم المحارب.

وأن للإمام محاربتهم إذا نقضوا العهد.

ولا خلاف فيهم إذا حاربوا أو أعانوا أهل الحرب.

وله أن يبتدأهم بالحرب إذا صح [٤٢/ب] عنده نقض عهدهم(١).

قال الأوزاعي : وكذلك إن اطلع أهل الحرب على عورة المسلمين أو آوى عيوهم. وبالجملة فمن العلماء من يقول: إهم إذا أخلوا بشيء مما شرط عليهم انتقض عهدهم.

ومنهم من يفصل في ذلك تفصيلاً والقائلون بالتفصيل يقولون يعزر فيما لا يقتل فيه لا خلاف بينهم في ذلك واختلف في ذلك قول الشافعي(٢)

---

(١) كل ما ذكره هنا لا خلاف عليه عند أولى الألباب فالعقد شريعة المتعاقدين فمتى أخلوا بالشرط ونقضوا العهد صاروا في حكمهم قبل الاشتراط ووجب على المسلمين مجاهتهم إلىٰ أن يعودوا إلى ما اشترطوا عليه وما يحقق للإسلام الاستقرار في دياره، ويعلو ولا يعلى عليه، وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ويشعر أهل الإسلام في ديارهم بالعزة.

(٢) بين هذا القول ، والكلام الذي بعده سقط أو انقطاع في الكلام، وربما كان الساقط سؤال عن جواز أو عدم جواز استعمالهم أو شرائهم للمصاحف أو تعلمهم إياها.

والذي أذهب إليه في هذا الباب أو هذه المسألة: أنه لامانع من بيعه لهم إذ أن الفقهاء إنما يمنعون البيع لخشية الإهانة، وهذا ظن ولكن إذا رجع ذلك الظن أوقف البيع أما إذا كان الطالب له دارسًا أو يريد أن يطلع عليه لمعرفة ماهية الإسلام خصوصًا في عصورنا التي انتشرت فيها الجامعات والمراكز العلمية والبحثية في شتى أنحاء العالم وإمكانيتهم طبعه بطبعات أفخر مما نطبعه نحن فلا أرى أي وجه لمنع بيعه لهم.

=

حجة الجواز للرغبة في الإسلام، حجة المنع كونه نجسًا كافرًا في الحال خشية الاستهزاء إذ هو عدو الله وكتابه.

ولا يعرضه للاستهانة والاستخفاف ولما تعارض هذا اختلف قول الشافعي.

وسئل مالك عن مؤاكلة النصراني في إناء واحد؟ فقال: تركه أحب إلي، وأما حرام فلا أراه، ولا تصادق نصرانيًا.

قال بعض العلماء: الوجه في منع مصادقة النصارى، لأن الله تعالى يقول: **﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾**[1]. الآية

فواجب على كل من يؤمن بالله أن يبغض من يكفر بالله تعالى، ويجعل معه إلهًا آخر، ويكذب برسوله صلى الله عليه وسلم، ومؤاكلته في إناء واحد

=

ثم أننا نحن المسلمين في أشد الحاجة اليوم إلى أن يقرأ أهل الملل الأخرى القرآن والعلوم الشرعية الأخرى نظرًا لما يمتلكون من وسائل إعلام طاغية على أذن السامع وبصره في شتى بقاع الأرض يهينون فيها الإسلام ويصفونه بالتخلف والرجعية وعدم مواكبته للعلوم العصرية فوجود كتاب الإسلام وهو القرآن الكريم في أيدي من يريد معرفة الإسلام فيهم أمر مهم جدًا ليعرف حقيقة الإسلام من خلال كتابه ليميز الله الخبيث من الطيب وليكتشف الإنسان الباحث بنفسه حقيقة الإسلام، وزيف ما يقال عنه وأما كونه **﴿في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾** فقد ذهب في ذلك ابن حزم إلى أن المراد به هو القرآن الذي هو في اللوح المحفوظ أما هذا الذي في أيدينا ونكتبه نحن على الورق وما شابهه فلا ضير في أن يمسه المسلم وغير المسلم.

(١) سورة المجادلة (الآية: ٢٢).

تقتضي الألفة بينهما أو المودة، فهي تكره من هذا الوجه.

وإن عليه طهارة يده، قاله ابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [٤٣/أ] "**لا تخالطن إلا مؤمنًا**".

واختلف العلماء في تكنية الكافر، هل يباح أم لا؟

واستدل من أباحها بقوله: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ (١)، وهذا دليل فيه، لأن اسمه عبد العزى فلو ذكر الله تعالى اسمه أثبت العبودية لغيره.

وقيل: كانت كنيته أثبت من اسمه وكان بها مشتهرًا.

قال مالك: وأكره للمسلم أن يعلم أحدًا من النصارى الخط أو غيره.

وأكره أن يطرح ابنه في كتاب العجم لتعلم الأعجمية.

قال بعض العلماء: الكراهة في هذا بينه(٢)، أما تعليم الرجل ابنه كتابة الأعاجم فالاشتغال بما لا ينفعه فيه مع ما فيه من إدخال المسرة عليهم بإظهار المنفعة بكتابهم والرغبة في تعليمه، وذلك من توليهم، قال الله تعالى: ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ (٣).

وأما تعليم المسلم للنصراني فلما فيه من الذريعة إلى قرائهم القرآن مع

---

(١) سورة المسد (الآية: ١).

(٢) إذا كان التعليم للغة أهل الكتاب وغيرهم المراد منه فهم ما يقولونه عن الإسلام بلغتهم ، الاطلاع على ما يكتبونه عن الإسلام في كتبهم فإن الأجر ذلك عظيم والنفع فيه على الإسلام عميم . وإذا كان التعلم لمعرفة لغة قوم، فلا ضير أيضًا إذ أن تعلم لغة قوم أمان شرهم.

أما تخوف أن يعتقد أبناء المسلمين عقائدهم فهذا إن أودع المسلمون أبناءهم في المعاهد والمدارس التي تقوم على تعليم دينهم كالأديرة والجامعات الخاصة لذلك فهذا لا يجوز.

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥١).

ما هم عليه من التكذيب له والكفر به.

وقد قال ابن حبيب(١): إن ذلك لمن فعله مسقط لإمامته وشهادته.

وأما مقارضته الذمي: فالمنصوص أنه لا يجوز للمسلم أن يدفع له مالا يعمل فيه بالقراض لاستحلاله للربا وأما المسلم فيكون له أخذ القراض منه لأنه من باب إجارة المسلم نفسه من النصراني(٢).

وإذا عطس النصراني لا يقال له: يرحمك الله وإنما يقال: يهديك الله ويصلح بالك.

وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤٣/ب] مع اليهود إذ

---

(١) هو: أبو جعفر: محمد بن حبيب أبو جعفر البغدادي النسابة الإخباري اللغوي صاحب التصانيف المشهورة والتي من أشهرها كتاب "المحبر"، وقد وفقني الله تعالى إلى تحقيقه عن نسخة ألمانية للكتاب.
كما وفقني الله أيضًا لتحقيق كتابين آخرين له هما: كتاب أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام.
وكتاب أسماء من قتل من الشعراء، ومن نسب منهم إلى أمه، ومن غلبت كنيته على اسمه.
وتوفى رحمنا الله وإياه في سنة (٢٤٥).

(٢) اتفق العلماء على أنه لا يجوز للذمي أن يستأجر المسلم أو يستأجر شيئًا يملكه المسلم كالبيت والسيارة ، وغير ذلك لغرض يخص دينهم كأن يقيم في بيت المسلم المستأجر قداسًا أو احتفالاً دينيًا ما.
وكذلك اتفقوا على أنه لا يجوز للمسلم أن يؤجر نفسه للذمي للقيام ببناء معابدهم أو صوامعهم أو أي عمل غير مباح شرعًا كذبح خنزير أو نقل خمر أو الأعمال الحقيرة والممتهنة.
وأما أن يؤجر المسلم نفسه من الذمي في الأعمال التي لا تمس دينه ولا دين الذمي وليس فيها امتهان لكرامة المسلم فلا بأس بذلك عندهم.

كانوا يتعاطسون عنده، رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله.

وأما إن سب المسلم أو ضربه فقيل: ينتقض عهده.

وقيل: يعذر تعذيرًا يردعه عن العود إلى مثل ذلك، وقد تقدم هذا.

وسئل الشيخ الفقيه بهاء الدين بن رشيق عما نصه: ما تقول السادة العلماء وفقهم الله تعالى لطاعته، وأعانهم على مرضاته: في نصراني دخل مسجدًا وأحضر مسلمًا وطلب منه شيئًا يغترف به. فقال النصراني للمسلم: أراك كلب خنزير ديوث يهودي.

فاستغاث المسلم، وقال: وإسلاماه، وامحمداه.

فقال له النصراني: رحم[1] عيالك، وسب النبي صلى الله عليه وسلم[2]. بمقالة شنيعة كرهنا ذكرها في هذا الكتاب، فماذا يجب على النصراني؟

فكتب في جوابه: إذا ثبت في الشرع الشريف أن هذا النصراني ذمي

---

(١) أراد بهذه الكلمة المؤلف رحمنا الله وإياه التورية عن الكلمة القبيحة التي يسوقها السوقة والأسافل من الناس.

(٢) قال أحمد بن حنبل في أحكام أهل الملل في الجامع لمسائل أحمد تأليف أبي بكر الخلال وبتحقيقي في المسألة (٧٢٤): كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل.

وفي المسألة (٧٢٦ وتوابعها) : أخبرنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال: حدثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن من حدثه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مر به راهب، فقيل له: هذا يسب النبي صلى الله عليه وسلم؟

فقال ابن عمر : لو سمعته لقتلته إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثًا مثل هذا رأيت عليه القتل على هذا أعطوا العهد والذمة.

بأداء الجزية من حين بلوغه إلى آخر الحين الذي وجبت عليه عن يدٍ وهو صاغر، كان هذا الذكر القبيح في أقل اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف في حقه؟ موجبًا لنقض عهده وسفك دمه، وجعل ماله فيئًا، ولا تقبل توبته ولا تقال عثرته، وإن أظهر الإسلام، فإن هذه مقالة شنيعة، ولفظة فظيعة، وحجاب مجد الرسول صلى الله عليه وسلم منيع وشرف قدره رفيع وقد قال الأول:

[٤٤/أ] لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فأحرق النصراني لعنه الله.

فعلى ما ذكره الشيخ يكون سنة للمسلمين لنقض عهد، وهو أحد القولين بين العلماء وكما قدمناه.

فإن زنى بمسلمة (.....[١]). فاختلف في نقض عهده بذلك وقتله.

وإن أكرهها على الزنا لا نعلم خلافًا في نقض عهده بذلك.

وعلى هذا فينتقض عهد أكثر أهل الذمة بالديار المصرية، فإنهم يسبون المسلمين بحريمهم طوعًا وإكراهًا والله أعلم.

وإن امتنع من أداء الجزية انتقض عهده وحل ماله. وإن سب النبي

---

(١) موضع النقط كلمة متآكلة لم أتبين قراءتها.

وفي أحكام أهل الملل في الجامع لمسائل أحمد المسألة (٧٦١): ... وسمعت أبا عبد الله وسئل عن مجوسي فجر بمسلمة؟

قال: يقتل هذا نقض العهد.

قلت: فإن كان من أهل الكتاب؟

قال: يقتل أيضًا.

قد صلب عمر رضي الله عنه رجلاً من اليهود فجر بمسلمة.

صلى الله عليه وسلم قتل. وهل يسقط عنه الإسلام القتل أو لا[1]؟

فيه قولان، وكل ما يقتل الذمي فيه فإنه يسقط عنه القتل بالإسلام.

وإن اشترى عبدًا مسلمًا فقيل يفسخ بيعه وقيل: يباع عليه.

وكذلك إن اشترى مسلمًا أو مصحفًا يؤدب على ذلك.

سئل مالك رحمه الله: عن الكتاب فيه التوراة والإنجيل أترى بيعه من النصارى واليهود؟

قال أصبغ[2]: وكيف يعرف أنه توراة أو إنجيل؟

---

(١) في المسألة (٧٦٧) من الكتاب السابق: أن أبا عبد الله سئل عن نصراني أو يهودي قتل فلما قدم يقاد أسلم، يدرأ عنه القتل؟

قال : يقتل لأنه قتله وهو نصراني فوجب عليه القتل وهو نصراني، فلا يدرأ عنه إسلامه القتل . ولو قتله وهو بعد ما أسلم لم يقتل به لأنه لا يقتل مؤمن بكافر.

(٢) أحسب أن أصبغ هذا هو : أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع أبو عبد الله ، الأموي مولاهم، المصري، المالكي، الإمام الكبير الشيخ مفتي مصر وعالمها.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/٦٥٦): مولده بعد الخمسين ومائة.

وطلب العلم وهو شاب كبير، ففاته مالك والليث.

حدث عنه البخاري ، وأحمد بن الحسن الترمذي، ويحيى بن معين، وأحمد بن الفرات، والربيع بن سليمان الجيزي ... وخلق كثير.

ذكره ابن معين فقال: كان من أعلم خلق الله برأي مالك يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك، ومن خالفه فيها وقال أحمد بن عبد الله: أصبغ ثقة صاحب سنة.

وقال أبو حاتم: كان أجل أصحاب ابن وهب وقال أبو سعيد بن يونس: كان يحيى بن عثمان بن صالح يقول: هو من أولاد عبيد المسجد، كان بنو أمية يشترون عبيدًا يخدمونه، فأصبغ من أولئك، وكان مطلعًا بالفقه والنظر،

لا أرى أن يبيعه ولا يأكل ثمنه.

قال بعض العلماء: لأن يدين الإسلام ناسخ لجميع الأديان فلا يحل أن يباع ممن يعتقد العمل بما فيها ويكذب القرآن [٤٤/ب] الناسخ.

ولو صح أنها توراة أو انجيل، وذلك لا يصح إذ لا طريق إلى معرفة صحته، وقد أخبر الله تعالى أنهم بدلوا التوراة والإنجيل.

وذكر مالك: معاملة الكفار بالدنانير والدراهم التي فيها اسم الله تعالى إذا لم يكن في الدراهم التي كانت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك إنما كانت ضرب فارس وضرب الروم.

=

ثم قال: توفي لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين، وكان ذكر للقضاء في مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسبقه سعيد بن عفير.

فصل
في ذكر كنائسهم

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تبنى بيعة في الإسلام، ولا يتجدد ما خرب منها"[1].

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام ومنع أن تحدث كنيسة، وأمر أن لا يظهر صليب خارج من كنيسة إلا كسر على رأس صاحبه[2].

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٢٨٦)، وعزاه لابن عساكر، والديلمي، كلاهما عن ابن عمر.

(٢) في أحكام أهل الملل المسألة ورقم (٩٦٧) في الجامع لمسائل أحمد:

أخبرني عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عن حنش عن عكرمة قال: سئل ابن عباس عن أمصار العرب أو دار العرب، هل للعجم أن يحدثوا فيها شيئًا؟

قال: أيما مصر مصرته العرب، فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعة، ولا يضربوا فيه ناقوسًا ولا يشربوا فيه خمرًا، ولا يتخذوا فيه خنزيرًا. وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله تبارك وتعالى على العرب فنزلوا فيه فإن للعجم ما في عهدهم، وللعرب أن يفوا بعهدهم، ولا يكلفوهم فوق طاقتهم.

قال: وسمعت أبي يقول: ليس لليهود والنصارى أن يحدثوا في مصر مصره المسلمون بيعة ولا كنيسة، ولا يضربوا فيه بناقوس إلا فيما كان لهم صلح.

وليس لهم أن يظهروا الخمر في أمصار المسلمين.

حديث ابن عباس: أيما مصر مصره المسلمون.

وفي المسألة رقم (٩٦٨): أخبرنا المروزي قال: قال لي أبو عبد الله سألوني عن الديارات في المسائل التي وردت من قبل الخليفة قيل أي شيء تذهب أنت؟

=

وأمر عروة بن محمد: بهدمها بصنعاء. وهذا مذهب علماء المسلمين.

وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: وأمر أن لا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا جديدة .

وهكذا قال الحسن البصري رحمه الله: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة.

وكتب عمر بن عبد العزيز: أن امنعوا النصارى من رفع أصواتهم في كنائسهم، فإنها أبغض الأصوات إلى الله تعالى، وأولاها أن تخفض [٤٥/أ] ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب[١].

وفيه قولان:

قال الاصطخري: إن طينوا ظاهر الحائط منعوا، وإن طينوا داخله

=

قال: ما كان من صلح أقر، وما كان أحدث بعد هدم.

(١) قال الخلال في أحكام أهل الملل من مسائل أحمد المسألة رقم (٩٦٩).

أخبرني أحمد بن محمد بن مطر قال: حدثنا أبو طالب أنه سأل أبا عبد الله عن بيع النصارى ما كان في السواد، هل أقرها عمر؟

فقال: السواد إذا فتح بالسيف فلا يكون فيه بيعة ولا يضرب فيه بناقوس ولا يتخذ فيه الخنزير ولا يشرب فيه الخمر، ولا يرفعوا أصواتهم في دورهم إلا: الحيرة، وبانقيا، وبنى صلوبا. فهؤلاء صلح صولحوا ولم يحركوا، فما كان منها لم يخرب، وما كان غير ذلك فكله محدث يهدم.

وقد كان أمر بهدمها هارون وكل مصر مصرته العرب فليس لهم أن يبنوا فيه بيعة، ولا يضربوا فيه ناقوسًا ولا يشربوا فيه خمرًا، ولا يتخذوا فيه خنازيرًا.

وما كان من صلح صولحوا عليه فهم على صلحهم وعهدهم.

وكل شيء فتح عنوة فلا يحدثوا فيه شيئًا من هذا ، وما كان من صلح أقروا عليه. واحتج فيه بحديث ابن عباس.

الذي يليهم لم يمنعوا.

وسئل بعض العلماء عن كنيسة انهدم بعضها فهل للنصارى ترميم ما انهدم منها؟ وإذا بنوا يجب هدمه؟

فأجاب: بجواب يشفي الصدور بأن قال: لا يجوز ترميم كنيسة انهدم بعضها إلا أن يتبين أنها كانت موجودة من زمن الصحابة رضوان الله عليهم لم يتعرضوا لها مع العلم بها. هذا رأي أهل العلم، وبه أقول.

ومنهم من لا يجوز ترميمها ولو ثبت علم الصحابة بها، ذاهبين إلى أنهم إنما فسحوا لليهود والنصارى بتلك الصورة المحصوصة[1] في جدار بيعة أو سقف بيعة أو عامود بيعة.

فإذا زال ذلك المعين، فقد فات ما صولحوا عليه وفسح لهم فيه.

وإحداث عين أخرى يعين على الشرك بالله تعالى والكفر به.

وذلك أنه بين علماء المسلمين أنه لا يجوز إحداث كنيسة، ولا فرق بين كنيسة وأخرى أو جزء منها. وهذا أغلظ القولين، والقول الأول أخفهما[2].

فإن رأى السلطان معاملتهم بالأغلظ منعوا من الترميم مطلقًا.

---

(١) أي المصنوعة من الجص، أو ما نسميه نحن: جبس.

(٢) وفي المصدر السابق في المسألة رقم (٩٧٠): حدثنا أبو الحارث قال: سئل أبو عبد الله عن البيع والكنائس التي بناها أهل الذمة ، وما أحدثوا فيها ما لم يكن؟ قال: تهدم وليس لهم أن يحدثوا شيئًا من ذلك فيما مصره المسلمون ويمنعون من ذلك إلا ما صولحوا عليه.

قيل لأبي عبد الله: إيش الحجة في أن يمنع أهل الذمة أن يبنوا بيعة أو كنيسة إذا كانت الأرض ملكهم وهم يؤدون الجزية وقد منعنا من ظلمهم وأذاهم؟

قال حديث ابن عباس: أيما مصر مصرته العرب.

وإن حملهم على الأخف فسح لهم فيما ثبت أنه كان موجودًا زمن الصحابة رضي الله عنهم. وذلك لا يتصور ثبوته [٤٥/ب] في الغالب، يلزم من هذا، أنه لا تجوز الفسحة فيما رمموه ويحرم إبقاؤه قطعًا.

وبالله التوفيق

۞ ۞ ۞

فصل
في الجـــــزية[1]

اختلف العلماء: هل الجزية أمر مقدر لا يزاد على ما قرره عمر رضي الله عنه؟ أو ذلك راجع إلى اجتهاد الإمام؟ وهو الأقيس.

والقول الثالث: أنه لا ينقص منه على ما قرره عمر رضي الله عنـــه، وتجوز الزيادة.

ومذهب مالك: أربعون درهمًا على أهل الورق، وأربعة دراهم على أهل الذهب. صرف كل دينار عشرة دراهم.

والذي قرره عمر رضي الله عنه: ثمانية وأربعون درهمًا على الغـــني، وعلى من دونه أربعة وعشرون وعلى من دونه اثنى عشر درهمًا.

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب مادة جزى في تعريف الجزيـــة في اللغـــة:
الجزية: خراج الأر ض، والجمع جزىً، وجزىٌ.
وقال أبو علي: ... والجمع جزاءٌ .... وجزية الذمي منه.
وقال الجوهري: والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة، والجمع الجزى مثل لحيـــة ولحى. وقد تكرر في الحديث ذكر الجزية في غير موضع، وهي عبارة عـــن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، وهي فعلة من الجزاء، كأنها جزت عن قتله.
ومنه الحديث: "**ليس على مسلم عورة**" أراد أن الذمي إذا أسلم وقد مـــر بعض الحول، لم يطالب من الجزية بحصة ما مضى من السنة.
وقيل: أراد أن الذمي إذا أسلم وكان في يده أرض صولح عليها بخراج يوضع عن رقبته الجزية وعن أرضه الخراج.
ومن الحديث: "**من أخذ أرضًا بجزيتها**" أراد به الخراج الذي يؤدى عنهـــا، كأنه لازم لصاحب الأرض كما تلزم الجزية الذمي.

فيجوز للإمام أن يجتهد في ذلك.

وفي وقتنا هذا يجوز أن يجعل على أحدهم ألف دينار في السنة، لا يعجز عنها لكثرة ما يحصلونه من أموال المسلمين.

ويجب على الإمام أو نائبه إذا اطلع على خيانتهم في الأموال أن ينتزعها منهم، وإن لم يعلم ذلك فله أن يشاطرهم بأخذ نصف أموالهم إن كانت لهم أموال قبل الولاية.

وأما إن كانوا فقراء ساعتئذ، فله أن يأخذها بكمالها كما فعل عمر رضي الله عنه، بعدول مصرية[1]، وكانت حجته في ذلك [٤٦/أ] أنهم انتفعوا في أموالهم بجاه المسلمين، ولم يظهر عليهم خيانة.

وسئل مالك بن أنس عن السبب الذي شاطر به [عمر[2]] عماله؟

فقال: قال بعض الشعراء فيهم:

نَحجُّ كَمَا حَجُّوا وَنَغْزُوا كَمَا غَزَوْا ... فَأَنَّى لهم وَفْرٌ وَلَسْنَا بِذِي وَفْرِ

إِذَا التَّاجِرُ الهِنْدِيُّ جَاءَ بِفَارَةٍ ... مِنَ المِسْكِ لاَحَتْ مِنْ مَفَارِقِهِم تَجْرِي

فشاطرهم عمر رضي الله عنه.

فما ظنك بأعداء الله الذين يتقوون بأموال المسلمين على الفسق في حريمهم، والإفساد في ملكهم، بمكاتبة الحربيين؟

فأسأل الله العظيم أن يطهر منهم الديار المصرية، كما طهر بلادهم

---

(١) يريد بما يوازيها أو يساويها من العملة المصرية.

وأرى والله أعلم أن المؤلف رحمنا الله وإياه شديد الحمل عليهم، وليس في هذا دفاعًا عنهم ولكن ربما كانوا في زمانه قد اشتد أذاهم اشتدادًا جعله كاد أن يحيد عن الموضوعية في معاقبتهم ، فهو يأخذهم دائمًا بالأشد لا بالأخف ولا بالوسط وربما كان له عذره الذي لم نلمسه.

(٢) زيادة توضيحية.

على يد من نصر الله الإسلام على يديه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

سؤال

عادة الشرع دفع أعظم المفاسد بإيقاع أدناها، ومفسدة الكفر تربى على مصلحة القدر المأخوذ منهم جزية، بل جملة الدنيا.

فلم أقرهم الشرع على الكفر بهذا النذر اليسير[1]؟

الجواب

إن هذا من باب التزام المفسدة الدنيا لتوقع المصلحة العليا.

وذلك أن الكافر إذا قتل انسد عليه باب الإيمان، ومقام السعادة، فشرع الله تعالى الجزية رجاء أن يسلم في مستقبل الزمان ، لاسيما إذا اطلع على محاسن الإسلام ، وإن مات على كفره يتوقع ذلك من ذريته [٤٦/ب] وذرية ذريته إلى يوم القيامة. وساعة من إيمان خير من دهر من الكفر[2].

---

(١) السؤال عن علة الأحكام يجب أن يسكت عنه ؛ لأنها أمور سكت الله عنها لأنها لا فائدة تعود علينا في معرفتها. ثم أنه لبيان تعبد العبد لربه يجب عليه أن يفعل ما يؤمر به دون السؤال عن العلة أو السبب بهذا يكون عبداً ربانياً وقافاً عند ما شرع الله له وما أمره به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله سكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها وقال تعالى: ﴿**لا تسألوا عن أشياء إن تبدى لكم تسؤكم**﴾.

(٢) هذا نوع من الاجتهاد في معرفة العلة ، قد يوافق الحق وقد يجانبه وقد يوافق بعض أهل العلم عليه وقد يعترض ويسوق أسباب أخرى وعلل أخرى لأخذ الجزية فلا يكون واحد منها أقوى من الآخر، ولا أولى من الآخر إذ أنها كلها لم تبن على دليل من كتاب أو سنة وهما مصدر التشريع الذي عليه المعول في التعبد لله رب العالمين.

وأما عدم الاستعانة بهم فيأتي في باب صفة العمال، ونذكر الآن منه طرفًا: **لما ولى المتوكل بأمر الله رضي الله عنه** كتب إلى النواحي: لا يستعان بذمي على عمل من الأعمال وتوعد من فعل ذلك أشد الوعيد.

وأمر أهل الذمة بتغيير زيهم ومخالفتهم للمسلمين.

وجعل على أبوابهم أمثال الشياطين.

فهو يترحم عليه بهذه الخصلة ما بقيت الدنيا.

وهذه صفة التوقيع الذي أمر بكتابته في ذلك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإن الله اصطفى الإسلام وأظهره وجعله دينًا قيمًا عزيزًا منيعًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وارتضى للقيام بشرائعه، وإحياء معالمه وسننه خلفاءه في أرضه، وأمناءه على عباده فاختارهم من خير أمة أخرجت للناس، وأعلى دعوتهم، وأمكن لهم في أرضه وأظهر دينهم على كل دين ولو كره المشركون ولم يجعل لهم ولاءً لأحد ممن قلده سياسة خلقه، ولا ضرورة إلى أحد من أهل الملل المخالفة للإسلام في شيء من أمور دينهم ودنياهم؛ في جعل الحق والحزم في إقصائهم عن الأعمال، وإبعادهم من الاستيطان إذ كان مقصد السلطان في الاختيار لأعماله أهل [٤٧/أ] النصح، والأمانة، وكانت الحالتان جميعًا معدومتين عند أهل الذمة.

أما الأمانة: فليس أحد منهم بمأمون يؤتمن عليه فكيف يلي أمور

---

(١) المتوكل هو: أبو الفضل جعفر بن محمد بن هارون بن محمد، وقد تولى بعد أخيه الواثق- وهو هارون وكانت ولايته في سنة اثنين وثلاثين ومائتين، وكانت أمه أم ولد يقال لها: شجاع وهي تركية.

وظل واليًا إلى أن قتل على يد باغر، ويجن التركيان، ويقال: واجن الأشروسني الصغدي، بأمر من ابنه المنتصر، وكان ذلك في ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فكانت ولايته نحوًا من خمسة عشر سنة إلا يسيرًا وكان عمره اثنتين وأربعين عامًا.

وللمزيد في ترجمته وأخباره راجع كتاب الكامل في التاريخ من عام (٢٣٢: ٢٤٧) وغير ذلك كثير من كتب التواريخ والسير وسير الخلفاء والدولة الإسلامية في العصر الأموي.

المسلمين لأنهم عداة الدين وبغاة.

وأما النصيحة: [فكيف تكون[1]] عند من كان مقامه بين ظهراني المسلمين على كره وقهر وذلة وصغار، وقد نهى الله تبارك وتعالى في محكم كتابه عن موالاتهم فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾[3].

وقال تعالى وقوله الحق: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا**﴾[4].

مع آي كثيرة، وأخبار مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن صالح السلف، فيما نهى عنه من الاستعانة بهم في أعمال المسلمين.

أمير المؤمنين أولى من أئتم به. وبالله توفيقه وعليه توكله وهو حسبه ونعم الوكيل

وأمورهم ضرر على [٤٧/ب] أعمال الفيء[5] فيما تعتنون به فيه

---

(١) ما بين المعقوفين ممحو من المخطوط لعيب في التصوير أو لعوامل الزمن فأثبت ما يفيد المعنى وتستقيم به العبارة، والله أعلم بالصواب.

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٤) سورة النساء (الآية: ١٤٤).

(٥) الفيء: هو ما رزقه المؤمنون من أموال الكافرين وأمتعتهم بغير قتال، ومنه قوله تعالى: ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾ وقد كان ذلك في أول الأمر في

منها، وتنطلق أيديهم فيما هم مستحلون خيانته واحتجازهم من حقوقهـــا. وعلى المسلمين فيما تنبسط به ألسنتهم وأيديهم من امتهانهم واســـــتذلالهم وتخوينهم.

وما أوجب الله تعالى على أمير المؤمنين من تعظيم الدين، وحياطتـــه وصيانته، وإحياء كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإعزاز الدين أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أمـــور المسلمين وأموالهم، وتدبير خراجهم، وجباية فيئهم مـــن دواويـــن العامـــة والخاصة بالحضرة والنواحي وتخرج به الكتب إلى جميع عمال العامة والخاصة في النواحي ليمتثلوه ويقفوا عنده، فمن خالف أمره أنزل به ما يتعظ به من سواه من تنكيل أمير المؤمنين وغيره ما لا صلاح له بعده، ولا قبل له به إن شاء الله تعالى.

وكتب نجاح بن أبي سلمة
يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال
سنة خمس وثلاثين ومائتين[1]

=

ما أفاء الله تعالى به على المسلمين من أموال بني النضير، فإن المســـــلمين لم يقاتلوهم و لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ولا مبارزة ولا مصاولة ولكن الله تعالى قذف في قلوبهم الرعب والخوف فتركوا الأموال وما شابهه فيئـــا للمسلمين.

(١) كذا كانت تختم رسائلهم ومكاتباتهم وعقود بيعهم وشرائهم بأن يكتـــب وكتبه أو وكتب: أي كتب الرسالة أو المكتوب الذي بين يديـــك فـــلان وأملاه: فلان أي أملى الصيغة التي في المكتوب.وشهد عليه فلان وفلان. أي شاهدي المكتوب، وهو أشبه ما يكون في عصرنـــا الحـــالي بشـــهادات المدارس والهيئات التعليمية، ثم يؤرخ المكتوب.

واختصرنا من نسخة هذا التوقيع خشية التطويل وأتينا منه ما هو مقصود لنا.

فلله دره لقد أبقى له ذكرًا جميلاً، وخلف ثناءًا جليلاً، ونصح لله ولرسوله، وأبعد أعداء الله، وأقصى من أقصاه الله .

فرحمة الله وسلامه [عليه[1]].

وبالجملة: فيجب على الإمام الأعظم كف أعداء الله تعالى عن المسلمين وأخذهم بالعهد المأخوذ عليهم، وإلزامهم بشرائطه وردعهم، وتعزيرهم إن أخلوا [٤٨/أ] بشيء من الشروط مما لا ضر على المسلمين في تركها أو فعلها.

ومن فعل منهم ما فيه كثير ضرر على المسلمين فليقتله ويجعله نكالاً لغيره وعبرةً لمن سواه، فإن ضررهم قد عظم وأذاهم قد كثر والمسلمون معهم في أمر مريج وخطب شديد.

الله تعالى يكفهم[2] ويزيل عن الإسلام ضررهم إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، هو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



---

(١) زيادة استكمالية لإفادة المعنى.

(٢) في المخطوط: يكفيهم. وهو تحريف.

الباب الخامس
في صفة من يستحق الكتابة للمسلمين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾[(١)].

وقال عز من قائل: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾[(٢)].

ففي قوله تعالى: ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾[(٣)].

إشارة إلى أن المطلوب من العباد ما أمروا به ليس لهم خروج، وإن أفضى بهم عقلهم إلى أن في غير ذلك مصلحة يعتمدون على تدبير الله ويمتثلون أمره، فهو أعلم بالمصالح.

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك[(٤)]: فضمن الله للمؤمنين النصر، وشرط عليهم أربع شرائط كما ترى متى تضعضعت قواعدهم أو انتقض عليهم شيء من أطراف مملكتهم أو ظهر عليهم

---

(١) سورة ص (الآية: ٢٦).
(٢) سورة الحج (الآية: ٤١).
(٣) سورة الحج (الآية: ٤١).
(٤) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/٩٨٤): سراج الملوك مجلد لأبي بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي الطرطوشي ولد سنة (٤٥١) توفي سنة (٥٢٠) أوله: الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال الخ ، جمع من سير الأنبياء وآثار الأولياء ومراعاة ومواعظ العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء ، ورتبه ترتيبًا أنيقًا قلما سمع به ملك إلا استكتبه ولا وزير إلا استصحبه يستغني الحكيم بمدارسته عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء، وذكر فيه الأمير أبا عبد الله محمد الأموي وأبوابه أربعة وستون بابًا.

باغي [٤٨/ب] أو اضطربت عليهم الأمور أو رأوا أسباب التغير.

فليلجأوا إلى الله تعالى ويستجيروا من سوء الأقدار بإصلاح ما بينهم وبين الله تعالى بإقامة القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده.

وركوب العدل والحق الذي به قامت السماوات والأرض، وإظهار شرائع الدين ونصر المظلوم، والأخذ على يد الظالم وكف القوى عن الضعيف، ومراعاة الفقراء والمساكين، وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين، ويعلمون أنهم قد أخلوا بشيء منه الشروط الأربعة التي شرطت في النصر في قوله تعالى: ﴿**لينصرن الله من ينصره**﴾(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وولده وهي مسئول عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**"(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام : "**ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة**"(٣).

---

(١) سورة الحج (الآية: ٤٠).

(٢) أطراف هذا الحديث عند : البخاري في الصحيح (٦/٢)، (١٩٦/٣) وغير ذلك وأبي داود في السنن (الخراج ب ١)، الترمذي (١٧٠٥)، أحمد في المسند (٣/٥، ٥٤)، البيهقي في السنن الكبرى (٢٨٧/٦)، (٢٩١/٧)، أبي نعيم في الحلية (٣١٨/٧)، الخطيب في تاريخ بغداد (٢٢٨/٤)، (٢٧٦/٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤٨/٣)، ابن عبد البر في التمهيد (٢٨٤/٢)، السيوطي في الدر المنثور (٩٦/٣).

(٣) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٨٠/٩)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨٦)، ابن حجر في الفتح (١٢٧/١٣)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٣٤٤/٢) والزبيدي في إتحاف السادة المتـــقين

وقال عليه الصلاة والسلام "**اللهم من ولى من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**"(١).

وقال عليه الصلاة والسلام : "**إن المقسطين [٤٩/أ] عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**"(٢).

فانظر أيدك الله، هل أحسن الرعاية من ولى على رقاب المسلمين أعداء الله يحكمون فيهم ويعتزون عليهم، ويظهرون العلو على المسلمين.

وقد أمر الله تعالى بإعزاز المسلمين وتعظيمهم وتوقيرهم وبرهم والإحسان إليهم وخفض الجناح لهم.

وأمر بإهانة النصارى واليهود وصغارهم، ومباعدهم وإذلالهم(٣).

=

(٧٦/٧).

(١) أطراف هذا الحديث عند: مسلم في الصحيح (الإمارة ١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣/٩)، (١٣٦/١٠)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٥)، ابن حجر في فتح الباري (١٣٠/١٣)، المتقي الهندي في كتر العمال (١٤٩٢٦، ١٤٩٦٩)، أحمد في المسند (٩٣/٦، ٢٥٧، ٢٥٨)، والسيوطي في جمع الجوامع (٩٨٣٧)، الألباني في الضعيفة (٣٣٣).

(٢) أطراف الحديث عند : مسلم في الصحيح (الإمارة ١٨)، النسائي في المجتبى (٢٢١/٨) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٣٦٧/٥)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٧/١٣)، السيوطي في جمع الجوامع (٥٩١٤)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٦٣٩٠) ، المتقي الهندي في كتر العمال (١٤٦٠٣)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣٨١/٨).

(٣) يمكن استبدال مثل هذه العبارة بعبارة أخف وأنسب وتحقق الغرض كأن يقول إجبارهم أو إخضاعهم أو إلزامهم بفعل كذا وترك كذا، وطاعتهم التامة بأحكام ونظام الدولة المسلمة التي يعيشون فيها واحترامـــها وتوقير =

فمن عظم النصارى أو ولاهم على المسلمين سبيله سبيل المنتصب لمخالفة أحكام الله المتعدي لحدود الله.

وقامت على ذلك حجج الله تعالى من كتابه الذي أنزله ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله، ومن أخبار الصحابة وخيار الأمة، وعلمائها وصلحائها فهل هذا إلا سبيل المؤمنين وطريقة الصالحين والتابعين، وقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا**﴾ (١).

وقد أوعد الله تعالى من خالف أمره وتعدى حدوده، فقـــــال تعالى: ﴿**ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾ (٢).

﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿**وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا**(٤) **وعذبناها عذابًا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا**﴾ (٥).

=

أهلها وعدم التعالي عليهم أو تناول أحد من أفرادها بما يشين من قول أو فعل إلى آخر ذلك من العبارات بعيدًا عن كلمة الإذلال لما فيها من وقع سيئ على النفس.

(١) سورة النساء (الآية: ١١٥).

(٢) سورة البقرة (الآية: ٢٢٩).

(٣) سورة الطلاق (الآية: ١).

(٤) في المخطوط يسيرا. وهو سهو من الناسخ، والعجيب في الأمر أن معظم أخطاء الناسخ في الآيات.

(٥) سورة الطلاق (الآية: ٨، ٩).

فلينل فاعل ذلك دعوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع بإجابتها حيث يقول: "**ومن شق عليهم فاشقق عليه**"(١).

وأي مشقة أشد من تولية عدو الله وعدو المسلم عليه، الذي لا يخاف الله فيه ولا يراقبه بل يعتقد أنه بأذيته مأمور، وفي كتابه مأجور.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: "**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**"(٢).

قلت: وسلطان الله أمره ونهيه وأحكامه، وقال تعالى: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾(٤) إلى قوله: ﴿**الصدور**﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿**إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا**﴾(٦).

---

(١) جزء من الحديث الذي سبق ذكر مصادر تخريجه منذ قليل.

(٢) أطراف هذا الحديث عند : الترمذي في الجامع الصحيح (٢٢٢٤)، أحمد في المسند (٥/٤٩)، البغوي في شرح السنة (١٠/٥٤)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٢/٣١٥)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٩٥)، المتقي الهندي في كنز العمال (٩٣٢، ١٠٧٣) .

(٣) سورة المنافقون (الآية: ٨).

(٤) سورة آل عمران (الآية: ١١٨).

(٥) سورة آل عمران (الآية: ١١٩).

(٦) سورة آل عمران (الآية: ١٢٠).

فحذر المؤمنين من أعدائهم الكافرين.

قال العلماء: دلت هذه الآية أنه لا يجوز أن يتخذوا كاتبًا ولا عمالاً على المسلمين.

والمعنى في عدم الجواز ظاهر، وذلك أن العاقل لا يفعل إلا مصلحة دينية أو دنيوية. فمتى انتفى هذان الأمران امتنع ذلك الفعل جزمًا[1] أو يكون فعله عبثًا والعبث ممتنع والإنسان لا يقيم غيره مقامه [٥٠/أ] إلا إذا عرف محبته له ونصحه والقيام بأمره أحسن قيام.

وقد أخبر الله تعالى أنهم أعداء وأنهم يحبون ما نكره ويكرهون ما نحب، فانتفت المصلحة الدنيوية لهذا مع ما تضمنت ولايتهم من تعظيمهم وإعزازهم، وإهانة المسلمين وإذلالهم، فانتفت المصلحة الدينية لهذا.

فحرمت ولايتهم لانتفاء المصلحتين وأيضًا فإن العاقل لا يمكن عدوه مما يحبه ولا فيمن يحبه ولو لم يرد ذلك شرع فكيف وقد ورد الوعيد العظيم والعقاب الشديد في ذلك من الله عز وجل.

وكتب بعض العمال إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن العدو قد كثر وإن الخونة قد كثروا فنستعين بالأعاجم؟[2]

فكتب عمر: إنهم أعداء الله، وإنهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله ولا تردوا إليهم شيئًا.

وقال عمران بن أسد: أتانا كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

---

(١) الكلمة في المخطوط على الرسم التالي: (محرعا) والتصويب حسب مقتضى السياق.

(٢) هذا استفسار من أمير المؤمنين على الحال في بلدهم، ومع حاجة المؤمنين إلى بعض خبرتهم في البلدان الإسلامية إلا أنه يفضل عدم الاستعانة بهم وإعطاء بعض أبناء المسلمين قسطًا وافرًا من العلم في مناحي الحياة والعلوم المدنية حتى يكتسبوا من المهارات ما يغنيهم عن الاستعانة بهؤلاء اليهود أوالنصارى.

إلى محمد بن المنتشر: أما بعد: فإنه بلغني أن في عمالك رجلاً يقال له: حسان على غير دين الإسلام والله تعالى يقول: {**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**}(1).

فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا ونحن منه وإن أبى فلا تستعين ولا تستعمل غير أهل الإسلام [٥٠/ب] على شيء من المؤمنين.

فقرأ الكتاب وأسلم وعلمه الطهارة والصلاة(2).

عن جويرية بن أسماء(3): أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر رضي

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥٧).

(٢) في هذه الرسالة فائدتين الأولى تعليم الولاة بأن لا يجوز تولية أو استخدام أو استكتاب أهل الكتاب على أهل الإسلام.
والفائدة الثانية : كيفية معالجة الأمور بالحكمة بحيث استفاد الخليفة من خطأ الوالي، فقوم الخطأ ودعى الكاتب إلى الإسلام فأسلم، فهكذا يكون الخلفاء، وهكذا يكون التقويم.

(٣) في المخطوط: جويرية بنت أسماء، وهو تحريف والصواب ابن أسماء وهذا اسم مشترك كاسم أبيه أيضًا مشترك بين الذكر والأنثى عند العرب، الأشهر فيها للإناث. وهو من رواة الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي.
ومن مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٢٨١/٧)، طبقات خليفة (٢٢٣)، تاريخ خليفة (٤٤٩)، التاريخ الكبير (٢٤١/٢)، التاريخ الصغير (٢/ ١٩١)، الجرح والتعديل (٥٣١/٢) ، مشاهير علماء الأمصار (١٥٩)، تذكرة الحفاظ (٢٣١/١)، سير أعلام النبلاء (٣١٧/٧)، العبر (٢٦٤/١)، شذرات الذهب (٢٨٣/١)، تهذيب التهذيب (١٢٤/٢)، تقريب التهذيب، تهذيب الكمال (٢١٢/١).
=

الله عنه: إن المال قد كثر، وكثر ما نأخذ ولسنا نحصيه إلا بالأعاجم.

فكتب إليه عمر: لا تعد، هم في شيء غلبهم الله إياه، واغتشوهم[1] على دينكم وأنزلوهم حيث أنزلهم الله وتعلموا فإنما هي الرجال.

وذكر لعمر غلام نصراني من أهل الحيرة: فقيل له: لو اتخذته كاتبًا؟

فقال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين.

ولم يبلغنا أن أحدًا من الخلفاء الراشدين استعمل كاتبًا كافرًا مع حاجتهم لهم في ذلك الوقت، إذ كانت العرب أمة أمية[2] لا تحسن الحساب. وأما اليوم ففي المسلمين سعة وغنى عنهم أبعدهم الله تعالى وخذلهم.

وقد قال عمر رضي الله عنه: لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق

=

قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء: جويرية بن أسماء بن عبيد المحدث الفقيه، أبو المخارق، وقيل: أبو مخراق -وهو أشبه- الضبعي، البصري.

حدث عن: نافع العمري، وابن شهاب الزهري، وعن رفيقه مالك بن أنس.

حدث عنه: ابن أخيه عبد الله بن محمد بن أسماء، وابن أخيه سعيد بن عامر الضبعي، وأبو الوليد الطيالسي، وحجاج بن منهال، ومسدد وعدة.

قال أحمد، ويحيى: ليس به بأس. قال الذهبي: وتوفي في سنة ثلاث وسبعين ومائة. وحديثه محتج به في الصحاح.

(١) أي ظنوا بهم الغش لدينكم لأن هذه هي حقيقتهم لقـــول الله تعالى فيهم **﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾**.

(٢) في المخطوط : أمته. وهو تحريف والمعروف أن العرب كانوا لا يجيدون علوم الحساب. ثم هم قد علموهم، ثم برعوا فيه، ووضعوا فيه النظريات، بل وأضافوا إليه الكثير ومن أشهر ذلك أنهم هم الذين وضعوا الصفر، وجعلوه بداية الحساب أو الأرقام ليستقيم العد والحسب.

روع المؤمنين.

وقد ذكر عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**"(1).

وعنه: "**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"(2).

ففي عمل هؤلاء الأعداء الخبثة تنفيس لكربهم وتفريج عنهم. ولقد بلغني أن النصراني في قرى مصر وبلادهم يكون سببًا في خراب البلاد وإخلاء أهلها(3) [51/أ] عنها ونهب أموالها(4) ويؤذي الرجال، ويفعل ما يقدر عليه من النكاية. وفي هذا دمار عظيم وفساد كبير.

وقد قال العلماء: إن منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل، فليجتهد جهده في ابتغاء صالح العمال(5)، فإذا فقد الوالي عمال الصدق كان

---

(1) أطراف هذا الحديث عند: أبي داود في السنن (٤٩٤٦)، الترمذي في الجامع الصحيح (١٩٣٠)، ابن أبي شيبة في المصنف (٨٦/٩)، الزيلعي في نصب الراية (٣٠٧/٣)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٦٦/٤)، السيوطي في الدر المنثور (٣٦٩/١)، أبي نعيم في حلية الأولياء (١١١٩/٨)، ابن ماجة في السنن (٢٢٥).

(2) أطراف هذا الحديث عند : مسلم في الصحيح (في الإيمان ٧٢)، النسائي في المجتبى (الإيمان ب ١٩)، المتقي الهندي في كنز العمال (٢٤٨٨٦)، أبي عوانة في المسند (٣٣/١).

(3) تكرر في المخطوط لفظ أهلها بأول الورقة [٥١/أ] فحذفت التكرار.

(4) في هامش كلمة الأموال إشارة إلى أنها بدل هذه الكلمة أو هذه الكلمة بدل منها.

(5) وكذا هنا تحريف حيث جاءت الكلمة في المخطوط: الأعمال. فأثبت ما =

كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب فيجب أن لا يولي على الأعمال إلا أهل الحزم والكفاية والصدق والأمانة والدين والنصيحة والمحبة للمولى..

فهل في النصارى أيدك الله شيء من هذه الخصال؟ بل فيهم ضدها.

فيهم الكذب، والظلم، والخيانة، والغش، والعداوة، والبغضاء، والأذى للناس، والجور على العباد.

وتجد الأمير مع ذلك يفوض إليه أمره ويطلعه على سره، ويرجع إلى قوله في إقطاعه، وغلمانه وحاشيته.

حتى أن عدو الله تكون حرمته عند حاشية الأمير والفلاحين أكثر من الأمير يقبلون يديه، ويقفون على رأسه إذا جلس[1].

لا يخالفه الأمير فيما يقوله، ولا يفعل إلا ما يشير به.

ويركب عدو الله الخيل المسومة على رقاب المسلمين، ويسب خيار الصالحين وأهل الدين. فلا يقدر أحد على الانتصاف منه لاتصاله بذلك.

فيكون ذلك سببًا لخذلان المسلمين، وباعثًا على إهانة الموحدين[2].

=

يوافق السياق.

ويبدو أن الناسخ كان في حالة إجهاد أثناء النسخ في هذه المنطقة من المخطوط لتكرار الخطأ. والله أعلم.

(١) هذا لمباشرته هو للرعية وليس الأمير، والناس يتعاملون معه لا مع الأمير فهنا يكمن الخطر على دينهم ودنياهم ويضمر في نفوسهم الكره لأميرهم إذ ولى عليهم عدو الله وعدوهم.

(٢) وهم عادة ما يفعلون ذلك أمام ضعاف النفوس من المسلمين حيث يغلب ظن أحدهم أنه لن يجرؤ أحد ممن أمامه على الإنكار عليه، ولو ظن مجرد الظن أن فيهم من يردعه فلن يظهر ذلك أمامهم بل يبطن لهم الشر ويظهرلهم حسن الخلق والحرص على مصالحهم جميعًا ومن المعلوم أنهم أهل

=

فإن خالفه أحد أو أنكر عليه ما يفعله اشتكاه للأمير، ويقول له: حرمتي من حرمتك، وما أهان هذا الرجل إلا أنت [٥١/ب] حينئذ يحتد الأمير لذلك، ويستشيط غيظه، ويوقع المكروه بذلك الرجل الصالح أو العالم.

والأمير لا يعلم ما يترتب على هذا من عظيم الخطب وسوء العاقبة.

كل هذا خديعة من أعداء الله، واستدراج للدولة.

فهل يقوم (....)[1] عبد الله مقام هذا الذنب العظيم؟

وهل شيء أفظع من هذا الخطب الجسيم؟ فمثل من يستكتب هؤلاء كمثل من يربي الكلب العقور ويوقفه في طريق المسلمين وقد قيل:

ومن يربط الكلب العقور ببابه ... فعقر جميع الناس من رابط الكلب

أو كمثل من يسترعى الذئب الغنم، وقد قال الأول:

وراعي الشاة يحمى الذئب عنها ... فكيف إذا الذئاب لها رعاة؟

والله للذئب أشفق على الغنم من النصارى على المسلمين[2]؛ فإن الذئب يؤذي الغنم ليدفع ضرورته ويسد جوعته، وأعداء الله يؤذون المسلمين بطراً ويتقربون بإهانتهم حتى من جملة ما يفعلونه يقصدون به النكاية. إنهم يقولون بحضرة المسلمين: زنينا بامرأة القاضي فلان.

=

دهاء ومكر، ومن أقوالهم إذا ملكك المسلم فأطعه، وإذا ملكته فأذله.

(١) موضع النقط كلمة مطموسة لعيب في أصل أو عيب في تصوير الميكروفيلم، وقدر الطمس كلمة واحدة..

(٢) وهذا شيء طبيعي؛ فمع ما سيذكر المؤلف فإن الذئب لا عقل له ولا هدف أكثر من أن يأكل أما النصراني فهدفه هدم هذا الدين فهو يفكر في كيفية الإفساد لا في أن يشبع بطنه فحسب فهنا يكون الشر أكبر وأكثر.

وفعلنا بامرأة الأمير[1] فكل ذلك يقصدون به الاستهزاء والاستهانة واحتقار المسلمين واهتضامهم فأسأل الله العظيم أن يريح منهم أهل الإسلام، ويذيقهم [٥٢/أ] كأس الهوان ......][2].

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله: أن لا تولوا على عملنا إلا أهل القرآن. فكتبوا إليه: إنا قد وجدنا فيهم خيانة. فكتب إليهم: إن لم يكن في أهل القرآن خير، فأجدر أن لا يكون في غيرهم خير[3].

[وقال[4]] عمر بن عبد العزيز لرجل: انظر لنا كاتبًا يكون أبوه عربيًا. فقال كاتب له: قد كان أبو النبي [صلى الله عليه وسلم][5] كافرًا.

فقال : جعلت هذا مثلاً، وعزله.

ففي هذه الحكاية فائدتان:

الأولى: أن ينتخب الكاتب حتى ينظر في آبائه.

والثانية: عزل من تعرض بالنبي صلى الله عليه وسلم عن العمل لئلا

---

(١) عادة ما يكون هذا محض افتراء فقط في محاولة لبيان مدى تحكمهم وسيطرهم على الأمور وأنه ليس شيء بعيد عنهم أو عليهم حتى يوقعوا في نفوس سامعيهم المهابة منهم.

(٢) سقطت الورقة رقم (٥٢/أ،ب) حسب ترقيمي للمخطوط حيث لم أعتد بورقة الغلاف، وهي الورقة رقم (٥٣/أ،ب) على عدد من اعتبر الغلاف ورقة. وللتمييز وضعت نقط ليعلم أن هنا انقطاع في سياق الكتاب، والورقة الساقطة ساقطة من الميكروفيلم، فربما تكون ساقطه من أصل المخطوط، أو سقطت سهوًا ممن كان قائمًا على تصويره بالميكروفيلم، والله تعالى أعلم.

(٣) هذا رد موفق وفق الله إليه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق وموضعه في المخطوط بياض.

(٥) زيادة توقير حيث يقول الله تعالى : ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا**﴾ [النور:٦٣].

يتعرض شؤمه على من يستخدمه.

فكيف بمن يسبه ويبغضه؟

ولم يزل الناس يتشاءمون بالكفار، ويكرهون مجالسهم وتقريبهم خشية أن يصيبهم العقاب.

ولله در الرشيد هارون[1]: سمع أبا نواس ينشد بيتًا فيه التعريض بعصا موسى، فقال يا ابن اللخنة أنت المستهزئ بعصا موسى؟!

وأمر بإخراجه من عسكره في ليلته.

سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم؟

تجب والله مباعدته ومشاقته ومحاددته، والاستعلاء على كلامه، والترفع عن استخدامه، لهو أحقر من أن ينظر إليه قال الله تعالى: ﴿**أولئك هم شر البرية**﴾[2].

---

(١) هو الخليفة الزاهد المجاهد أبو جعفر هارون ابن محمد الرشيد، والذي كان يحج عامًا ويغزو عامًا إلا أنه صيغت ضده حكايات عن المجون والغواني لا أساس لأي منها من الصحة، ولكن ذلك دس عليه من أعدائه وأعداء الإسلام، وكانت ولايته رحمه الله تعالى بعد أخيه الهادي فلم يزل والياً إلى أن مات بطوس من خراسان، وهنالك قبره، وهو آخر خليفة حج في خلافته، وحج من بعده كثير من قبل ولايتهم.

وقد سكن الرقة والحيرة وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكانت مدة ولايته ثلاثًا وعشرين سنة وشهراً ، ومات وله ست وأربعون سنة وهو شقيق أخيه موسى.

وراجع ترجمته وسيرته في كتب السير والتواريخ وفي الكامل لابن الأثير من سنة سبعين ومائة إلى سنة ثلاث وتسعين ومائة علينا وعليه رحمة الله تعالى.

(٢) سورة البينة (الآية: ٦).

وقال تعالى: ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين**﴾[1].

[٥٣/ب] وقال بعض الحكماء: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يصحب صاحبًا صالحًا يغنم.

وسئل مالك رضي الله عنه: عن النصراني يستكتب؟

فقال: لا أرى ذلك.

ومن ذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار النصراني في أمور المسلمين وغير ذلك؟! ما يعجبني أن يستكتب.

وفي كتاب الأقضية من المدونة[2]: ولا يتخذ القاضي كاتبًا نصرانيًا.

قال بعض العلماء: ولا ينبغي أن يستكتب القاضي من المسلمين إلا العدول المرضيين.

قال مالك: وأخبرني رجل عن ابن سيرين أنه نزل به شيء في خاصته، فأمر رجلاً أن يلقى فلانًا أو فلانًا فيستشيرهما فيه، وأمر أن لا يستشير غيرهما.

---

(١) سورة المجادلة (الآية: ٢٠).

(٢) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (١٦٤٤/٢) عن كتاب المدونة هذا ما نصه: المدونة في فروع المالكية لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي المتوفى سنة (١٩١)، وهي من أجل الكتب في مذهب مالك شرحها أبو الروح عيسى بن مسعود الدلاوي المتوفى سنة (٧٤٤)، والسيد والسند بن عنان المالكي الأزدي المتوفى سنة (٥٤١).

وعليها تنبيهات للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي سماها: "التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة" جمع فيها غرائب وفوائد. وهذبها البرادعي. واختصر هذا التهذيب تاج الدين أحمد بن محمد الإسكندراني المتوفى سنة (٧١٩). واختصرها عبد الوهاب بن أحمد الشعراني وعلق أبو عبد الله محمد بن خلف الوساني المتوفى سنة (٤٨٥) عليها تعليقه. وشرحها أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني.

فقيل لمالك رجاء علم ذلك عندهما؟

قال: بل رجاء أن يتوفقا في ذلك الأمر لفضلهما، ورجاء بركة ذلك.

قال بعض العلماء: لا ينبغي لأحد أن يصحب إلا من يقتدى به في دينه وخيره، لأن قرين السوء يردى ويندم على اتخاذه خليلاً، قال الله تعالى: **﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أممٍ قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾**(١).

وقال الله تعالى: **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾**(٢).

ولا ينبغي [٥٤/أ] لأحد أن يستشير في شيء من أموره إلا من يخاف الله تعالى من أهل الأمانة، مخافة أن يغشه ولا ينصحه.

وينبغي أن يتوخى في ذلك أهل الفضل والدين تبركًا بهم، ورجاء أن يؤمنوا فيما يشيروا به عليه لفضلهم.

ففي هذا التحذير كفاية، وليس بعد هذا الإنذار غاية.

فهذه آيات الله تقرأ، وأحكامه تتلى فليت شعري أي شيء حسن هذه الخصلة الذميمة؟ ورخص في هذه السيرة القبيحة؟

وما الباعث على فعل هذه الرذيلة مع تواتر الأخبار وتظاهر الآثار في منع ذلك؟ وهل من فعل هذا بعد سماعه لما ورد من المنع إلا كما قال الله تعالى: **﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم، وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزوًا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا ولا ما**

---

(١) سورة فصلت (الآية:٢٥).

(٢) سورة الفرقان (الآيات: ٢٧: ٢٩).

اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم﴾[1].

فانظر في هذا الوعيد الشديد، وسأضرب لك مثلاً: لو ولاك السلطان إقليمًا أو بلدًا من البلاد، وبعث كاتبه إليك يتضمن أن فلانًا عدوي فلا تقربه، ولا تستخدمه، ونابذه، وأظهر له العداوة، وأذله وأصغره، وإن لم تفعل ذلك عاقبتك وعزلتك وسلبت نعمتك.

ففهمت معنى ما في الكتاب، ثم عمدت إلى ذلك الرجل فقربته [٥٤ /ب] منك وشاورته في أمرك وأطلعته على سرك وسلمت إليه مالك، وقرنت إليه أمرك ووليته على رعيتك.

أكنت تستحق العقوبة من سلطانك أم لا[2]؟

فالنصارى أيدك الله أعداء الله، وقد أنزل الله تعالى كتابه، وقال فيه ما علمتم من تحريم ولايتهم وتقريبهم واستكتابهم وولايتهم على المسلمين إلى غير ذلك مما قدمنا ذكره.

فالبدار، البدار، البدار قبل نزول العقاب وخراب الديار.

فإن اعتذر[3] معتذر منهم عن قبح حاله وأبدى الباعث له على سوء فعاله، وقال: قد أتيت الصواب، وأوتيت فصل الخطاب لكن الضرورات تبيح المحظورات، ولولا ضرورتنا لما قربناهم، ولكن للحاجة[4] إليهم استكتبنا بهم.

فهذا رجل حلت به بلواه، وباع آخرته بدنياه، وأضله الله على علم

---

(١) سورة الجاثية (الآيات: ٨: ١٠).

(٢) ترك الإجابة لمعرفتها ضمنًا والتي لا يمكن أن تكون بغير ما هو مسلم به وهو أنه يستحق العقوبة المقررة من السلطان على ذلك.

(٣) في المخطوط: اعتذ. وترك الراء من آخر الكلمة وهو سهو من الناسخ.

(٤) في المخطوط: الحاجة وهو تحريف واثبت ما يناسب السياق.

وجعل إلهه هواه، وغاية ما يقوله إذا سلم له ما ادعاه أنه فضل عرض الحياة الدنيا على الآخرة، وأعرض عما أعد الله لأهل الشريعة الزاكية المطهرة واستهان بما عظم الله تعالى، وقرب من أبعده الله ووالى وصاحب أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل نزر يسير وعرض حقير خالف لأجله أمر إلهه، وأعز أعداء ربه على أوليائه.

وخيف عليه الوعيد في قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم [٥٥/أ] ينصرون**﴾(١).

ومع هذا فليس الأمر على ما زعمه ولا الخطب على ما توهمه بل هو على الضد مما ذكره، والنقيض مما حذره.

فإن المسلمين أصفى أذهانًا وأيقظ قلوبًا وأذكى عقولاً وأكثر أمانة وأعظم ديانة من هؤلاء الغلف القلوب الضعفاء العقول الذي لا يفرق أحد منهم بين العقل والمعقول ولا بين النقل والمنقول، فهم الطائفة العمياء والجهلة الجهلاء.

قال بعض العلماء: ولقد عذرت بعض الفضلاء إذ قال: إن النصارى عرة بني آدم.

فأي جمال بمن هذه صفتهم؟ وأي فخر بمن هذه سيرتهم؟

وما الذي عدل بهذا العز عن المؤمنين وأولياء رب العالمين، ومحبي سيد المرسلين؟

وليس هذا غرضهم في استخدامهم، وإنما الأمر عندي في هذا أن المسلمين يرغبهم دينهم عن انتهاك المحارم، تمنعهم رأفتهم وشفقتهم على عباد الله من المظالم، وتحمل المآثم.

فهم في الغالب لا يقولون إلا الصدق، ولا يأخذون إلا الحق.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ٨٦).

فيظهر للغبي الجاهل أن هؤلاء يكونون للأموال أكثر استخراجًا، ويكون الإقطاع بمباشرتهم أكثر خراجًا.

وهذا جهل ممن توهمه، وخرق ممن زعمه، فإن معظم ما يدخل على الدول من الفساد تقليد الأعمال من ليس لها بأهل، فإن كل واحد من أعداء الله حريص على جمع الدنيا نابذًا لدينه [٥٥/ب] ومروءته يبتغي عرض الدنيا يتخذون المسلمين بذلك خدامًا ويستعلون(١) عليهم، ويظهرون عليهم العزة.

فإذا أهضمت حقوق المسلمين وأكلت أموالهم وأهينوا من عدوهم، فسدت نياهم، وقلت طاعتهم فانتقضت الأمور ودب الفساد إلى الدول.

ولما أراد سليمان بن عبد الملك: أن يستكتب، كاتب الحجاج بن يزيد ابن أبي مسلم، قال له عمر بن عبد العزيز: أسألك بالله العظيم يا أمير المؤمنين أن .. تحيي ذكر الحجاج باستكتابك إياه.

فقال: يا أبا حفص، إني لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم.

فقال له عمر: ألا أوجد من هو أعف منه في الدينار والدرهم؟

قال: من هو؟

قال: إبليس، ما مس دينارًا ولا درهمًا وقد أهلك هذا الخلق(٢).

وهذا مثال يحسن في النصارى لأنهم بإبليس أشبه وله أنسب.

ولقد بلغني أن فرسان المسلمين وحماة الموحدين يقومون بين يدي أحد أعداء الله تعالى من أصحاب الدواوين وهو جالس في دسته لا ينظر إليهم،

---

(١) في المخطوط: ويستعملون. وهو تحريف والأنسب للسياق ما ذكرته.

(٢) أنظر إلى فراسته رحمه الله تعالى حيث راعى شعور المسلمين بمجرد ذكر اسم الحجاج بعد أن أزاحه الله عن دنياهم حتى إنه ليخشى عليهم مجرد التألم بالتذكر فياله من رجل شفوق ناصح أمين بطانة خير وصلاح حق له أن يكون خليفة.

ولا يعول عليهم حتى يبذلون له الرشا فحينئذٍ يكلمهم بأنفةٍ وتعاظمٍ، ويخاطبهم بتكبر وتجبر.

وكل ذلك يفعلونه نكاية للمسلمين وإهانة لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا فإن المسلمين ينصحون ولا يغشون، ويحبون إخوانهم ولا يألونهم [٥٦/أ] نصحًا.

وهؤلاء يعتقدون أن أموال المسلمين مباحة لهم وكذلك أنفسهم يتقربون بأخذ أموالهم وإهلاك أنفسهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾ (١).

وقد وقع هذا بعينه لما دخل التتر خذلهم الله إلى دمشق في أيام الملك المظفر رحمه الله أظهر أعداء الله النصارى العداوة وتغلبوا على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم ونابذوا المسلمين أشد المنابذة وعاملوهم أقبح المعاملة وتعرضوا بالأنبياء وسبوا الأولياء وأهانوا المصاحف والمساجد.

فهل يؤمن من يفعل هذا؟ وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول: "**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**"(٢).

فهذه سيرة المسلمين وطريقة الصحابة والتابعين فمن خالفها قصم ومن حاد عنها وصم، وحقيق من خالف الله ورسوله أن ينسلخ من الدين

---

(١) سورة الممتحنة (الآية: ٢).

(٢) أطراف هذا الحديث عند: البخاري في الصحيح (٣٨/٨)، مسلم في الصحيح (الزهد ب ١٢ رقم ٦٣)، أبي داود في السنن (الأدب ٤٨٦٢)، أحمد في المسند (٣٧٩/٢) ، الدارمي في السنن (٣٢٠/٢)، البغوي في شرح السنة (٨٨/١٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٣٢٠/٦)، ابن ماجة في السنن (٣٩٨٢ ، ٣٩٨٣)، الطبراني في الكبير (٢٧٨/١٢)، (١٩/١٧)، أبي نعيم في الحلية (١٢٧/٦)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢١٩/٥).

ويموت على غير ملة المؤمنين قال الله تعالى: ﴿**فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا**﴾[1].

(١) سورة النجم (الآية: ٢٩).

فصل
الصفات التي ينبغي أن تكون في الكاتب
التي لا غنى عنها ولابد لكل كاتب منها
كان يحيي بن خالد(١) يقول لولده:

لابد لكم من كتاب فاستعينوا بالأشراف وإياكم وسفلة الناس فإن النعمة على الأشراف أبقى وهي بكم أحسن، والمعروف عندهم أشهر والشكر [٥٦/ب] منهم أكثر.

وقد قال بعضهم: الدنيا(٢) دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة.

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٨٩) : يحيى بن خالد بن برمك الوزير الكبير أبو على الفارسي. من رجال الدهر حزمًا ورأيًا وسياسية وعقلا، وحذقًا بالتصرف، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف رفع قدره ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكًا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى فسجنه وذهبت دولة البرامكة.
قيل: إن أولاد يحيى قالوا له وهم في القيود مسجونين: يا أبة صرنا بعد العز إلى هذا؟! قال: يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها.
مات يحيى بن خالد في سجن الرقة سنة تسعين ومئة، وله سبعون سنة.
وكان أبوه أحد الأعيان المذكورين.

(٢) القائل هو يحيى بن خالد البرمكي السابق ترجمته ذكر ذلك الذهبي في ترجمته.
وقد جاءت الكلمة في المخطوط : ذل وهو تحريف والتصويب من المصدر السابق.

ويقال في الأخبار: أحسن الحسن يحب القبيح[1].

فينبغي أن يكون الكاتب من أهل الأدب والمروءة والحلم والروية والدين والعلم والعقل والفضل والنصيحة والأخطار والهمم ، فإن بهم ينتظم الملك، ويستقيم الأمر، ويستوفي الخراج، وتعمر البلاد.

فموقع الكاتب من الأمراء موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وأيديهم التي بها يبطشون.

فإذا كان الأمر كما وصف والحال على ما ذكرت ، وأصغى إليه الأمير إصغاء لا تسعه معه المخالفة، ومتى لم يكن متصفًا بهذه الصفات كان ضرره أعظم من نفعه وخفضه أولى من رفعه.

وينبغي أن يكون حليمًا في موضع الحلم مقدمًا في موضع الإقدام، محجمًا في موضع الإحجام، لينًا في موضع اللين شديدًا في موضع الشدة مؤثرًا للعفاف والعدل والإنصاف كتومًا للأسرار وفيًا عند الشدائد، عالماً بما يأتي ويذر، يضع الأمور مواضعها قد نظر في الأمور وأحكمها، وطالع في سير الدول السابقة وعلمها.

وينبغي أن يكون متجنبًا للكبر والعظمة والحماقة والرعونة مشفقاً على العباد متجنبًا للفساد مراقبًا لله تعالى ذكره مؤثرًا للطاعة رؤفًا بعباد الله وخلقه [٥٧/أ] وليكن على الضعيف رفيقًا وللمظلوم منصفًا، فإن أحب الخلق إلى الله تعالى أرفقهم بعياله.

ثم ليكن بالحق حاكمًا، وللأشراف مكرمًا ومداريًا، وللبلاد عامرًا، وللرعية متألفًا، وليكن متواضعًا، حليمًا لينًا في استقضاء الحقوق واستجلاب الخراج وليحذر متالف السرف، وسوء عاقبة الترف، فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب، ويفضحان أهلهما.

---

(١) هو من قولهم: بالضد تتميز الأشياء.

وأقول في آخر هذا الفصل ما سبق به المثل

من يلزم الصحة يلزمه العمل.

فبهذه الأخلاق تدر الأرزاق، ويحلو المذاق وتصلح العباد وتعمر البلاد.

فتأمل بعقلك: هل في النصارى لعنهم الله شيء من هذه الصفات؟

أو تحلوا بشيء من هذه الأدوات.

حتى يؤهلوا للرياسة أو يرشحوا للسياسة؟

كلا والله بل قصدهم لأنفسهم مال يجمعونه، أو مسلم يؤذونه أو مفسدة تعود على أهل الإسلام يفعلونها أو نكاية للمسلمين يقصدونها، فعليهم سخط الله ونكاله، وخزيه وعقابه، أراح الله منهم المسلمين، وجعلهم آية للعالمين، وعبرة للناظرين.

فإنهم قد ارتقوا في الغش إلى ما لا حد له وفي الخيانة إلى ما يعجز الوصف عنه.

وحصلوا من أموال المسلمين ما لا يقدر قدره، ولا يستطاع ضبطه.

وإني لأعرف منهم رجلاً وهو ممن لا يؤبه له، يخدم بعض الأمراء [٥٧/ب] يتجر بجاهه ويتحيل على جمع المال.

بلغني من غير واحد أنه يحصل له في كل يوم في الغالب خمسمائة درهم. وفي بعض الأيام أكثر من ذلك.

فكيف بكتاب السلطان المستوفين الذين هيبتهم نافذة في كل إقليم وحرمتهم قائمة في كل قطر، يحمل إليهم الولاة والنظار والفلاحون من الأموال والغلال ما لا يعلمه إلا الله.

ولهم حمايات أكثر من كثير من الأمراء، يأكلون أموال المسلمين بإهانتهم، ويستطيلون عليهم بإهانتهم.

فلو اجتث[1] هذا الداء من أصله زال هذا الفساد كله.

وبالجملة فلو لم يكن في استخدامهم إلا إهانة المسلمين كافية في المقصود.

وعجبت من المسلمين مع سلامة عقولهم، وقوة فكرهم سلموا أنفسهم ليهود من الأطباء وأموالهم للنصارى من الكتاب فمكنوا أعداءهم من أنفسهم وأموالهم حتى قال بعضهم:

لُعِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ لأَنَّهم ... نَالُوا بكَيْدهِمْ لَنَا الآمَالاَ

صَارُواْ أَطِبَّاءَ وَكُتَّابًا لِكَي ... يَتَقَاسَمُواْ الأَرْوَاحَ وَ الأَمْوَالاَ

ولقد اشتهر بين الناس أن النصراني تكون جامكيته[2] في الشهر ثلاث دنانير أو دينارين يشرب الخمر في كل ليلة ويغرم المائتين والثلاثمائة درهم.

ويسكر فيهزأ بالدولة ويسب المسلمين والأمراء ويستخف بعقولهم [٥٨/أ] ولا يقدر الولاة على ردهم عن ذلك، ولا ردعهم عنه لأجل الأمراء. وهذا فساد عظيم وأمر جسيم يخشى على الإسلام سوء عاقبته.

وحكى ابن عبدوس في كتاب الوزراء[3]: أن المنتصر قلد حمادًا

---

(١) في المخطوط: حيم. وهو ربما كان حسم.
وقد حرف فاستبدلت الكلمة بالتي ذكرت لما أرى أنها أنسب للسياق.

(٢) كلمة ليست عربية على الأرجح وأحسب أن معناها حصته أو ما لزمه دفعة في الشهر من جزية.

(٣) المعروف أن كتاب الوزراء من تأليف: ابن عباد وربما كان ابن عباد تحرف في المخطوط وابن عباد هو: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطاقاني الأديب، الكاتب، والوزير العلامة المعروف بالصاحب، وزير الملك مؤيد الدولة بؤيه ابن ركن الدولة، وراجع في ترجمته هامش ديوان الإسلام بتحقيقي (ت ١٣١٣) وكذا باقي مؤلفاته وقد جمعت له فيه من المؤلفات =

التركي السواد وأمره أن لا يدع أحدًا من أهل الذمة يكتب لأحـــد مـــن العمال على أحد من المسلمين إلا قطع يده، فأخذ حمادًا شاهويه الواســطي فقطع يده.

وذكر أن المنصور: جلس يومًا في الخضراء فبينما هو مشرف إذ نظــر إلى صياد قد ألقى شبكة، فأخرج سمكة عظيمة.

فقال المنصور لبعض مواليه: اخرجوا إلى المسيب، فمروه أن يوكــــل بالصياد من يدور معه، فإذا باع سمكته قبض على مشتريها وصار به إلينا.

ففعل المسيب ذلك، فلقى الصياد رجلاً نصرانيًا، فابتاعها منه بثلاثين درهمًا، فلما دفع إليه الثمن قبض عليه فأدخله على أبي جعفر.

فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أهل الذمة.

قال: بكم ابتعت هذه السمكة؟ قال: بثلاثين درهمًا.

قال: وكم عيالك؟ قال: ليس لي عيال.

قال: كم عندك من المال؟ قال ما عندي شيء.

قال: فأمر المسيب بمعاقبته.

فأقر بثلاثين ألف درهم أنه اختلسها من أموال المسلمين.

فأخذها منه وتركه(١).

[٥٨/ب] فلو رأى أبو جعفر المنصور زماننا هذا الذي ينفق النصراني ألف درهم لا خطر لها عنده ولا قيمة.

=

عشرين مؤلفًا من بينها كتاب الوزراء هذا.

(١) إن صحت الرواية فإنما كان قصد المنصور أن يسأل مـــن يشـــتري هـــذه السمكة عن ثروته ومن أين له بها لأن من يدفع مثل ثمنها لغنى، فكان على ما يتوقع فإذا به مختلس.

ومع هذا فعندهم من الأموال ما لا تقبل إليها الأفكار ولا تهتدي لها الأسرار. والمصلحة التامة أخذها منهم، وقد فعل ذلك عمر رضي الله عنه بالصحابة وفيه أسوة، شاطرهم أموالهم، وحاشا الصحابة رضي الله عنهم من الخيانة، وإنما حجته في ذلك أنهم انتفعوا في أموالهم بجاه المسلمين، فأخذ نصف أموالهم كما فعل مع ولديه في القراض.

قال العلماء: هذا إنما يفعل في من كان له مال قبل التوليه.

أما من كان فقيراً، فيؤخذ ماله كله.

فانتفاع المسلمين بها خير من بقائها مع هذه الطائفة الخائنة يتخذونها نواء لأهل الإسلام، ويكنزونها لتربص الدوائر.

فأخذ أموالهم إضعاف لهم وكسراً لشهوتهم[1] وإذلالاً لكلمتهم مع ما فيه من استغناء المسلمين بأموالهم، وسرور الموحدين بإذلالهم، وأمن عاقبتهم من القيام والخروج على أهل الدولة من جهة أن أكثر الناس عبيد الدنانير والدراهم، يتبعون من كانت عنده، فإذا أخذت أموالهم حسم هذا الداء، وانسد هذا الباب.

فنسأل الله العظيم أن يوقظ قلب مليكنا لهذه الشدة فيزيلها عن الإسلام[2] [٥٩/أ] ولهذه الغمة يريح منها الأنام، فهوم الملك الذي نصر الله به الدين ، وأعز به المسلمين، وأذل به الكافرين، وغرس محبته في قلوب الناس أجمعين، لما حصل لهم بميمون طلعته من إفاضة الخيرات على الرعايا وذوي الحاجات وتخفيف المظالم عن الخلق وإجهاد نفسه في الجهاد في سبيل الله.

---

(١) هذا إذا تيقن ولي الأمر إنما هو مال جمع عن غير الطريق السليم أما إن كان من الطرق المشروعة فلا مهما كثر.

(٢) في المخطوط: الإسلا، بنقصان الميم في آخر الكلمة وهو سهو من الناسخ.

هذا كله في عنفوان السن وريعان الشباب، وبداية الأمر ينبه العقلاء بما سينتهي إليه الحال إذا قارب من الكمال.

إِنَّ الْهِلاَلَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ   أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرَ بَدْرًا كَامِلا

الله تعالى يمده بالملائكة الأبرار وينشر أعلامه في أقاصي الديار إن شاء الله تعالى، جعلنا الله تعالى ممن تبصر من العمى، واتبع طريق الهدى، ونصح للمسلمين، وأرضى رب العالمين بمباعدة أعدائه وأعداء سيد المرسلين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم

۞ ۞ ۞

الباب السادس
في
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأصل في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الكتاب، والسنة، والإجماع. **أما الكتاب:**

فقوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس [٥٩/ب] تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(١).

وقال تعالى: **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾**(٢).

وقال تعالى في ذم تارك ذلك: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾**(٣).

وقال تعالى: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به نجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾**(٤).

والآيات في ذلك كثيرة.

وأما السنة: فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"**(٥).

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٠).

(٢) سورة الحج (الآية: ٤١).

(٣) سورة المائدة (الآية: ٧٨ ، ٧٩).

(٤) سورة الأعراف (الآية: ١٦٥).

(٥) أطراف الحديث عند: مسلم في الصحيح (٦٩)، الترمذي في الجامع الصحيح (٢١٧٣)، النسائي في المجتبى (٨/١١٢،١١١)، أحمد في المسند =

وأجمع المسلمون على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا شيئًا روي عن الرافضة لا يعتد بخلافهم.

وقال عليه السلام: "**مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وبعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذي في أعلاها فنادوا به فأخذ فأسًا فجعل ينقر السفينة [٦٠/أ] فأتوه فقالوا مالك؟ قال أوذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يده أنجوه وأنجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم**"(١).

وهذا من التمثيل البديع لأن الفاعل للمنكر إن لم يمتنع منه أدى إلى هلاكه وهلاك غيره، كما أن الناقر في أسفل السفينة بالفأس إن لم يمنع من ذلك أفضى إلى غرقه وغرقهم.

وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم**"(٢).

=

(٢٠/٣، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤)، ابن عبد البر في التمهيد (٢٦٠/١٠)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٣٧)، ابن ماجة في السنن (١٢٧٥، ٤٠١٣)، المتقي الهندي في كتر العمال (٥٥٢٤)، ابن كثير في البداية والنهاية (٢٥٨/٨)، الألباني في الضعيفة (٢٩).

(١) أطراف الحديث عند : البخاري في الصحيح (٢٣٧/٣)، البغوي في التفسير (٤٠٠/١)، التبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٣٨)، ابن حجر في فتح الباري (٢٩٢/٥، ٢٩٣)، أحمد في المسند (٢٧٣/٤).

(٢) أطراف الحديث عند: الترمذي في الجامع الصحيح (٢١٦٩)، أحمد في المسند (٣٨٩/٥)، الطبراني في الكبير (١٨٠/١٠)، السيوطي في الدر المنثور (٣٠١/٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٢/٧)، الشجري في =

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**"[1].

وعن أبي بكر الصديق رض الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾[2] فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب**"[3].

وقال عليه الصلاة والسلام:

"**إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك [٦٠/ب] عذب الله العامة والخاصة**"[4].

=

الأمالي (٢/٢٣١)، النووي في الأذكار (٢٩٤).

(١) أطراف الحديث عند: أبي داود في السنن (٤٣٤٥)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٤٤)، الطبراني في ا لكبير (١٧/١٣٩)، ابن كثير في التفسير (٣/١٥٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (٥٥٣٧).

(٢) سورة المائدة (الآية: ١٠٥).

(٣) أطراف الحديث عند: ابن ماجة في السنن (٤٠٠٥)، أحمد في المسند (٩،٥،٢،١) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٤٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/٣٤٥)، ابن حجر في فتح الباري (١٣/٦٠).

(٤) أطراف الحديث عند: أحمد في المسند (٤/١٩٢)، الطبراني في الكبير (١٧/١٣٨)، البغوي في شرح السنة (١٤/٣٤٦) السيوطي في جمع الجوامع (٥١٢٤)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٤٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (٥٥١٥)، ابن حجر في فتح الباري (١٣/٤)، السيوطي في الدر =

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم**" ثم قرأ: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجاء الفراش فتهافت فيها، فأنا أمنعكم من أن تقعوا في النار**"[(٢)].

يعني أنهاكم عن الذنوب والمعاصي، فإن الذنوب تلقي بصاحبها في النار. والنهي عن المنكر من واجبات الإسلام ودعائم الدين، وفيه أجر كبير وثواب جزيل وفضل عظيم وخير جسيم، ولوجوبه ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون عارفًا بالمعروف والمنكر لأنه إذا لم يكن عارفًا به أدى إلى إنكار معروف أو أمر بمنكر.

والشرط الثاني: أن يأمن أن لا يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه، مثل أن ينهى عن شرب الخمر فيؤل نهيه ذلك إلى قتل نفس، لأنه إذا لم يأمن ذلك لم يجز له أمر ولا نهي.

والشرط الثالث: أن يعلم أو يغلب على ظنه أن إنكاره المنكر مزيل له أو منقص منه وأن أمره بالمعروف [٦١/أ] مؤثر فيه ونافع لأنه إذا لم يفعل

=

المنثور (٢/٣٠٢).

(١) طرق الحديث عند: أحمد في المسند (٦/١٥٩)، والآية من سورة البقرة (رقم: ١٢،١١).

(٢) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٨/١٢٧)، أحمد في المسند (٢/٢٤٤)، ابن حجر في الفتح (١١/٣١٦)، مسلم في الصحيح (الفضائل ١٧)، الترمذي في الجامع الصحيح (٢٨٧٤)، الحميدي في المسند (١٠٣٨)، المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٥٢).

ذلك غلب على ظنه لم يجب عليه أمر ولا نهي.

فالشرطان الأولان مشروطان في الجواز والشرط الثالث مشروط في الوجوب. فإن عدم الأولان لم يجز أمر ولا نهي.

وإن عدم الثالث انتفى الوجوب وبقي الجواز.

والاستحباب لجواز أن يقبل منه لاسيما إذا فعل ذلك برفق فإنه أدعى للقبول، قال الله تعالى: ﴿**فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**﴾[(١)].

وأما الانتداب لذلك وتفقده فغير واجب على أحد في خاصة نفسه سوى الإمام ولكن يستحب لذلك لمن قوي عليه بخلاف ما إذا رآه، فإنه يجب عليه بالشروط المتقدمة.

قال بعض العلماء: الناس في تغيير المنكر والأمر بالمعروف على مراتب: ففرض العلماء تنبيه الولاة وحملهم على جادة العلم.

وفرض الولاة تغيير بقوهم وسلطاهم.

وفرض سائر الناس إلى الحكام والولاة بعد النهي عنه قولاً.

قال بعض العلماء: ويحسن لكل مؤمن أن يغير المنكر وإن ناله بعض الأذى.

ويؤيد هذا المترع أن في قراءة عثمان ابن عفان، وابن مسعود وابن الزبير: ﴿**وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم**﴾[(٢)].

وقال غيره: التغيير باليد للأمراء[(٣)]، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعامة.

---

(١) سورة طه (الآية: ٤٤).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٠) على ما في قراءة ابن عفان، وابن مسعود، وابن الزبير وهذا خلاف ما في قراءة حفص لنفس الآية.

(٣) وقد كان للشيخ الفاضل العلامة آدم صالح اعتراض على هذا التقسيم، حيث يقول عن تلك الفقرة فكيف إذا كان الأمير هو المنكر؟

وينبغي للآمر أن يأمر في السر إن استطاع ليكون أبلــغ [٦١/ب] في الموعظة والنصيحة.

قال أبو الدرداء: من وعظ أخاه في العلانية فقد شانه، ومن وعظه في السر فقد زانه. فمن لم تنفعه الموعظة في السر فإنه يؤمر في العلانية ويستعين بأهل الخير ليزجروه عن المعصية، فإن لم يفعلوا ذلك غلبت عليهم المعاصي، فيأتيهم العذاب فيهلكهم جميعًا.

وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قــال: لتــأمرن بــالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم سلطان لا يجل كبيركم ولا يرحــم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم، ويستنصرون فــلا ينصــرون، ويستغفرون فلا يغفر لهم.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن الله لا يعــذب العامــة بذنوب الخاصة ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروها، فقد استحق القوم جميعًا العقوبة.

وذكر أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومــك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم.

قال: يارب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم.

وقال مالك بن دينار[1] رحمه الله : إن الله تعالى أوحى إلى الملائكــة:

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٣٦٢) : علم العلماء الأبرار، معــدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته.
ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك فمن بعده ....
وقال : مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم و لم أكره ذمهــم لأن حــامدهم مفرط، وذامهم مفرط، إذا تعلم العالم العلم للعمل كسرة، وإذا تعلمه لغــير العمل زاده فخرًا. قال السرى بن يحيى: توفي مالك بن دينار ســنة ســبع

أن أخربوا قرية كذا، قال: فصاحت الملائكة إلى ربها تعالى، وقالوا: إن فيها فلانًا عبدك العابد؟

فقال عز من قائل: أسمعوني [٦٢/أ] ضجيجه (........)[١] [٦٢/ب] فلو اجتمع أهل السموات والأرض ما ردوك، وأما الآن فإنما خرجت حيث لم تجد الدراهم، فلئن تقدمت لتدقن عنقك فرجع إلى بيته وترك الشجرة.

فمن وجدت فيه الشروط إنما تكون في التغيير واللسان.

وأما القلب فلا يشترط فيه الاشتراط واحد وهو العلم بكونه منكرًا ومعروفاً.

وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: إذا رأى أحدكم منكرًا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر لا أرضاه، فإذا قال ذلك فله ثواب من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.

فإذا ثبت هذا فيتعين على أهل الإسلام أن يغيروا هذا المنكر العظيم الذي عم به الفساد ووجب فيه الجهاد باللسان والجنان والبيان وهو ما ينال المسلمين من أهل الذمة في وقتنا هذا من انتهاك حرمتهم وخذلان كلمتهم والفسق في حرمهم والخيانة في أموالهم وإهانة صلحائهم وعلمائهم والاستعلاء عليهم، والطعن في دينهم.

وهذا من الفساد العظيم والأمر الجسيم، وفي الكتاب العزيز: ﴿**والذين**

=

وعشرين ومائة. وقال ابن المديني: سنة ثلاثين ومئة.

(١) موضع النقط هو الصفحة [٦٢/أ] فقد جاءت مهتزة التصوير مما أدى إلى عدم القدرة على قراءتها لعيب في أثناء تصوير الميكروفيلم من المخطوط الأصل، وقد احتوت الصفحة كلها على قصة تدور بين إنسان وشجرة يحكيها مالك بن دينار ، مما حدى بي إلى عدم الاهتمام كثيرًا بالبحث عنها لرجحان ضعفها عندي.

كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾[1].

ففي الآية النهي عن موالاة الكفار، وأنه إن لم يفعل ذلك أدى إلى الفتنة والفساد وما أشبه ذلك بوقتنا.

ولا حول ولا قوة إلا بالله [٦٣/أ] العلي العظيم فلو غير هذا المنكر زالت هذه الضائقة عن المسلمين وانشرحت لها صدورهم، وحسنت نياتهم وطوياتهم، فدعوا للجيوش الإسلامية بقلوب صافية فانصلحت أحوالهم وكثرت أموالهم وانتصروا على عدوهم في الآثار الواردة: كما تكونوا يولى عليكم.

فإذا سلطت الأعداء على الرعية يوشك أن يسلط عليهم عدوهم.

فينبغي للإنسان في وقتنا هذا أن يفر بدينه إلى بلاد لا يكون فيها هذا المنكر العظيم.

فقد روى عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرًا من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم**"[2].

يعني أن إبراهيم عليه السلام هاجر من أرض حران إلى الشام وهو قوله تعالى: **﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾**[3].

يعني إلى طاعة ربي.

وقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٧٣).

(٢) أطراف هذا الحديث عند: السيوطي في الدر المنثور (١٧٦/٦)، القرطبي في التفسير (٣٤٧/٥)، (٣٥٨/١٣)، ابن الجوزي في تذكرة الموضوعات (٢٢٢)، الشوكاني في الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢١٠)، الآجري في تتريه الشريعة (١٨٧/٢).

(٣) سورة الصافات (الآية: ٩٩).

وقال بعض العلماء: من كان في أرض وأظهروا فيها المعاصي فخرج منها ابتغاء وجه الله تعالى فقد اقتدى بإبراهيم عليه السلام واقتدى[1] بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون رفيقهما في الآخرة، قال الله تعالى: [٦٣/ب] ﴿**ومن يخرج من بيته [مهاجراً[2]] إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾[3].

وقال [عالم آخر] [4]: وإن لم يهاجر من أرضه وهو يقدر على أداء فرائض الله تعالى فلا بأس أن يقيم هناك ويكون كارهًا لله أمره وهو معذور.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: بحسب امرئ إذا رأى منكرًا لا يستطيع له تغييرًا أن يعلم الله من قلبه أنه كاره.

وهذا فيمن لا يقدر على تبليغه لذوي الأمور.

وأما من يقدر أن يعلم السلطان بذلك أو ولاة الأمور فيجب عليه ذلك، ويأثم بتركه، ويخشى عليه نزول البلاء والعذاب في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿**فليحذر الذين [يخالفون[5]] عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾.

وبالجملة فاستكتاب النصارى وعلوهم على المسلمين مصيبة في الدين،

---

(١) في المخطوط: واقتد. وهو تحريف.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٣) سورة النساء (الآية: ١٠٠) وما بين المعقوفين سقط من الناسخ سهوًا.

(٤) ما بين المعقوفين كان أصله بالمخطوط كلمة غيره. فاستبدلتها بما هو بين المعقوفين ليتضح مراده لمجيء الكلمة بعد الآية فقد لا ينتبه القارىء فيحدث اللبس في الفهم.

(٥) كثيرًا ما يسقط من الناسخ لهذا المخطوط كلام من بين الآيات مما يجعلني أظن به شيئًا، فالله أعلم، والآية من سورة النور (رقم: ٦٣).

ومنكر عظيم يجب على من قدر على إزالته أن يزيله، ومن لم يقدر على ذلك فليرفع أمره إلى من هو أقدر منه ويعظه ويعظم عليه وقع هذا الأمر ليخرج من عهدة التكليف، فإن لم يقدر على ذلك ولا على الإنكار بلسانه فلينكر بقلبه ويبغض أعداء الله ويمقتهم [٦٤/أ] ويسأل الله أن يكفهم عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن هذا من المصائب في الدين، وهو أعظم من المصيبة في المال لأن المال إنما يراد لصيانة الدين ولا يراد الدين لجمع المال.

ويقال: إن الله تعالى قال في الكتب القديمة: عبدي إني ملك لا أزول فأطعني بما أمرتك به، وانته عما نهيتك عنه حتى أجعلك حيًا لا تموت.

عبدي أنا الذي أقول للشيء كن فيكون فأطعني بما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه حتى أجعلك تقول للشيء: كن فيكون.

قال كعب الأحبار: ليس في الجنة أعلى من الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

جعلنا الله تعالى ممن غضب للمحارم، وتجنب الوقوع في المآثم ووقانا شر أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه مجيب الدعوات، ومفرج للكربات.

وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

والحمد لله رب العالمين



الباب السابع
في
الظلم وسوء عاقبته

الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير محله مع ما تضمن ذلك مخالفة أمر الله تعالى ورسوله، لأنه إذا ولي العدو على عدوه علم قطعًا أنه يـؤذيه [٦٤/ب] وينكيه ولا ينصحه، وقد قال الله تعالى في حق المؤمنين: ﴿**أولئك هم خير البرية**﴾[(١)]. وقال في حق النصارى واليهود والمشركين ﴿**أولئك هم شر البرية**﴾[(٢)].

ومن أشد الظلم أن يولى شر البرية على خير البرية، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا**﴾[(٣)].

وأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلون في هذا الخطاب، فاقتضت هذه الآية أنه لا يولى كافر فإن الله تعالى أمر بطاعة الولاة، والانقياد إليهم والتسليم لأمرهم، وهى عن طاعة الكافر.

فاستفاد من هذا تحريم ولايتهم، وقال تعالى في حق المؤمنين: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون رهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**﴾[(٤)].

وقال تعالى في حق الكفار: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد**

---

(١) سورة البينة (الآية: ٧).

(٢) سورة البينة (الآية: ٦).

(٣) سورة الكهف (الآية: ٢٨).

(٤) سورة الكهف (الآية: ٢٨).

بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾(١).

اقتضت هذه الآية إهانة الكفار وتحقير شأنهم، وتسميتهم القوم الظالمين، وتحريم الجلوس معهم، فكيف بمشاورتهم وتحكيمهم؟

فمن فعل ذلك فقد ظلم ظلمًا كبيرًا وجار جورًا عظيمًا [٦٥/أ] وقد ورد في الكتاب العزيز، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبار السلف من الوعيد في الظلم ما لا يحصى كثرة، قال الله تعالى: **﴿إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**(٢).

وقال تعالى: **﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾**(٣).الآية

وقال تعالى: **﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾**(٤).

وقال تعالى: **﴿وكأين من قريةٍ أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليَّ المصير﴾**(٥).

وقال كعب الأحبار لأبي هريرة: في التوراة: من يظلم يخرب بيته فقال أبو هريرة: وذلك في كتاب الله تعالى: **﴿فتلك بيوتهم خـــاوية بما ظلموا﴾**(٦).

وقال تعالى: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها**

---

(١) سورة الأنعام (الآية: ٦٨).

(٢) سورة الكهف (الآية: ٢٩).

(٣) سورة إبراهيم (الآية: ٤٢).

(٤) سورة الحج (الآية: ٤٥).

(٥) سورة الحج (الآية: ٤٨).

(٦) سورة النمل (الآية: ٥٢).

فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**الظلم ظلمات يوم القيامة**"[2].

وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، واقرأوا ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي [٦٥/ب] ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾**"[3].

قال صلى الله عليه وسلم: "**اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**"[4].

---

(١) سورة الإسراء (الآية: ١٦).

(٢) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (١٦٩/٣)، الترمذي في الجامع (٢٠٣٠)، أحمد في المسند (١٣٧/٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٩٣/٦)، (١٣٤/١٠)، ابن عبد البر في التمهيد (١٤٠/٩)، البغوي في شرح السنة (٣٥٦/١٤)، ابن حجر في فتح الباري (١٠٠/٥)، المنذري في الترغيب والترهيب (١٨٤/٤).

(٣) سورة هود (الآية: ١٠٢، وأطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٩٤/٦)، ابن حجر في فتح الباري (٣٥٤/٨)، السيوطي في جمع الجوامع (٥٠٠٩)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٤)، البغوي في التفسير (٢٥٢/٣)، السيوطي في الدر المنثور (٣٤٩/٣) ابن كثير في البداية (٦٤/٢)، وفي التفسير (٧٨/٥، ٢٧٨، ٣٨٣، ٤٣٤، ٤٩١).

(٤) أطراف الحديث عند: الترمذي في الجامع الصحيح (١٩٧٠، ٢٦٤٦، ٣٦٦٨)، الطبراني في الجامع الكبير (٩٨/٤)، الحاكم في المستدرك (٩٢/١)، أحمد في المسند (١٥٣/٣)، الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/١٠)، المنذري في الترغيب والترهيب (١٨٨/٣)، ابن أبي حاتم في

قال بعض العلماء : لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر واحد من الظلم لأوشك أن تخرب، فلا تغتروا بالإمهال، ولا تركنوا إلى الآمال، فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا﴾[1].

واحذر سخط الله وعقابه، فما تقوم الدنيا كلها بذلك وانقد لأمر الله يعزك الله.

وإن توليت عنه أذلَّك الله، أتحب أن يولي الله عليك عدوًا من أعدائك يهنك ويذلك ويفعل بك ما تكرهه؟

والله ما يرضى بذلك عاقل فكيف يرضى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بذلك وأنت لا ترضاه لنفسك، فقد غششت المسلمين.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة"**[2].

قال بعض الحكماء: اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله [عليك][3].

وقال الشاعر:

إِذَا هَمَمْتَ بِظُلْمِ العِبَاد فَكُنْ ... ذَاكِرًا هَــوْلَ يَوْمَ المَعَاد
فَإِنَّ المَظالم يَــوْمَ القَصَاصِ ... لِمَنْ قَدْ تَزَوَّدَهَا شَرَّ زَادِ

= علل الحديث (٦٣٤)، العجلوني في كشف الخفا (١/٢٩)، السيوطي في الدر المنثور (١/٣٥٢).

(١) سورة آل عمران (الآية: ١٧٨).

(٢) أطراف الحديث عند البخاري في الصحيح (٩/٨٠)، ابن حجر في فتح الباري (١٣/١٢٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨٦).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق؛ حيث لا يتم المعنى أو لا يتضح المراد إلا بها، فأضفتها لاحتمال سقوطها من الناسخ سهوًا.

[٦٦/أ] وقال عمرو بن دينار رحمه الله: نادى رجل من بني إسرائيل: من رآني فلا يظلمن أحدًا.

وإذا قد ذهب ذراعه من عضده، فسئل عن حاله؟

قال: بينا أنا أسير بشط البحر في بعض السواحل بالشام إذ مررت بصياد قد اصطاد سبعة حيتان، فأخذت منه حوتًا وهو كاره بعد أن ضربت رأسه فعض الحوت إبهامي عضة يسيرة، ثم أكلناها، فوقعت الأكلة في إبهامي، ثم ساعدي، ثم عضدي، فمن رآني فلا يظلمن أحدًا.

فخرجت أسيح في البادية، وأريد قطع عضدي إذ وقعت في شجرة، فأويت إلى ظلها، فنعست، فقيل لي في المنام لأي شيء تقطع أعضاءك، أردد الحق إلى أهله، فجئت إلى الصياد، فقلت: يا عبد الله، أنا مملوكك، فأعتقني، وقال: ما أعرفك، فأخبرته، فبكى وتضرع وقال: أنت في حلٍ، فلما قالها تناثر الدود من عضدي، وسكن الوجع.

فقلت له: بم دعوت علي؟

قال: لما ضربت رأسي، وأخذت السمكة نظرت إلى السماء وبكيت، وقلت يارب أشهد أنك تحب العدل، وهذا منك عدل، وأنت الحق تحق الحق، وخلقتني وخلقته، وجعلته قويًا، وجعلتني ضعيفًا، فأسألك بالذي خلقتني وخلقته، أن تجعله عبرة لخلقك[١].

هذا جزاء من ظلم واحدًا من خلق الله تعالى، فما ظنك بمن ظلم جملة المسلمين واستخف بحقوقهم، وبالغ في أذاهم [٦٦/ب]بنصرة أعدائهم، وخذل أهل الملة وأعز أهل الكفر؟

---

(١) هذه حكاية من الحكايات التي عادة ما يتداولها أهل الصوفية، ولكن لا صحة لها، ولو قلت لهم في ذلك لقالوا لك إنما هي في فضائل الأعمال والاتعاظ.

فهل يفعل هذا إلا من استخف بعقوبة الله تعالى، وأعرض عن الله تعالى وعن ذكره، ومن أعرض عن ذكر الله فإنه خسر الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**(١).

فليحذر المخالف أن يصيبه الوعيد ولينظر لنفسه في وقت المهلة قبل أن يندم فلا ينفعه الندم يوم تزول القدم ويقول: **﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً﴾**(٢).

فيجب على من تولى شيئًا من أمور المسلمين أن يستعمل فيهم الشفقة والرحمة ويزيل عنهم الضر والجور، ويعاملهم كما يعامل به نفسه وبنيه وينظر لهم كما ينظر الرجل إلى قرابته وأخيه.

ويعلم أن الله تفضل عليه، وولاه على هذه الأمة الزكية التي قال الله فيهم: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**(٣) ومن أثنى عليه رب العالمين وجب إكرامه واحترامه وتعظيمه، وكف الأذى عنه وإيصال الراحة إليه.

قال عطاء: كنت مع ابن عباس في مسجد بيت الله الحرام، فقال لي: يا عطاء، هل تعرف فضيلة هذه الأمة؟ فقلت: الله ورسوله أعلم.

فقال: إني أعلم فضل هذه الأمة وعزها وشرفها الله تعالى في[٦٧/أ] محكم كتابه في مواضع منها قوله تعالى: **﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾**(٤).

كيف ترى هذا العز والشرف؟ فقلت: الحمد لله. وقال: الحمد لله.

---

(١) سورة طه (الآية: ١٢٤).

(٢) سورة الفرقان (الآية: ٢٧، ٢٨).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١١٠).

(٤) سورة الأحزاب (الآية: ٤٣).

ثم قال: وهل تعرف غير هذا؟ فقلت: لا.

قال قوله تعالى: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[1].

كيف ترى يا عطاء؟

قلت: شرفًا عظيمًا، وكرامة جليلة.

قال: هل تعرف غير هذا؟ قلت: لا.

قال: قرن الله هذه الأمة في درجة العلو مع موسى عليه السلام في قرن واحد فقال عز من قائل: ﴿**إنك أنت الأعلى**﴾[2].

وقال جل ذكره لهذه الأمة: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**﴾[3].

كيف ترى هذا العز؟ فقلت: الحمد لله.

فقال: عندي أعز من هذا، أمر الله تعالى بتواضع الولد للوالدين حتى قال الله تعالى: ﴿**ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾[4].

وقال مثل ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾[5].

كيف ترى عز هذه الأمة؟ فقلت: عظيمًا جليلاً، وقال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿**شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط**

---

(١) سورة البقرة (الآية: ٢٥٧).

(٢) سورة طه (الآية: ٦٨).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٣٩).

(٤) سورة الإسراء (الآية: ٢٤).

(٥) سورة الشعراء (الآية: ٢١٥).

مستقيم﴾[1].

وقال تعالى ليوسف عليه السلام: ﴿**وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث**﴾[2].

وقال عز من قائل ليونس عليه السلام: ﴿**فاجتباه ربه**﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى لجملة الأنبياء عليهم الصلاة [٦٧/ب] والسلام: {**واجتبيناهم [وهديناهم] إلى صراط [مستقيم**[4]]}. وقال تعالى لهذه الأمة: {**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم**}[5].

كيف ترى عز هذه الأمة؟

قلت: جليلاً عظيمًا.

فقلت: عندي أجل من هذا وأعظم ، أنجى إبراهيم من نار الدنيا، قال سبحانه: ﴿**قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم**﴾[6].

وأنجى هذه الأمة جميعًا من النار، فقال: ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾[7].

كيف ترى عز هذه الأمة؟ قلت: عظيمًا جليلاً.

قال: عندي أجل من هذا، إن الله تعالى علق عز هذه الأمة بعز نبيه، وعلق عز نبيه بعز الله فقال عز من قائل ﴿**ولله العزة ولرسوله**

---

(١) سورة النحل (الآية: ١٢١).

(٢) سورة يوسف (الآية: ٦).

(٣) سورة القلم (الآية: ٥٠).

(٤) سورة الأنعام (الآية: ٨٧) وما بين المعقوفين سقط سهوًا.

(٥) سورة الحج (الآية: ٧٨).

(٦) سورة الأنبياء (الآية: ٦٩).

(٧) سورة آل عمران (الآية: ١٠٣).

وللمؤمنين﴾[1].

كيف ترى عز هذه الأمة؟ قلت: عظيمًا جليلاً.

قال: عندي أعظم من هذا قوله تعالى: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾**[2].

فكان إبراهيم لقومه نبيًا ولهذه الأمة أبًا، وقرن الله هذه الأمة مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالاستجابة فقال عز من قائل في قصة أيوب عليه السلام حين قال: **﴿ [إني] مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له﴾**[4].

وقال تعالى في قصة [٦٨/أ] يونس عليه السلام: **﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له﴾**[5].

وقال تعالى لهذه الأمة: **﴿ادعوني أستجب لكم﴾**[6].

كيف ترى عز هذه الأمة؟ قلت: عظيمًا.

انتهى كلام ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وقد أثنى الله تعالى عليهم في محكم كتابه فقال تعالى: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم**

---

(١) سورة المنافقون (الآية: ٨).

(٢) سورة الحج (الآية: ٧٨).

(٣) سورة الأنبياء (الآية: ٨٣ ، ٨٤).

(٤) سورة الأنبياء (الآية: ٨٩).

(٥) سورة الأنبياء (الآية: ٨٧).

(٦) سورة غافر (الآية: ٦٠).

البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة}[1].

وقال تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[2].الآية.

فهذا الشرف الباهر والعز الفاخر والمنزلة الرفيعة والفضل العظيم والذكر الجميل فلا يليق بمن أثنى الله عليه هذا الثناء ومدحه هذا المدح وعظمه[3] هذا التعظيم، أن يهان ويذل من أعدائه الكفار الذين أبعدهم الله تعالى، وأمر بإذلالهم وصغارهم ولعنهم على لسان أنبيائه، وقال فيهم ﴿**أولئك هم شر البرية**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون**﴾[5].

وقال تعالى: ﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾[6].

وهذا غاية في الذم، ونهاية في الإبعاد، فلا يجوز أن يولى على المسلمين من أخبر الله عنهم أنهم هم الظالمون.

وقد [٦٨/ب] قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**"[7].

---

(١) سورة يونس (الآية: ٦٢: ٦٤).

(٢) سورة الفتح (الآية: ٢٩).

(٣) في المخطوط: وعظم. وهو تحريف.

(٤) سورة البينة (الآية: ٦).

(٥) سورة الأنفال (الآية: ٥٥).

(٦) سورة البقرة (الآية: ٢٥٤).

(٧) أطراف الحديث عند : البخاري في الصحيح (١٦٨/٣) ، (٢٨/٩)، مسلم في الصحيح (البر والصلة: ٣٢، ٥٨)، أبي داود (٤٨٩٣)، ابن ماجة في

وقال عليه الصلاة والسلام: "**ترى المسلمين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**"[1].

وروي عن أبي عبد الله الشامي أنه قال استأذنت على طاوس اليماني فخرج شيخ كبير. فقلت له: أنت طاوس؟

فقال: أنا ابنه. فقلت: إن كنت ابنه فإنه إذًا لخرفٍ.

فدخلت عليه، فال سل وأوجز.

فقلت له: إن أوجزت لي أوجزت لك.

قال لي: إن شئت جمعت لك التوراة والإنجيل والفرقان في ثلاث كلمات.

فقلت له: وددت ذلك.

خف الله خوفًا لا يكون أحدٌ أخوف عندك منه وارجه رجاءً هو أشد من خوفك، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك.

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو عند المقدرة والقصد في الجدة، والرفق بعباد الله عز وجل.

وما رفق أحد بعباد الله إلا رفق الله به.

=

السنن (٢١١٩، ٢٢٤٦)، أحمد في المسند (٢/٢٧٧)، البيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤، ٢٥، ٧١) ، الحاكم في المستدرك (٢/٨) ، البغوي في شرح السنة (١٣/١٣٠)، أبي نعيم في الحلية (٢/٩٥).

(١) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٨/١٢)، ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٣٨)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٥٣)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/٢٥٣)، المتقي الهندي في كنز العمال (٧٥٨).

وقد روي عن الفضيل بن عياض[1] رحمه الله أنه قال: قراءة آية وأعمل بها أحب إلي من أن أختم القرآن ألف مرة. وإدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب إلي من [٦٩/أ] عبادة العمر كله. وترك الدنيا ورفضها أحب إلي من أن أعبد الله بعبادة أهل السموات والأرض. وترك دانق من حرام أحب إلي من مائة حجة بالمال الحلال.

وسئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب يترع الإيمان من العبد؟ قال: نعم، ثلاثة أشياء:

أولها: ترك الشكر على دين الإسلام.

والثاني: ترك الخوف من ذهاب دين الإسلام.

---

(١) في المخطوط: فضيل بن عباد. وهو تحريف وهو: الزاهد المشهور، والمحدث الكبير والعابد المتخشع، والمجاور بحرم الله تعالى ومات ودفن به سنة ست وثمانين ومائة وكانت للفضيل مواعظ وحكم وأقوال مأثورة، وأفردت حياته بالمؤلفات وترجم له أصحاب الكتب والسير والتواريخ وأهل الحديث، وأهل التصوف تراجم طويلة وافية غطت معظم حياته وأقواله وآراءة.

وهو من مشاهير الدنيا في العبادة والزهد كابن المبارك، وابن أدهم وغيرهم من أهل التعبد.

ومن الكتب التي ترجمت له: حلية الأولياء (٨/٨٤)، طبقات الصوفية للسلمي (٦/١٤)، صفة الصفوة (٢/١٣٤)، المعرفة والتاريخ للفسوي (١/١٧٩)، وفيات الأعيان (٤/٤٧)، العبر (١/٢٩٨)، سير أعلام النبلاء (٨/٤٢١)، ميزان الاعتدال (٣/٣٦١)، روض الرياحين (٤١)، تهذيب الكمال (١١٠٤)، تهذيب التهذيب (٨/٢٩٤)، النجوم الزاهرة (٢/١٢١)، شذرات الذهب (١/٣٦١)، التاريخ الكبير (٧/١٢٣)، الصغير (٢/٢٤١)، التوابون (٢٧)، الجرح والتعديل (٧/٧٣)، وغير ذلك كثير جدًا.

والثالث: الظلم لأهل الإسلام.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**أيها الناس اتقوا الله ولا يظلم أحد منكم مؤمنًا، وما ظلم أحد مؤمنًا إلا انتقم الله منه يوم القيامة**".

قال ميمون بن مهران: إن الرجل ليقرأ القرآن وهو يلعن نفسه، قال يقول: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾(1).

وقال بعض العلماء: ليس شيء في الدنيا أعظم من الظلم لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالى، فإن الله كريم يتجاوز عنك، وإن كان الذنب بينك وبين العباد، فلا حيلة لك سوى رضى الخصم. فما حيلة من سلط النصراني على المسلمين يسبونهم ويظلمونهم ويؤذونهم، ويأخذون أموالهم مصانعة ويفسقون بحريمهم، فلا يقدر المسلمون على ردهم من أجل أنه كساهم ثوب العز وهو يعتقد أن ذلك مصلحة، فهو [٦٩/ب] كما قال الله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾(2).

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: من أعان ظالمًا على ظلمه أو لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم فقد باء بغضب من الله، وعليه وزرها. فأي ظلم أظلم من النصارى الذين قال الله فيهم.

﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾(3)..

ومن كان ظالمًا وجب كفه ومنعه عن التحكم في عباد الله تعالى.

ومن سلطهم على ذلك فقد أعانهم على الظلم والفساد، وباع آخرته بدنياهم وهذا نهاية في الجهل.

---

(١) سورة هود (الآية: ١٨).

(٢) سورة البقرة (الآية: ١١،١٢).

(٣) سورة البقرة (الآية: ٢٥٤).

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف بن قيس[1]: من أجهل الناس؟ قال: من باع آخرته بدنياه.

قال: ألا أنبهك بأجهل من هذا؟ قال: بلى.

قال من باع آخرته بدنيا غيره.

فكيف بمن باع آخرته بدنيا عدوه؟

وفي هذا كفاية.

فينبغي للمسلمين الاستغاثة إلى الله تعالى والابتهال إليه والتضرع في إزالة هذه الداهية.

أسأل الله تعالى أن يعجل دمارهم، ويريح منهم المسلمين إنه ولي الخيرات في الدنيا والآخرة، وهو حسبنا وعليه اعتمادنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



---

(١) الأحنف بن قيس هو أحلم العرب، وكان يقول: لست حليمًا ولكني أتحالم، وأخباره في الحلم والصبر مشهورة، وسمي الأحنف لاعوجاج كان في ساقه أو عرج وكان عالمًا فقيهًا، وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ووفد على عمر بن الخطاب.

الباب الثامن
في
[٧٠/أ] مواعظ وحكايات تزهد في هذه القبائح وترغب في الدار الآخرة وبها يتم الغرض[١] من الكتاب

والذي يظهر في هذا الباب يظن أنه خارج عن المقصود، ومباين للمعنى الذي ألف هذا الكتاب لأجله.

وليس الأمر كذلك، فإن الذي ألجأهم إلى استخدام النصارى تنمية المال وتحصيله على ما يزعمون، فإذا ذكرت عيوب الدنيا والزهد فيها سهل على كل ذي إيمان قوي وعقل سري أمر الدنيا واندحضت في عينه واطرحها عن قلبه فيكون ذلك باعثًا على المراد، وحاملاً على ما يراد وقد قال الأول:

وَلاَ شَيء يَدُوْمُ فَكُنْ حَدِيْثًا   جَمِيْلَ الْذكرِ فَالدُّنْيَا حَدِيْثُ

وقال آخر:

وَإِنَّمَا المَرْءُ حَدِيْثٌ بَعْدَهُ   فَكُنْ حَدِيْثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

واعلم أيدك الله أنه ليس يخفى على ذي بصيرة أن هذه الدنيا ليست بدار مقر، وإنما هي دار ممر، والناس فيها على صورة المسافرين، ومبدأ سفرهم بطون أمهاتهم، والدار الآخرة مقصدهم وزمان الحياة مقدار المسافة.

فسبحان من تفرد بالعزة والكبرياء، وتوحد بالديمومة والبقاء، وطوق عباده طوق الفناء، فلو لم يكن في الموت إلا الإعدام، وانحلال الأجسام [٧٠/ب] لكان فيه لأهل اللذات مكدرًا، ولأهل النعيم معتبرًا مغيرًا.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الموت تهويلاً لأمره

---

(١) في المخطوط: (في) وهو تحريف والصواب ما أثبته لتناسبه مع السياق.

وتعظيمًا لشأنه.

روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أكثروا من ذكر هازم اللذات**"(١).

وروي عنه عليه السلام: أنه مر بمجلس قد ارتفع فيه الضحك فقال: "**شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات**" قالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: "**الموت**"(٢).

وخرج صلى الله عليه وسلم، فإذا قوم يتحدثون ويضحكون، فقال: "**اذكروا الموت، أما والذي نفسي بيده لو تعلمون [ما أعلم] لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**"(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله من أكيس الناس؟ قال: "**أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم له استعدادًا قبل أن ينزل به، أولئك هم الأكياس، ذهبوا والله بشرف الدنيا وكرم الآخرة**"(٤).

---

(١) أطراف الحديث عند: العجلوني في كشف الخفا (١/١٨٨)، ابن أبي حاتم في العلل (١٨٨٣)، الألباني في إرواء الغليل (٣/١٤٥)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/١٠١)، الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٨٠)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/٤٣٥).

(٢) أطراف الحديث عند: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/٢٢٨) المتقي الهندي في كنز العمال (٤٢١١٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٤/٤٣٥).

(٣) أطراف الحديث عند العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٤/٤٣٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/٢٢٩) وما بين المعقوفين زيادة من بعض طرق الحديث وروايته الأخرى.

(٤) أطراف الحديث عند: الطبراني في الكبير (١٢/٤١٧)، والطبراني أيضًا في

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد.

وكان يزيد الرقاشي[1] يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم من الموت موعده والقبر بيته، والثرى فراشه، والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع [٧١/أ] الأكبر كيف يكون حاله؟

ثم يبكي حتى يسقط مغشيًا عليه.

وروي عن عيسى عليه السلام: أنه كان إذا ذكر عنده الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله، فإذا ذكرت الرحمة رجعت[2].

الصغير (٨٧/٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٩/١٠)، المنذري في الترغيب والترهيب (٢٣٨/٤)، السيوطي في الدر المنثور (٤٤/٣)، (٣٢٥/٥)، ابن كثير في التفسير (٣٢٧/٣).

(١) هو يزيد بن أبان أبو عمرو الرقاشي البصري القاص الزاهد، ضعيف الحديث. قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٠٩/١١).

قال ابن سعد: كان ضعيفًا قدريًا.

وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن يحدث عنه، وقال: كان رجلاً صالحًا، وقد روى عنه الناس وليس بالقوي في الحديث وقال البخاري : تكلم فيه شعبة وقال إسحاق بن راهويه عن النضر ابن شميل: قال شعبة: لأن أقطع الطريق أحب إلي من أن أروي عن يزيد.

وقال زكريا بن يحيى الحلواني: سمعت سلمة بن شبيب يقول سمعته.

وقال يزيد بن هارون سمعت شعبة يقول: لأن أزاني أحب إلي من أن أحدث عن يزيد الرقاشي . وذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات في عشر ومائة إلى عشرين ومائة.

(٢) من أتقى أنبياء الله تعالى وأخشى؟

كل مؤمن بل كل عاقل لا يشك في ذلك ولا يرتاب، وما يذكر من نحو هذه

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

واعلم أن: كثرة ذكر الموت ترد عن المعاصي وتلين القلب القاسي وتقصر الأمل وتزهد في الدنيا.

وقال كعب: من ذكر الموت هانت عليه المصائب، وتحقق أنه لا يمنعه منه مانع، ولا يدفعه عنه دافع، وأن فيه زاجرًا للبيب، وشغلاً للأديب ولا يرده الباب الشديد ولا البرج المشيد ولا البلد البعيد.

وروى خيثمة عن سليمان بن مهران رحمه الله: أن رجلاً جالسًا مع نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم، فدخل عليه داخل فجعل ينظر إلى الرجل الجالس مع سليمان، ويديم النظر إليه، فلما خرج.

قال الرجل: يا نبي الله من هذا الرجل الذي دخل عليك؟

قال: ملك الموت.

قال: يا نبي الله، لقد رأيته يديم النظر إلي ويشخص في، وإني لا أريده يريدني. قال: فما تريد؟

قال: أريد يا نبي الله أن تأمر الريح فتأخذني فتلقيني في أبعد جزائر الهند، فإنه قد أطاش عقلي[٧١/ب] وأذهب لبي.

فأوحى الله تعالى إلى سليمان أو ألقى في قلبه أن يفعل ذلك.

فأمر الريح فأخذته، فألقته حيث أراد، فما استقر بالأرض حتى نزل

=

القصص والحكايات ضرب من المبالغات ونحوها يمكن أن ينسب إلى غير أنبياء الله تعالى ولكن يجب تعظيم وتبجيل وتوقير أنبياء الله تعالى عن مثل هذه الأقاويل فلا يليق إنزالهم منازل العوام من الناس كمن يذكرون الله تعالى وينسونه وينتبهون ويغفلون عن الطاعة حاشاهم من مثل هذا بل هم المبرؤون من كل نقص في الأبدان والأعمال والأخلاق.

عليه ملك الموت، فقبض روحه. ثم رجع إلى سليمان.

فقال له: رأيتك تديم النظر إلى جليسي.

قال: نعم، أتعجب منه لأني أمرت بقبض روحه في أبعد جزائر الهند في ساعة قريبة من الوقت الذي كان عندك.

فما هو إلا أن عرجت من عندك، قيل لي انزل عليه، فإنه بها نزلت عليه فوجدته بها، فقبضت روحه.

واعلم أن: في النظر إلى الميت ومشاهدة حاله وسكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويمنع من القلوب مسراتها.

وروي عن الحسن البصري رحمه الله: أنه دخل مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وعسره وشدة ما نزل به.

فرجع إلى أهله بغير الحال التي خرج بها من عندهم.

فقالوا له: الطعام يرحمك الله، أتأكل؟

فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل به حتى ألقاه.

واعلم أن: الموت وإن كان هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، فأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره وقله [٧٢/أ] التفكر فيه، وترك العمل له وأن فيه وحده لعبرة لمن يعتبر، وفكرة لمن تفكر.

يروى أن: رجلاً من الأغنياء نزل به داء في وجهه، فعجز أطباء بلاده عن معالجته و لم يجدوا سبيلا إلى شفائه، فخرج يضرب الأرض يخترق في البلاد يطلب علاجًا لدائه وشفاءً لبلائه، فدل على طبيب حاذق ببلاد الهند، فقطع إليه المفاوز البعيدة، وركب البحار الخطيرة، واللجج الهائلة، حتى وصل إليه بعد ما كان، فدخل عليه فوجده ملقى على فراشه جلدة على

عظم، فسلم عليه، فأحسن الرد، وأظهر البشر وسأله عن حاله، ومـــن أي البلاد هو؟ وما الذي جاء به؟

فأخبره خبره وأنه إنما جاء يلتمس معالجة دائه.

فقال له: كم معك من المال؟

وما الذي جئت به من البضاعة؟ فأخبره.

فقال: آخذ منك نصف ما معك، وأعالجك حتى تستريح.

فأجابه إلى ذلك، ودفع إليه نصف ماله.

فعالجه ولاطفه حتى ذهب عنه الألم، وجميع ما كان بوجهه، ولم يبق به شيء إلا أن بقى أسود دون ألم يجده فيه.

فقال: قد برىء داؤك وذهبت علتك وقد استوجبت ما أخذته منك.

وقد استوجبت ما أخذته منك.

فقال أيها الفاضل، أو ما ترى هذا الموضع قد بقى أسود، مخالفًا لونه لوني؟ وكيف يكون هذا البرء؟ وكيف تكون هذه؟

وكيف تستوجب ما أخذته [٧٢/ب] مني.

فقال: لم أشارطك على بقاء اللون وبياض البشرة، وإنما شـــارطك على ذهاب الألم وحسم الداء.

ولست أنظر إليك فيما تريده من إزالة قيد السواد إلا بأن تدفـــع لي النصف الآخر من مالك.

فقال له: أيها الفاضل أنا رجل بعيد الدار نائي الأهل، فـــإذا دفعـــت إليك النصف الثاني، بقيت منقطعًا عن أهلي ووطني، فقيرًا بأرض غربة عالة على من لا يعرفني.

فقال له: لابد من ذلك: وأن تعطيني ما قلت لك، وإلا لم أنظر إليك في شيء مما تريد.

فلما رأى الرجل أنه لا يجيبه إلى معالجته والنظر في أمره حتى يعطيه سؤله أجابه إلى ما أراد، ودفع إليه النصف الثاني، فعالجه حتى ذهب عنه سواده. فلما برئ قال له: أبقي لك شيء؟ قال: لا.

قال: فاستوجبت ما أخذته منك؟

قال: نعم.

فقال: لم آخذ منك مالك رغبة فيه ولا مستأثرًا به دونك، ولكن أردت أني أدري مقدار نفسك عندك، وأيهما أحب إليك المال أم هي؟

فقد رأيت.

وهذا مالك كله مردود عليك، لا والله، لا آخذ منه درهماً واحدًا.

فرده عليه، ثم قال له: ما نحلتكم التي تنتحلون؟ وشريعتكم التي بها تتشرعون؟ فقال له: نحن مسلمون.

فقال: وما مسلمون؟

فقال: نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

فقال: وما محمد؟

قال: رجل من العرب، ثم من قريش بعثه الله تعالى إلينا [٧٣/أ] رسولا واختاره صفيًا أمينًا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وذكر لنا: أن بين أيدينا يومًا تبعث فيه الأموات، وتجازى فيه بالحسنات والسيئات؟

فقال: وكيف أنتم في اتباعه؟

قال: إنا نسلك في غير هديه، ونترك كثيرًا من أمره.

قال: والله يا هذا، ما أقول ما تقولون، وما ردني كما ترى جلدة على عظم إلا الفكر في الموت خاصة، وفيما هو؟

وكيف لو قلت كما تقولون بما بعد الموت من الحساب والعقاب والجزاء والثواب؟

ما رأيت بأقل عقولاً منكم. ثم دفع إليه ماله، وانصرف الرجل.

ومما يعينك على التفكر[1] في الموت ويفرغك له ويكثر اشتغالك به: تذكر من مضى من خلانك وإخوانك وأقرانك وأصحابك الذين مضوا قبل، وتقدموا أمامك ، كانوا يحرصون ويسعون سعيك، ويأملون أملك، ويعملون في الدنيا عملك قصمت المنون أعناقهم، وقصمت أصلابهم، وفجعت فيهم أهليهم وأحبابهم، فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعًا**"؟ قلت: بلى، يا رسول الله فأخذ بيدي، وأتى واديًا [٧٣/ب] من أودية المدينة، فإذا مزبلة فيها رؤوس، وعظام، وخرق بالية، وعذرات، فقال: "**يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم، وتأمل كأملكم، ثم هي اليوم عظام ولا جلد عليها ثم صائرة ترابًا، وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم هي قذفوها من بطوهم، فأصبحت والناس يتحاموها، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم، أصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم، كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكيًا على الدنيا فليبك**". قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا[2].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي، فقال: "**يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب [أو عابر[3]]**

---

(١) في المخطوط: الفكرة، وما أثبته أنسب للسياق.

(٢) هذا خبر لا يحتاج إلى كثير عناء للتدليل على وضعه فرائحته فائحة وعلاماته واضحة وأطراف الخبر عند: السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/٢٠٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٢٩٨/١، ٢٩٩)، (١٩٩/٣) الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨٤/٨).

(٣) ما بين المعقوفين من بعض طرق الحديث ورواياته ، وأطراف الحديث عند: =

سبيل واعدد نفسك في الموتى".

أيها الرجل: لا تخدع كما خدع من كان قبلك فإن الذي أنت فيه من النعم إنما صار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك.

أيها الرجل: لو كانت الدنيا ذهبًا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة، وألقت إليك مقاليدها، وأفلاذ كبدها، ثم كنت طريدة الموت، ما كان ينبغي أن تتهنأ بعيش فإنه لا فخر بما يزول ولا غنى فيما لا يبقى، وهل الدنيا إلا كما قال الأول: .:. قدر يَغلي، وكنيف يُملى.:.

قال الشاعر:

وَلَقَــدْ سَأَلْتُ الدّارَ عَــنْ أَخْبَارِهِمْ ... فَتَبَسّمَتْ عَجَبًا وَلَمْ تُــبْدِي

حَتَّى مَــررت عَلَى الكَنِيْفِ فَقَالَ لِي ... أَمْوَالُهُــمْ وَتَوَالُهُــمْ عِنْدِي

وقال الطرطوشي رحمه الله: وبلغني أن بالهند يومًا يخرج الناس فيه إلى البرية، لا يبقى في البلد بشر صغير ولا كبير ولا مولود.

وهذا اليوم بعد انقراض مائة سنة، من يوم مثله، فإذا اجتمع الخلق في صعيد واحد، نادى منادي الملك: لا يصعد إلى هذا الحجر -لحجر هناك منصوب- إلا من حضر المجمع الذي قد خلا من مائة سنة.

فربما جاء الشيخ الهرم الذي قد ذهبت قوته، وعمي بصره، وفني شبابه، وتجيء العجوز تزحف ولم يبق منها إلا رسمها وقد أفنى الدهر عليها، فيصعدان على الحجر الذي هناك، ويقول الشيخ: قد حضرت والمجمع الأول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير، وكان الملك فلانًا ويصف الجيوش الماضية

=

ابن ماجة في السنن (١٤١٤)، أحمد (٢/٢٤)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/٤٢٧)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/١٧٤)، أحمد في الزهد (٩).

والأمم الخالية، وكيف طحنهم البلا، وصاروا تحت الثرى، ويقوم يخطبهم، فيعظ الناس، ويذكرهم صرعة الموت، وحسرة القوت، فيبكي القوم ويتوبون من المظالم، ويكثرون الصدقة، ويخرجون من التبعات، ويصلحون على ذلك مدة.

قال[٧٤/ب] مالك بن أنس رضي الله عنه: بلغني أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل ركب في زي عظيم فتشوف له الناس ينظرون إليه أفواجًا حتى مر برجل يعمل شيئًا مكبًا عليه لا يلتفت إليه، ولا يرفع رأسه.

فوقف الملك عليه وقال: كل الناس ينظرون لي إلا أنت؟

فقال الرجل: إني رأيت[١] ملكًا مثلك وكان على هذه، فمات هو ومسكين ودفن إلى جنبه في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا بأجسادهما، ثم كنا نعرفهما بقبريهما، ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما، فاختلطت عظامهما، فلم أعرف الملك من المسكين.

فلذلك أقبلت على عملي وتركت النظر إليك.

وروي: أن داود عليه السلام بينا هو يسبح في الجبال إذ أوفى على غار، فنظر فإذا فيه رجل خلق عظيم من بني آدم وإذا عند رأسه مكتوب بكتابة محفور فيه: أنا دوستم الملك ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك، ثم صرت إلى ما ترى، فصار التراب فراشي والحجر وسادي، فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني.

وقال الله عز وجل: ﴿**وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**﴾[٢].

فبينا الإنسان في أمر ونهي وغرة وكبر ومخالفة، واتباع هوى قد غرته الدنيا وخدعته الآمال إذ وثب عليه ليث [٧٥/أ] العرين، ففرق بينه وبين

---

(١) تكررت الكلمة في المخطوط، فحذفت التكرار.

(٢) سورة الأعراف (الآية: ١٨٥).

الإلف والقرين وأنزله من القصور إلى قعر القبور، وحيدًا فريدًا لا ينفعه إلا عمله الذي قدمه.

قال وهب بن منبه[1]: كان ملك من الملوك إذا أراد أن يخرج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه، وركب أفره دوابه، وخرج في خاصيته وجنوده ورجاله، فنفخ فيه الشيطان نفخة ملأه كبرًا وعجبًا، وكان يسير ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبرًا وعجبًا.

فتصدى له رجل رث الهيئة، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه، فأخذ بلجام فرسه.

---

(١) قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الأسوار الإمام، العلامة الأخباري القصصي، أبو عبد الله الأبناوي اليماني، الذماري، الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه.

مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين ورحل وحج...

وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب.

قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف قال: وكل من كان من أهل اليمن له: "ذي"، هو شريف، يقال له فلان له ذي وفلان لا ذي له.

وقال العجلي: تابعي ثقة كان على قضاء صنعاء.

وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة.

وترجمته طويلة راجعها في المصدر الـمشار إليه وفي طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، طبقات خليفة (٢٦٥٢)، طبقات الفقهاء للشيرازي (٧٤)، طبقات فقهاء اليمن (٥٧)، معجم الأدباء (٢٥٩/١٩)، وفيات الأعيان (٣٧/٦)، تهذيب الكمال (١٤٨٤)، تهذيب التهذيب (١٦٦/١١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٤١)، شذرات الذهب (١٥٠/١).

فقال له الملك: ويلك، لقد تعاطيت أمرًا عظيمًا كف يدك عن اللجام.
فقال له: أنا ملك الموت. فتغير لون الملك، ودهش واضطرب لسانه، وقال:
سألتك بالله العظيم إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضي حاجتي منهم.
فقال: لا والله لا رأيت أهلك أبدًا، وقبض روحه.

ثم لقي آخر في مثل حال الأول إلا أنه كان متواضعًا، فعرض له فسلم عليه فرد عليه السلام.

فقال: إن لي إليك حاجة، وأريد أن أذكرها لك في أذنك.

فقال: هات، وأعطاه أذنه. فقال: أنا ملك الموت.

قال له: مرحبًا بمن طالت علي غيبته فوالله ما كان غائب أحب إلي أن ألقاه منك.

فقال له: اقض حاجتك التي خرجت إليها.

فقال: لا، هذه الحاجة أهم حوائجي ومالي حاجة [٧٥/أ] أهم علي ولا أحب إلي من لقاء الله تعالى.

قال: فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك؟

قال: وتقدر على ذلك؟ قال: بذلك أمرت.

قال: فدعني حتى أتوضأ، وأصلي وتقبض روحي وأنا ساجد.

قال: نعم. فتوضأ وصلى، ثم قبض روحه في سجوده.

ويروى أن سليمان بن عبد الملك لبس أفخر ثياب، ومس أطيب طيبه ونظر في مرآته، فأعجبته نفسه، وقال: أنا الملك الشاب، وخرج إلى الجمعة، فأبصر جارية له، فقال لها كيف تريني؟ فقالت:

أَنْتَ نعمَ المَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى   غيْرَ أَنْ لاَ بَقَاءَ للإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيما بَدَا لَنَا منكَ عَيْبٌ   عَابَهُ النَّاس غَيْرَ أَنَّكَ فَانِ

فأعرض بوجهه عنها، ثم خرج وصعد المنبر وصوته يسمع آخر

المسجد، فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى لم يسمعه من حوله، فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه، فلما صار على فراشه.

قال للجارية: ما الذي قلت في صحن الدار وأنا خارج؟

قالت: ما رأيتك، ولا قلت لك شيئًا، وأني لي بالخروج إلى صحن الدار؟!

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، نعيت لي نفسي، ثم عهد عهده، وأوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الأخرى إلا وهو في قبره.

ولما بنى المأمون بن ذي النون قصره: وأنفق فيه بيوت الأموال، فجاء على أكمل بنيان في الأرض.

[٧٦/أ] وكان من عجائبه: أن صنع فيه بركة كأنها بحيرة وبني في وسطها قبة وشق الماء من تحت الأرض حتى علا على رأس القبة على تدبر أحسنه المهندسون وكان الماء يترل من أعلى القبة محيطًا بها متصل بعضه ببعض، فكأن القبة غلالة من ماء سكبًا لا يفتر، والمأمون قاعد فيها.

فروى عنه أنه بينما هو نائم إذ سمع منشدًا ينشد هذه الأبيات:

أَتَبْنِي بِنَــاءَ الخَــالدِيْنَ وَإِنَّمـَـا ... مَقَامُكَ فِيْهَا لَوْ عَقِلْتَ قَلِيْلُ

لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الأَرَاكِ كِفَايَة ... لِمنْ كُلَّ يَوْم يَقْتَضِيْه رَحِيْلُ

فلم يلبث بعده إلا قليلاً حتى قضى نحبه فانظر بعقلك، وفقك الله لمن مضى ذكره من الملوك كيف فرق الدهر جموعهم وشتت جمعهم، وأقفر منهم قصورهم وعمر بهم حفرهم وقبورهم وقد قال الله تعالى: **﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾**(١).

فالعاقل من اتعظ بسواه.

---

(١) سورة إبراهيم (الآية: ٤٥).

وسأذكر شيئًا من كلام المحتضرين
من خلفاء المسلمين والعلماء والصالحين

لما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه: جاءته ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فلما رأته تمثلت: [٧٦/ب]

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق لها الصدر

فكشف أبو بكر الصديق عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي: **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾**(١).

ثم قال: في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم؟

فقالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية.

فقال: أبو بكر: خذوا ثوبي هذا فقد أصابه مشق أو زعفران فاغسلوه، ثم كفنوني فيه مع ثوبين آخرين، وكان ثوبًا خلقًا.

فقالت له عائشة: ما هذا؟ تريد أنه خلق؟.

فقال أبو بكر: الحي أحوج إلى الجديد من الميت إنما هذه للمهلة- يريد الصديد والقيح- ثم سمع منشدًا في البيت ينشد:

وَأَبْيَضُ يُستسقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَال الْيَتَامَى عِصَمةً للأَرَامِلُ

فالتفت إليه أبو بكر وقال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الشعبي رحمه الله: لما طعن عمر رضي الله عنه أتى بلبن فشربه، فخرج اللبن من طعنته، فقال: الله أكبر وعلم أنه يموت فجاءه جلساؤه يثنون عليه خيرًا.

فقال: وددت أني أخرج منها كفافًا لا عليَّ ولا لي، والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع.

ولما احتضر غشي عليه ورأسه في الأرض فوضع ابنه عبد الله رأسه في

---

(١) سورة ق (الآية: ١٩).

[٧٧/أ] حجره فلما أفاق قال: ضع رأسي بالأرض.

فقال له ابنه: يا أبت، وهل الأرض وحجري إلا سوى.

فقال: ضع رأسي بالأرض كما آمرك فوضعه.

قال: فمسح خديه بالتراب، ثم قال: ويل لعمر، ويل لعمر، ويل لأم عمر، إن لم يغفر الله لعمر، فإذا قضيت فأسرعوا بي إلى حفرتي فإنما هو خير تقدمون إليه أو شر تضعونه عن رقابكم.

ولما احتضر عثمان بن عفان رضي الله عنه جعل يقول ودمه يسيل: سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعينك على أموري كلها، وأسألك الصبر على بلائي.

وروي أن عمرو بن العاص لما دنى منه الموت: دعى بحرسه ورجاله، فلما دخلوا عليه قال: هل تغنون عني من الله شيئًا؟

قالوا: لا.

قال: فافترقوا عني، ثم دعا بماء فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم قال: احملوني إلى المسجد. فحملوه، فقال: استقبلوا بي القبلة، ففعلوا.

فقال: اللهم إنك أمرتني فعصيت وائتمنتني فخنت وحددت إلي فتعديت، اللهم لا بريء، فاعتذر ولا قوي فانتصر، بل مذنب مستغفر لا مصر ولا مستكبر.

ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

فلم يزل يرددها حتى مات.

وقوله لحرسه، ورجاله: هل تغنون عني من الله شيئًا؟.

إنما فعل ذلك تصغيرًا لنفسه وتحقيرًا لها.

ولما احتضر معاوية بن أبي سفيان قال: أقعدوني، فأقعدوه فجعل [٧٧/ب] يذكر الله تعالى ويسبحه ويقدسه، ثم قال: الآن تذكر ربك يا

معاوية بعد الاختصام، والانهدام ألا كان ذلك وغصن الشباب نضير ريان، وبكى حتى علا بكاؤه.

ثم قال: هو الموت، لا منجى من الموت، والذي أحاذر بعد المـــوت أدهى وأفظع. ثم قال: اللهم ارحم الشيخ العاصي، ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة، واغفر الذلة وجُد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق بـــأحد سواك.

ثم قال لابنه يزيد: يا بني إذا وفى أجلي فاعمد إلى المنديل الــــذي في الخزانة فإن فيه ثوبًا من أثواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقراضة من شعره وأظفاره فاجعل الثوب مما يلي جسدي، واجعل أكفاني فوقه، واجعل القراضة في فمي وأنفي وعيني، فإن نفعني شيء فهذا، فـــإذا جعلتمونـــي في قبري فخلوا معاوية وأرحم الراحمين.

ولما احتضر أبو هريرة رضي الله عنه: بكى، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: يبكيني بعد المفازة، وقلة الزاد، وضعف اليقين، والعقبة الكـــؤد التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار.

ولما احتضر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنـــه قـــال: أجلســـوني، فأجلسوه، فقال: اللهم إنك أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت، قالها ثلاثًـــا، فإن غفرت فقد مننت، وإن عاقبت فما ظلمت. ثم قـــال: [٧٨/أ] لكـــني أرجو خيرًا بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم أحد النظر، فقيل له في ذلك، فقال أرى حضرة ما هم ناس ولا هم جان. ثم خرج من كان عنده، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات.

ويروى: أنه قيل له وقت اشتد مرضه أوصنا يا أمير المؤمنين.

فقال: أحذركم مثل مصرعي هذا.

وروي عن عبد الملك بن مروان لما حضره الموت: نظر في موضع لـــه

مشرف إلى رجل وبيده ثوب يضرب به المغسلة.

فقال: يا ليتني كنت مثل هذا الرجل أعيش من كسب يدي يومًا بيوم ولم أل من هذا الأمر شيئًا. وقال له رجل: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟

فقال: أجدني كما قال الله تعالى **﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾**[1].

ولما احتضر هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين: نظر إلى أولاده وأهله يبكون حوله، فقال لهم: جاد لكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له.

قال أبو الحسن المسعودي رحمه الله: لما اشتدت علة الرشيد وصار إلى طرسوس، هون الأطباء عليه علته وحقروا أمرها.

فأرسل ماءً في القارورة مع جملة قوارير فعرضت على طبيب فارسي كان هناك فجعل ينظر فيها قارورة قارورة، ويقول، [٧٨/ب] ما يقول، حتى أتى على القارورة التي فيها ماء هارون فنظر فيها، فقال: عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث، ومروه فليوص فإنه لا برء له من علته هذه.

فأتى الغلام هارون فقال له: ما قال لك؟ فحمحم الغلام ولم يبين، فعزم عليه فأخبره بما قال. فبكى هارون بكاءً شديدًا وتمايل على فراشه وجعل يردد هذه الأبيات:

إِنَّ الطَّبِيْبَ بِطِّبِهِ وَدَوَائِهِ ... لاَ يَسْتَطِيْعُ دِفَاعَ مَحْذُوْرَاتِي
مَالِ الطَّبِيْبِ يَمُوْتُ بِالدَّاءِ الَّذِي ... قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِثْلَهُ فِيْمَا مَضَى
ذَهَبَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي ... جَلَبَ الدَّوَاءِ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَى[2]

---

(١) سورة الأنعام (الآية: ٩٤).

(٢) يا له من شعر قد أصاب فؤادًا غير مشغول فجزى الله تعالى قائله ومتأمله =

واشتد ضعفه مع ما سمع من كلام المتطبب وأرجعت الناس بموته، فلما بلغه ذلك دعى بحمار ليركبه، فلما صار عليه سقط و لم يقدر أن يثبت على السرج.

فقال: صدق المرجفون، ثم دعى بأكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما يصلح ويقول: ﴿**ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه**﴾ [1]. ثم أمر بقبره فحفر، فلما أطلع عليه جعل يقول: هذا القول: ﴿**ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه**﴾ [2].

ولما احتضر أمير المؤمنين المأمون: أمر بجل[3] دابته ففرش له فاضطجع عليه وجعل الرماد على رأسه وجعل يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

ويروى أنه [أمر][4] أن يطاف به على هـذا الحال، وأمـر المنادي [٧٩/أ] أن يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

وقال بعض الصالحين لغلامه وقد حضره الموت: يا غلام خذ كفا من [تراب][5][6] وعفر في التراب خدي، ففعل الغلام.

ثم قال: دنى الرحيل اللهم لا براءة لي من ذنب ولا عدة فأعتد ولا قوة

= ومتمثله خير الجزاء.

(١) سورة الحاقة (الآية: ٢٨،٢٩).

(٢) سورة الحاقة (الآية: ٢٨،٢٩).

(٣) الجل هو ما يوضع على ظهر الدابة تحت البردعة ليقيها خشونتها، ويمتص عرقها.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٥) في المخطوط: كنا في. وهو تحريف وأثبت ما يناسب السياق.

(٦) زيادة يتطلبها السياق.

فأنتصر بها. ثم قال: أنت لي، أنت لي، ثم صاح صيحة ومات.

فسمعوا صوتًا يقول: استكان العبد لمولاه فقبله.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إذا قبض ملك الموت روح العبد قام على عتبة الباب ينظر إلى أهل المصائب منهم الصاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية ويلها ومنهم الممزقة ثوبها.

فيقول ملك الموت: ما هذا الجزع والويل؟

والله ما نقضت لأحد عهدًا ولا أذهبت لأحد منكم رزقًا، ولا ظلمت منكم أحدًا ، فإن كانت شكايتكم وسخطكم وصياحكم وبكاؤكم علي فإني والله مأمور، وإن كان على ميتكم فإنه والله مقهور، وإن كان ذلك على ربكم فكل بربه كفور. واعلموا أن لي فيكم عودة، ثم عودة، ثم عودة.

﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ (١) الآيــة. **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾** (٢)**﴿كل من عليها فان﴾** (٣)**﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم﴾** (٤).

قال عبد الله: ولو أنهم دروا كلامه [٧٩/ب] وعرفوا مكانه ذهلوا عن ميتهم وبكوا على أنفسهم، فإن بكاءهم على أنفسهم ينفعهم، وبكاؤهم على ميتهم لا ينفعهم.

فسبحان من أذل بالموت رقاب الجبابرة، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة وقصر ببغتته آمال القياصرة، وقذفهم في الظلمات الحافرة، مصيبة

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١٨٥).

(٢) سورة السجدة (الآية: ١١).

(٣) سورة الرحمن (الآية: ٢٦).

(٤) سورة القصص (الآية: ٨٨).

لا يخبر والله مصابها ولا يتجرع صابها، ولا تنقضي آلامها وأوصابها صدمهم بركنه الشديد وصبحهم بحبسه المديد، وأنفد عليهم ما كتب عليهم من الوعيد، نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللحود وصيرهم بين حجرها المنضد وجندها المعقود، أكلاً للهوام وطعمًا للدود.

وقف مالك بن دينار على المقابر فنادى:

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَعْوَانُهَا ... وَأَيْنَ الْمُعَظَّمُ وَالْمحتَقِرْ

وَأَيْنَ الْمُــــذِلُّ بِسُلْطَانه ... وَأَيْنَ الْقَوِيُّ إِذَا مَا قَدَرْ

وَأَيْنَ الْمَلِيُّ إِذَا مَا دُعِي ... وَأَيْنَ الْمُزَكَّى إِذَا مَا ذَكَرْ

فأجابه هاتف يقول:

تَفَانَوْا جَمِيْعًا فَــلاَ مُخْبِرٌ ... وَمَاتُوا جَمِيْعًا وَمَاتَ الْخَبَرْ

فَيَا سَائلِي عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا ... أَمَالَكَ فِيْمَـــا مَضَى مُعْتَبَرْ

[٨٠/أ] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه لما رجع من صفين، ودخل أوائل الكوفة، فإذا هو بقبر، فقال: قبر من هذا؟

قالوا: قبر خباب بن الأرت[1].

فقال: رحم الله خبابًا، أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهدا، وابتلي في جسده أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

ثم مضى وإذا أقبر، فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله تعالى.

ثم قال: يا أهل القبور، أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد

---

(١) من مشاهير الصحابة المجاهدين المؤذين في سبيل الله تعالى فتحمل ابتغاء رضوان الله.

سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم.

ثم التفت إلى أصحابه وقال أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى.

ولما لقي سمنون بن مهران الحسن البصري قال له: قد كنت أحب لقاءك فعظني، فقرأ الحسن: ﴿أفرأيت إن متعنا[هم[1]] سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾[2].

فقال: عليك السلام يا أبا سعد، فلقد وعظت أحسن موعظة.

وقال مسعر: كم مستقبل يومًا لا يستكمل، ومنتظر غدًا وليس من أجله إنكم لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.



---

(١) سقط سهوًا من الناسخ.

(٢) سورة الشعراء (الآية: ٢٠٥ : ٢٠٧).

[خاتمة الكتاب][1]

ولنختم الكتاب بحديث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: أنه ضرب مثلاً للدنيا ولابن آدم كمثل رجل له ثلاث أخلاء، فلما حضره الموت قال لأحدهم قد كنت لي خلاً مكرما مؤثرًا، وقد حضرني من أمر الله ما ترى فما عندك؟ فيقول: هذا أمر الله غلبني عليك لا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها أنا ذا بين يديك فخذ مني زادًا ينفعك، ثم يقول للثاني: قد كنت عندي آثر الثلاثة، وقد نزل بي من أمر الله ما ترى فما عندك؟ فقال: هذا أمر الله غلبني عليك، ولا أستطيع أن أنفس كربك ولكن سأقوم عليك في مرضك، فإذا مت أتقنت غسلك وجودت كفنك، وسترت جسدك وعورتك، وقال للثالث: قد نزل بي من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة علي فما عندك؟

قال: إني قرينك، وحليفك في الدنيا والآخرة أدخل معك قبرك حتى تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبدًا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الأول: ماله، والثاني: أهله، والثالث عمله".

وفي هذا عبرة للمعتبرين، وآية للمستبصرين أيقظنا الله من الغفلة وجنبنا ما يورثنا المقت والذلة، وجعلنا ممن تزود للرحلة ولطف بنا إذا نزل بنا الموت وحل بنا الفوت، ورزقنا في حياتنا عملاً يقربنا إليه، ويباعد [٨١/أ] بيننا وبين أعدائه، وحشرنا في زمرة أوليائه إنه المعز المذل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيرًا.

---

(١) زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له ولقارئه.

قال مؤلف هذا الكتاب غفر الله له:

قد أتيت بما يسره الله تعالى على من أقوال العلماء وما خلقه الله في قلبي من المعاني، فلله الحمد على ما من به علي وتطول ومنحني به وتفضل حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وأسأله تعالى أن يصلى على سيدنا محمد المصطفى، ورسوله المرتضى، وأتوسل بالله تعالى إلى من وقف عليه من المسلمين أن يخلص النية ويحضر القلب ويسأل الله تعالى الحليم الكريم جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره لي العفو والمسامحة وتكفير السيئات ورفعة الدرجات ولوالدي ولسائر المسلمين، وأنا أسأل الله تعالى أن ينفع به من جمعه أو أقرأه أو كتبه أو طالعه أو ملكه وعمل بما فيه.

وهو حسبنا ونعم الوكيل

تمّ كتاب "منهج الصواب"

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ومنه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين ووقع الفراغ منه في العشرين من جمادى الأولى سنة ٩٢١(هـ)



تأليف

الشيخ الإمام أبي أمامة محمد بن علي ابن النقاش

المتوفى سنة ٧٦٣ هـ

تحقيق

سيد كسروي

كتاب
المذمة في استعمال أهل الذمة

تأليف
الشيخ الإمام العلامة أبي أمامة محمد بن على بن النقاش
رحمه الله تعالى آمين

[ترجمة للمؤلف بغير خط الناسخ][1]

مصنفه هو الإمام أبوأمامة محمد بن على بن عبدالواحد بن يحيى بن عبدالرحيم الدكالي، المصري ابن النقاش.

مولده في شهر رجب سنة عشرين وسبعمائة.

وأخذ القراءات عن البرهان الرشيدي، والقرآن عن المجد بن الصائغ وأبي حيان، وحوى الحاوي الصغير، وكان يقول: أنه أول من حفظه.

وتقدم في الفنون، وصنف:

- شرح العمدة في ثمان مجلدات.
- وتخريج أحاديث الرافعي.
- وشرحًا على التسهيل.
- وشرحًا على الألفية.
- وكتابًا في العدد.
- وكتابًا في التفسير مطولاً جدًا.
- وله نظم.

---

(١) ما بين المعقوفين من عمل المحقق غفر الله تعالى له آمين وكنت ذكرت له ترجمة موجزة نحوها قبل أن أتبين قراءة هذه تقابلك بعد قليل بالهامش ، ولله الحمد والمنة.

- ووعظ في عدة أماكن.

قال (...)[1] : كان واعظًا باهرًا، وفقيهًا نحويًا شاعرًا، له يد طولى في فنون متعددة، وقدرة على سجع الكلام.

قال الصفدي : وكانت طريقته في التفسير غريبة ما رأيت له في ذلك نظيرًا، وكان يصحب الأمراء ، ثم صحب الناصر حسن بن الناصر ، وحظى عنده، ولم يزل على حاله إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

ذكره شيخنا[2] في الدرر[3] مطولاً وحكى في مولده خلافًا، والذي جزم به ما دونته، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.



---

(١) موضع النقط كلمة لم أتبينها وهذا رسمها: "ارلي".

(٢) يريد ابن حجر العسقلاني.

(٣) يريد الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

[٢] [1] بسم الله الرحمن الرحيم
[المقدمة والبداية] [2]

---

(١) الترقيم الخاص بالصفحات حسب ترقيمي لها لأن أوراق المخطوط تبدأ برقم [٨٧] وتنتهي برقم [١٠٠] حيث أنه ضمن مجموعة، وهو مخطوط قائم بذاته في معهد المخطوطات، وكل لوحة عبارة عن صفحة واحدة ليس لها مرادفة.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من عمل المحقق حيث أن المخطوط قد بدأ مباشرة بعد ذكر اسم الله تعالى والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم بالسرد في موضوعه إذ أنه ليس من تأليف ابن النقاش على الحقيقة وإنما هو مضمون فتوى له أفتاها إجابة على سؤال وجه إليه، أما ناقل الفتوى إلينا فلم يذكر لنا من هو، وإن كان المرجح أنه أحد تلاميذ ابن النقاش الذي ربما دونَ ما قاله شيخه على وجه الاختزال أو نقل المعنى لا النص والحرف وقد صرح لنا بذلك حيث يقول رحمنا الله وإياه بالنص كما هو موضح أعلاه: "فأجاب بما مثاله". ثم أخذ في سرد الفتوى أو الإجابة على السؤال وإن كان من سؤال عن ابن النقاش صاحب هذه الفتوى فيمكنك القول فيه بإيجاز أنه هو : محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى بن عبدالرحيم أبوأمامة، الدكالي، المصري، الشافعي، الفقيه، الشهير بابن النقاش. ولد سنة ٧٢٠هـ، وقيل سنة ٧٢٥هـ.

وتوفي سنة: (٧٦٣)هـ، وهي سنة وفاة صاحب الكتاب الأول (منهج الصواب) أو العام الذي يليه على بعض الأقوال، وهي من المفارقات الغريبة التي تمر بالإنسان، في أن يجتمعا في سنة الوفاة وفي تأليف كتاب في نفس الموضوع ويكاد العنوان بينهما أيضًا أن يتوافق، ثم يمر الزمان ويجمعان تحت يد محقق واحد ويوضعان في مجلد واحد، فاللهم اجمعنا وإياهما في مستقر رحمتك آمين.

وقد كان ابن النقاش إمامًا في الفقه في زمانه والنحو، كما كان شاعرًا

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

سُئل الشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين شمس الدين أبو أمامة محمد ابن على الشهير بابن النقاش رحمه الله تعالى عن:

استعمال أهل الذمة والاستعانة بهم في الكتابة عند الأمراء، وفي البلاد، وفي جباية الأموال، هل يجوز ذلك أم لا؟

وهل أنكره أحد من علماء الإسلام؟

وهل برز مرسوم من الصدر الأول في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الأئمة المهديين بمنعهم وعزلهم عن ذلك أم لا؟

فأجاب بما مثاله: الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل اعلم

=

وواعظًا وله يد طولى في عدد من الفنون، وكان له قدرة فائقة على السجع والكتاب هنا لا يعطينا شيئًا من ذلك حيث أنه ليس من تأليفه أو بالمعنى الأصح ليس بقلمه.

وكما كان مفسرًا للقرآن الكريم، وله مصنفات عدة أذكر منها:

١- أحكام الأحكام الصادرة من بين شفتي سيد الأنام.

٢- تخريج أحاديث الرافعي.

٣- السابق واللاحق في تفسير القرآن (التزم ألا ينقل فيه حرفًا عن أحد).

٤- شرح الألفية لابن مالك في النحو.

٥- شرح تسهيل القواعد في النحو.

٦- شرح العمدة في سبعة مجلدات.

٧- كتاب الفرق.

ويمكنك الرجوع في ترجمته إلى:

ديوان الإسلام بتحقيقي (ت٧١)، معجم المؤلفين (١١/٢٥)، بغية الوعاة (ت٣٠٧)، هدية العارفين (٢/١٦٢).

أن الحكم الشرعي في ذلك:

أنه لا يجوز وعلى ذلك إجماع المسلمين.

ولا تجد أحدًا من علماء الإسلام إلاّ ذاكرًا تحريم ذلك، إما بلفظ التحريم أو بلفظ الكراهة.

وها أنا أذكر ما يدل على ذلك من كتاب الله تعالى. ثم ما ورد من ذلك في سنة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أذكر ما فعله الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون من لدن الصحابة والتابعين إلى زماننا الذي هو في حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة من السنين.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يترل عليكم من خير من ربكم**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم**﴾[2].

وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوآءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**﴾[4].

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٠٥).

(٢) سورة البقرة (الآية: ١٠٩).

(٣) سورة البقرة (الآية: ١٢٠) وسقط من المخطوط سهوًا من الناسخ لفظ: "لا" قبل كلمة "النصارى"، فأثبتها دون وضعها بين معقوفين واكتفيت بهذه الإشارة.

(٤) سورة آل عمران (الآية: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بيّنّا لكُمُ الآيات إن كنتم تعقلون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين [أوتوا نصيبًا من الكتاب] يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل* والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليًّا وكفى بالله نصيرًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً* أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٨) ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي يطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً، أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المنكر والخديعة ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم ، وقوله : ﴿ولا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره.

(٢) سورة النساء (الآية : ٤٤، ٤٥) وما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ ، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة أنهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزله الله على رسوله ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنًا قليلاً من حطام الدنيا.

(٣) سورة النساء (الآية : ٥١، ٥٢) وقال ابن كثير في تفسيرها: أما الجبت فقال محمد بن إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر بن الخطاب أنه قال:

وقال تعالى مبشرًا لمن[1] والاهم بالعذاب الأليم: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا* الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين [٣] أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون [المؤمنين][3] أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا﴾.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين* ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا

الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

(١) في المخطوط: إلا والاهم. وهو تحريف.

(٢) سورة النساء (الآية: ١٣٨، ١٣٩) وقال ابن كثير في تفسيره: يعني أن المنافقين من هذه الصفة، فإنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنما نحن معكم إنما نحن مستهزؤن أي: بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة، قال تعالى منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ ثم أخبر تعالى بأن العزة كلها له وحده لا شريك له ولمن جعلها له.

(٣) سورة النساء (الآية: ١٤٤) وما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ، ويقول ابن كثير في تفسيرها: ينهى الله تعالى عباده المؤمنين، عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم.

بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب [من قبلكم] والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين* وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥١: ٥٣) وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله -قاتلهم الله- ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم هدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير بن شهاب حدثنا محمد يعني: ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن سماك بن حرب، عن عياض: أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر، وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابًا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا بل نصراني. قال: فانتهرني وضرب فخذي، ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ الآية.

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥٧، ٥٨) وما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ، وقال ابن كثير في تفسيره : وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوًا يستهزئون بها. ولعبًا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد كما قال القائل:

وكم من عائب قولاً صحيحًا   وآفته من الفهم السقيم

قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياءَ ولكنَّ كثيرًا منهم فاسقون﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون* اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون* لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمَّة وأولئك هم المعتدون﴾ [٢].

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ [٣].

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٨١،٨٠) ويقول ابن كثير في تفسيره: .... يعني بذلك موالاهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي عقبتهم نفاقًا في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطًا مستمرًا إلى يوم معادهم...

.... أي: لو كانوا آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنـــين بالله وما أنزل إليه ﴿ولكن كثيرًا منهم فاسقون﴾ أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحيه وتتريله.

(٢) سورة التوبة (الآية: ٨-١٠)، وقال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى محرضًا المؤمنين على معاداهم والتبري منهم، ومبينًا أهم لا يستخفون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولأهم لو ظهروا على المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمة.

قال على بن أبي طلحة وعكرمة والعوفي عن ابن عباس : الآل: القرابة، والذمة: العهد.

(٣) سورة التوبة (الآية: ٢٣) وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أمر تعالى بمباينة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاهم إن استحـــبوا

وقال تعالى: ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أوعشيرتهم﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم [ما هم منكم ولا منهم] يحلفون على الكذب وهم يعملون* أعَدَّ الله لهم عذابًا شديدًا إنَّهم ساء ما كانوا يعملون﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ إلى قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة

أي: اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعد على ذلك.

(١) سورة المجادلة (الآية: ٢٢) ومما قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذا من قبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى يهديهم ، وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكن من فلان -قريب لعمر- فأقتله، وتمكن عليًّا من عقيل، وتمكن فلانًا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين. القصة.

(٢) سورة المجادلة (الآية: ١٤ ، ١٥) وما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ، وقال ابن كثير في تفسيره: يقول الله تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين... يعني: اليهود الذين كان المنافقون يمالئوهم ويوالوهم في الباطن ثم قال تعالى: ﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ أي: هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالوهم هم اليهود.

والبغضاء أبدًا حتَّى تؤمنوا بالله وحده﴾[1].

وقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولَّوا قومًا غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من [٤] أصحاب القبور**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾[3].

---

(١) سورة الممتحنة (الآيات ١-٤) ومما قال ابن كثير فيها بعد ذكره لقصة سيدنا حاطب بن أبي بلتعة : يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء ....

ثم قال في الأسوة بسيدنا إبراهيم وبمن آمنوا معه: أي: لكن في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلاَّ في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

(٢) سورة الممتحنة (الآية: ١٣) وقال فيها ابن كثير أيضًا: ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكفار في آخر السورة كما نهى في أولها فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم**﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم ولعنهم واستحقوا من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي: ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل.

(٣) سورة المائدة (الآية: ٨٢) وقال ابن كثير في تفسيرها: قال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم.

وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مدنية ، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة.

ثم ناقش أقوالهم إلى أن قال رحمنا الله وإياه فيها: وما ذاك إلاّ لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس**﴾[1].

وقال تعالى : ﴿**هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كُلّه وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إنّ الله بما يعملون محيط**﴾[2].

ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وسمّوه ، وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

(١) سورة التوبة (الآية: ٢٨) وقال ابن كثير في تفسيره: أمر الله عباده المؤمنين الطاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين الذين هم نجس دينًا عن المسجد الحرام ، وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية، وكان نزولها سنة تسع....

وقال الإمام الأوزاعي: كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: أن امنعوا اليهود والنصاري من دخول مساجد المسلمين وأتبع نهيه بقوله تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس**﴾.

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٩،١٢٠) قال ابن كثير في تفسيره: أي: أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما أظهروا لكم الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنًا ولا ظاهراً ﴿**وتؤمنون بالكتاب كله**﴾ أي : ليس عنكم في شيء منه شك ولا ريب وهم عندهم الشك والريب والحيرة .....

وعن ابن عباس: أي بكتابكم وبما معنا من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابهم وبكتابهم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم... والأنامل أطراف الأصابع .... وقال ابن مسعود، والسدي، والربيع، وابن أنس: الأنامل: الأصابع، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودّه وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه... وذلك أشد الغيظ والحنق ﴿**قل موتوا بغيظكم**﴾ أي: مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم

وقد أخبر الله سبحانه عن أهل الكتاب أنهم يعتقدون أنهم ليس عليهم في الأميين إثم ولا خطيئة[1] في خيانة المسلمين وأخذ أموالهم فقال تعالى: **﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾**[2] .

نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ومعلٍ كلمته ومظهر دينه، فموتوا أنتم بغيظكم... وهو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم وتكتمه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها ولا خروج لكم منها: **﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم....﴾** وهذه الحالة دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة أي: جدب أو أديل عليهم الأعداء لما لله تعالى في ذلك من حكمة كما جرى يوم أحد فرح المنافقون بذلك.

(١) في المخطوط: حبطة. وهو تحريف.

(٢) سورة آل عمران (الآية: ٧٥) وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة، ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فإن منهم **﴿من إن تأمنه بقنطار﴾** أي: من المال **﴿لا يؤده إليك﴾** أي: وما دونه بطريق الأولى أن يؤده إليك **﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا﴾** أي: بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك وإذا كان هذا صنيعه في الدنيا فما فوقه أولى من أن لا يؤده إليك... عن مالك بن دينار قال: إنما سمي الدينار لأنه دين ونار، وقيل: معناه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار ومن المناسب أن يذكر ها هنا الحديث الذي علقه البخاري في غير موضع من صحيحه، ومن أحسنها سياقه في كتاب الكفالة حيث قال: وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة،

وهذه صفة قبط مصر فإنهم الذين زعموا أنهم ليس عليهم في الأميين سبيل، وأن لهم أخذ أموالهم وأنفسهم مجانًا في مقابلة ما أخذوا من أموال النصارى وأنفسهم في الزمان الغابر.

وقد صرح بعضهم -كما سيأتي ذكر ذلك- .

فإن قلت: إنما هذه الآيات في تحريم ولايتهم بفتح الواو وهي محبتهم، والسؤال إنما وقع عن ولايتهم بكسر الواو وهي توليتهم؟

قلت: لما كانت الولاية بالكسر شقيقة الولاية بالفتح بل هي وسيلتها إذ لا تولي وتأمُّر إلا من تحبه لاشتماله على الصفات المقتضية للولاية من: العقل، والعلم، والدين، ونحو ذلك.

=

عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شيهدًا، فقال: ائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها ليقدم عليه في الأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني استسلفت فلانًا ألف دينار فسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، وسألني كفيلاً: فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده ... القصة وهي معروفة مشهورة، إلى أن ذكر في قوله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل**﴾ .... قد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوها بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلاّ بحقها وإنما هم قوم بهت.

كانت توليتهم نوعًا من توليهم بل أبلغ منها، وقد حكم تعالى بأن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلاّ بالبراءة منهم.

والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبدًا.

والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا، والولاية صلة، فلا تجتمع مع معاداة الكفر أبدًا.



فصــل

[الأحاديث الدالة على استعمال أهل الكتاب][1]

وأما الأحاديث الدالة على المنع في استعمالهم: فما رواه الإمام أحمد، ومسلم بن الحجاج من حديث عائشة وغيرها رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك؟ قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» . قال: لا، قال: «**ارجع فلن أستعين بمشرك**» قال: ثم لحقه عند الشجرة، ففرح بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -وكان له قوة وجلد- قال: جئت [أتبعك][2] وأصيب معك؟ قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا. قال: «**ارجع. فلن أستعين بمشرك**» .

[٥] ثم لحقه حين ظهر على البيداء، فقال له: مثل ذلك، قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: نعم، فخرج معه.

رواه مسلم.

وفي السنن والمسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال][3]: «**لا تستضيئوا بنار المشركين**» .

---

(١) زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له آمين.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق ، ومن بعض طرق الحديث، وأطرافه عند: مسلم في الصحيح (الجهاد ٣٢/١٥٠/١٨١٧)، الترمذي في الجامع الصحيح (١٥٥٨)، وأحـــمد في المسند (٦٨/٦، ١٤٩)، البيهقي في السنن (٣٧/٩)، الزيلعي في نصب الراية (٣/٤٢٣).

وقال النووي في تعليقه على الحديث في شرح صحيح مسلم: "بِحَرَّةِ الوَبَرَةِ" هكذا ضبطناه بفتح الباء، وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم، قال: وضبطه بعضهم بإسكانها وهو موضع على نحو أربعة أميال من المدينة.

(٣) زيادة يتطلبها السياق، وأطراف الحديث عند: النسائي في المجتــبى (الزيــنة =

يعني: لا تستنصحوهم.

«**ولا تستضيؤا بنار المشركين ولا تنقشوا على خواتيمكم عربيا**»

وفسر قوله: "**تستضيؤا بنار المشركين**" يعني: لا تستنصحوهم، ولا تستضيؤا برأيهم. والصحيح أن معناه: مباعدتهم، وعدم مساكنتهم كما جاء في الحديث الآخر: «**أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين لا تتراءى نارهما**»[1].

وأما النهي عن نقش الخاتم بالعربي، فهذا قد جاء مفسرًا في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

=

ب٤٨)، أحمد في المسند (٩٩/٣)، البيهقي في السنن (١٢٧/١٠)، السيوطي في الدر المنثور (٦٦/٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٣٧٥٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٧٨/١)، ومما قال ابن كثير في تفسيره للآية (١١٨ من آل عمران) في قوله: ﴿**لا تتخذوا بطانة من دونكم**﴾ عند الكلام في هذا الحديث قال: أما الاستضاءة بنار المشركين فمعناه: لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونوا معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم.

ولهذا روى أبو داود : "**لا تتراءى ناراهما**"، وفي الحديث الآخر: "**من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله**" فحمل الحديث على ما قاله الحسن - قلت: أي لا تستشيروا المشركين في أموركم. فهذا هو قول الحسن البصري.

(١) أطراف الحديث عند: الطبراني في الكبير (١٣٤/٤)، البيهقي في السنن الكبرى (١٣١/٨)، البغوي في شرح السنة (٣٧٣/١٠)، وابن عبدالبر في التمهيد (٣٩٠/٨)، النسائي في المجتبى (القسامة ب٢٧)، الترمذي في الجامع الصحيح (١٦٠٤)، أبي داود في السنن (٢٦٤٥)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٦٢٩٦، ٤٦٣٠٣، ١١٠٣١).

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ذهب ثم ألقاه، ثم اتخذ خاتمًا من ورق ونقش فيه: "محمد رسول الله" وقال: «**لا ينقش أحد على نقش خاتمي**»[1].

فإن كان الراوي حفظ اللفظ الأخير، فيكون النهي عنه من باب حماية الذريعة لئلا يتطرق بنقش العربي إلى نقش: "محمد رسول الله" فتذهب فائدة الاختصاص بالنقش المذكور والله أعلم.

وفي مسند أحمد عن عياض الأشعري ، عن أبي موسى رضي الله عنه، قلت لعمر: رضي الله عنه: إن لي كاتبًا نصرانيًا.

قال: مالك قاتلك الله، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾[2]؟

ألا اتخذت حنيفًا[3] ؟!

---

(١) أطراف الحديث عند: أبي داود في السنن (٤٢١٩)، ابن ماجة في السنن (٣٦٣٩)، مسلم في الصحيح برقم (٢٠٩١)، (اللباس:٥٥)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/٣٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٨٣)، المتقي الهندي في الكنز (١٧٢٩١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٢/١٦٤).
وتمام الخبر في مسلم: وكان إذا لبسه جعل فصه مما يلي باطن كفه، وهو الذي سقط من معيقيب في بئر أريس.
وعلق على ذلك النووي بقوله: سبب النهي صلى الله عليه وسلم، إنما اتخذ الخاتم ونقش فيه يختم به كتبه إلى ملوك العجم وغيرهم.
فلو نقش غيره مثله لدخلت المفسدة وحصل الخلل.

(٢) سورة المائدة (الآية: ٥١) وسبق شرح الآية قبل قليل من تفسير ابن كثير رحمنا الله وإياه.

(٣) أي مسلمًا، قوله تعالى: ﴿**ما كان إبراهيم يهوديًا أو نصرانيًا ولكن كان**

قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه؟

قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

وكتب إليه[1] بعض عماله ليستشيره في استعمال الكفار فقال: إن المال قد كثر وليس يحصيه إلاّ هم فاكتب إليّ بما ترى.

فكتب إليه: لا تدخلوهم في دينكم[2] ولا تسلموهم ما منعهم الله منه، ولا تؤمنوهم على أموالكم، وتَعَلَّموا، فإنما هي الرجال[3].

وكتب رضي الله عنه إلى عماله:

أما بعد: فإنه من كان قِبَله كاتب من المشركين فلا يعاشره، ولا

=

حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين﴾ [آل عمران: ٦٧] فكل مسلم حنيف لاتباعه ملة إبراهيم عليه السلام وهي الإسلام كما أشارت إلى ذلك الآية وكما تكرر ذلك مع ذكر إبراهيم عليه السلام بأنه حنيفًا أي: مائلاً إلى الحق والإيمان متباعداً عن الباطل والإشراك.

(١) أي إلى عمر بن الخطاب.

(٢) يريد لا تدخلوا في أسرار وشئون دينكم التي قد تفيد الكفار في معرفة مخططاتكم لقتالهم ولا يريد عدم إدخالهم في الدين ذاته بل هو غاية ما جاء به الإسلام هو أن يؤمن الناس بالله تعالى.

(٣) قوله: فإنما هي الرجال: أي تعلموا فإنما العلم بالتعلم، وإنما هي علوم مكتسبة لا وحي فيها ولا إعجاز فمن أراد الوصول أو البلوغ إلى هدف شحذ العزم وشمر الساعد، واستعان بالله بلغه بإذن الله تعالى، وقال صلى الله عليه وسلم: "**من سار أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل**".

فبالصبر والمثابرة ينال الإنسان ما يتمنى، ومن أراد العلا سهر الليالي، وقال الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا

يواده، ولا يجالسه، ولا يعتضد برأيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستعمالهم، ولا خليفته من بعده.

وورد عليه كتاب معاوية بن أبي سفيان:

أما بعد: يا أمير المؤمنين فإن في عمالي كاتبًا نصرانيًا لا يتم أمر الخراج إلاّ به، فكرهت أن أقلده دون أمرك.

فكتب إليه: عافانا الله وإياك، قرأت كتابك في أمر النصراني أما بعد: فإن النصراني قد مات، والسلام[١].

وكان لعمر رضي الله عنه عبد نصراني، فقال له: أسلم [٦] حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، فإنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم من[٢] ليس منهم فأبى فأعتقه وقال: اذهب حيث شئت.

وكتب رضي الله عنه إلى أبي هريرة رضي الله عنه: أما بعد فللناس نقرة على سلطانهم[٣] فأعوذ بالله أن تدركني وإياك، أقم الحدود ولو ساعة

---

(١) ليس المراد أنه مات على الحقيقة ، ولكن كأنه ليس بموجود فوجوده يساوي العدم حيث لا يجوز الاستفادة به في أمر من أمور المسلمين، فعلى ولي الأمر أن يقطع الرجاء فيه كقطعه الرجاء من الاستفادة الحقيقة ممن مات أو مما هو عدم لا وجود له، فقوله هنا كناية عن ذلك.

(٢) في المخطوط: "عن" وهو تحريف.

(٣) أي نهضة أو هبة أو ثورة أو ما يسمى في العصر الحديث بالانقلاب، وإنما يكون ذلك عادة بسبب الظلم والجور وعدم الاهتمام بشئونهم وانغماس الحاكم في شهواته وملذاته، لذا حذر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخاه أبا هريرة من الوقوع في ذلك وبين له كيف يكون الحاكم وما هو واجبه نحو رعيته وما هي حقوقهم عليه، وأنها مسئولية يتحملها الحاكم ليس أمرًا يدعو إلى الفخر والكبر وغمط الناس والتعالي عليهم، واعتبار مصالحهم من صغار الأمور، فقديمًا قالوا: معظم النار من مستصغر الشرر.

فرضي الله عن عمر بن الخطاب، وعن أبي هريرة ومن سار على نهجهما

من النهار، فإذا حضرك أمران: أحدهما لله والآخر للدنيا فـــآثر الله علـــى نصيبك من الدنيا فإن الدنيا تفقد والآخرة تبقى، عد مرضـــى المســـلمين، واشهد جنائزهم، وافتح بابك وباشرهم، وأبعد أهل الشرك وانكر أفعالهم، ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك فإنما أنت رجل منهم، غير أن الله سبحانه وتعالى جعلـــك حـــاملاً لأثقالهم.

❁ ❁ ❁

=

إلى يوم الدين آمين.

فصـــل
[موقف الأمراء بعد الخلفاء الأربعة من استخدام أهل الذمة][1]

ودرج على ذلك الخلفاء الراشدون، وهم الذين لهم ثناء حسن في الأمة، كعمر بن عبدالعزيز، والمنصور، والرشيد، والمهدي، والمأمون، والمتوكل، والمقتدر[2]، ونحن نذكر بعض ما جرى.

- فأما عمر بن عبدالعزيز[3] رضي الله عنه:

فإنه كتب إلى جميع عماله في الآفاق:

أما بعد:

فإن عمر بن العزيز يقرأ علكيم من كتاب الله: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾**[4].

جعلهم نجس، [وجعلهم][5] حزب الشيطان، وجعلهم الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

---

(١) العنوان من عمل المحقق غفر الله له ، وهي زيادة تصنيفية أو توضيحية ليسهل الوصول إلى المقصود من الكتاب.

(٢) بعد أن ذكرهم سردًا هكذا سيشرع في ذكر موقف كل منهم ورأيه على حدة الواحد بعد الآخر.

(٣) يعد عمر بن العزيز من الخلفاء الراشدين، في حين أن بينه وبينهم انقطاع غير أن ما اتصف به من الحلم، والعدل، والزهد، والورع، جعل بعضهم يلقبه بلقب خامس الخلفاء الراشدين ، فرحمة الله على عمر بن العزيز في السابقين ونسأل الله أن يلحقنا به على الإيمان الكامل آمين.

(٤) سورة التوبة (الآية: ٢٨).

(٥) ما بين المعقوفين يتضح سقوطه من المخطوط ، والسياق يقتضيه أو يقتضي ما في معناه.

واعلموا أنه لم يهلك [من][(١)] هلك قبلكم إلا بمنعه الحق وبسطه يد الظلم . وقد بلغني عن قوم من المسلمين فيما مضى أنهم إذا قدموا بلدًا أتاهم أهل الشرك فاستعانوا بهم في أعمالهم وكتابتهم لعلمهم بالكتابة والجباية والتدبير ولا خير ولا تدبير فيما يغضب الله ورسوله، وقد كان لهم في ذلك ملة وقد قضاها الله[(٢)].

فلا أعلم أن أحدًا من العمال أبقى في عمله رجلاً متصرفًا على غير دين الإسلام إلاَّ نكلت به.

فإن محو عمالكم كمحو دينهم، وأنزلوهم مترلتهم التي خصهم الله بها من الذل والصغار، وليكتب كل منهم بما فعله في عمله.

وكتب إلى حيان[(٣)] عامله على مصر باعتماده على ذلك.

فكتب إليه: أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإنه إن دام هذا الأمر في مصر

---

(١) التعليق على ذلك كسابقه.

(٢) أي: أن الإسلام جَبّ ما قبله من الملل أو الديانات أو الرسالات فالإسلام هو الخاتم وبظهور النبي صلى الله عليه وسلم، ودعوته الناس إلى الإسلام دينًا ارتضاه الله لعباده، فلا يجوز لأحد أن يظل على ما كان عليه من الدين الذي قبله وإن كان صحيحًا؛ حيث أن الشرائع قد تغيرت بأمر من مشرعها وهو الله سبحانه ، فهذا مراده من قوله: وقد كان لهم في ذلك ملة وقد قضاها الله أي: نسخها بالإسلام.

(٣) هو: حيان بن شريح بن صفوان، أبو زرعة، التجيبي، المصري، الفقيه، الإمام الزاهد، المتوفى سنة (١٥٨).

ومن مصادر ترجمته يمكن الرجوع إلى: ديوان الإسلام بتحقيقي (ت٧٤٤)، الجرح والتعديل (٣/٢٤٧)، التاريخ الكبير (٣/٥٦)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٣٨٤)، تصحيفات المحدثين (٥٠٤)، الثقات (٦/٢٣٠)، تبصير المنتبه (٢/٧٨٠)، الإكمال (٤/٢٧٣)، فتوح البلدان (٢/٢٥٥).

أسلمت الذمة وبطل ما يؤخذ منهم.

فأرسل إليه رسولاً وقال: اضرب حيان على رأسه ثلاثون سوطًا أدبًا على قوله، وقل له: من دخل في دين الإسلام فضع عنه الجزية، فوددت لو أسلموا كلهم، فإن الله سبحانه بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم داعيًا لا جابيًا.

وأمر أن يهدم بيع النصارى المستجدة(١).

فيقال: إنهم توصّلوا بعض ملوك الروم [٧] وسألوه في مكاتبة عمر بن عبدالعزيز، فكتب إليه:

أما بعد: فإن هؤلاء الشعث سألوا في مكاتبتك لتجري أمورهم على ما وجدها عليه وتبقي كنائسهم، وتمكنهم من عمارة ما خرب منها، فإنهم زعموا: أن من تقدمك فعل في أمر كنائسهم ما منعتهم منه.

فإن كانوا مصيبين في اجتهادهم فاسلك سننهم، وإن يكونوا مخالفين، فافعل ما أردت(٢) . فكتب إليه عمر رحمة الله عليه:

أما بعد: فإن مثلي ومثل من تقدمني كما قال الله تعالى في قصة داود وسليمان : ﴿**إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنّا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكمًا وعلمًا**﴾(٣).

---

(١) وذلك أن في الشروط العمرية التي أخذوها هم على أنفسهم: أنهم لا يحدثون في بلاد الإسلام كنيسة، وأن الكنائس التي تتصدع لا ترمم، فعلى هذا الشرط الذي اشترطوه، أمر عمر بن العزيز أن لا تبقى كنيسة استحدثت بعد تلك الشروط.

(٢) واضح من رسالة هذا الملك الرومي أنه منصف في عرضه وإن كان في كلامه استعلاء حيث وصفهم بالشعث وهو يتشفع لهم حيث أنهم كان بينهم وبين الروم ما كان قبل الإسلام فجاء الإسلام فأنصفهم منهم.

(٣) سورة الأنبياء (الآية : ٧٨ ، ٧٩) ومما قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : أثنى الله

وكتب إلى بعض عماله:

أما بعد: فقد بلغني [أن][1] في عملك كاتبًا نصرانيًا يتصرف في مصالح المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**﴾[2].

فإذا أتاك كتابي هذا، فادع حسان بن زيد يعني ذلك الكاتب- إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى لا تستعين به، ولا تتخذ أحدًا على غير دين الإسلام في شيء من مصالح المسلمين.

فأسلم حسان وحسن إسلامه.

❁ ❁ ❁

=

على سليمان ولم يذم داود.

قال الحسن البصري: إن الله اتخذ على الحكام ثلاثًا: أن لا يشتروا به ثمنًا قليلاً، ولا يتبعوا فيه الهوى، ولا يخشوا فيه أحدًا.

قلت: وهذا ما أراد أن يرمز إليه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بذكره هذه الآية في رسالته أي: أن لكل زمان فتواه التي تناسب ظروفه، وكل من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتبس، وإن اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، لأنه ما قصد إلى وجه الله لإحقاق الحق وأخيرًا يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿**إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾ [هود: ٨٨].

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) سورة المائدة: الآية (٧٥).

فصـــل

وأما [أبو][1] جعفر المنصور:

فإنه لما حج اجتمع جماعة من المسلمين إلى شبيب بن شيبة، وسألوه مخاطبة المنصور أن يرفع عنهم المظالم، ولا يمكن النصارى من ظلمهم، وعسفهم في ضياعهم ، ويمنعهم من انتهاك حرماتهم وتحزبهم ، لكونه أمرهم أن يقبضوا ما وجدوه لبني أمية.

قال شبيب: فطفت معه، فشبك أصابعه على أصابعي.

فقلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أكلمك بما في نفسي؟

فقال: أنت وذاك.

فقلت: إن الله كما قسم أقسامه بين خلقه لم يرض لك إلاّ بأعلاها وأسناها ، ولم يجعل فوقك في الدنيا أحدًا، فلا ترض لنفسك أن يكون فوقك في الآخرة أحدًا.

يا أمير المؤمنين اتق الله، فإنها وصية الله إليكم حادث، وعنكم قبلت، فإليكم تؤدى ، وما دعاني إلى قولي إلاّ محض النصيحة لك والإشفاق عليك وعلى نعم الله عندك، اخفض جناحك إذا علا كعبك، وابسط معروفك إذا غنى يديك.

يا أمير المؤمنين، إن دون أبوابك نيرانًا تأجج من الظلم والجور لا يعمل

---

(١) سقطت الكنية من المخطوط سهوًا، والمعروف أن المنصور هو أبوجعفر : عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس.

بويع بعد أخيه أبي العباس المعروف بالسفاح وكان يومها ببغداد فجعلها قاعدة حكمهم، وبقي واليًا إلى أن مات في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة وقد مات وهو متوجهًا إلى الحج ، ودفن في الطريق ببئر ميمون بقرب مكة، وله ثلاث وستون سنة، وكانت أمه أم ولد نفزية، وقيل: صنهاجية.

فيها بكتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

يا أمير المؤمنين سلطت أهل الذمة على المسلمين، ظلموهم، وعسفوهم، وأخذوا ضياعهم، وغصبوا أموالهم، وجاروا عليهم، واتخذوك [٨] سلمًا لشهواتهم، وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا يوم القيامة[١].

فقال المنصور : خذ خاتمي فابعث به إلى من تعرف من المسلمين وقال: يا ربيع، اكتب إلى الأعمال، واصرف من بها من [الكتبة من أهل][٢] الذمة، ومن أتاك به شبيب، فأعلمنا بمكانه لنوقع باستخدامه.

فقال شبيب: يا أمير المؤمنين ، إن المسلمين لا يأتوك، وهؤلاء الكفرة من حملتك إن أطاعوهم أغضبوا الله ، وإن أغضبوك أغروك بهم، ولكن تولى اليوم الواحدة[٣] عدة فكلما وليت عزلت آخر.

---

(١) كذا يكون العلماء إذا اقتربوا من الحكام ليخلصوا لهم النصح وليذكروهم نعم الله عليهم في رفق ولين وليخوفوهم، يوم مثولهم بين يديه على ظهورهم أوزارهم مع أوزار رعيتهم إن لم يرعوا فيها حق الله واتخذوها مغنمًا وأبهة وعزًا وجاها وبطرًا، وكيف تكون لهم سعادة وبشرًا وعزًا وهناءً إن هم قاموا بحقها ونصروا دين الله قدر طاقتهم وأنصفوا المظلوم من الظالم وأقاموا القسط بين الناس، فإن أجرهم سيكون مضاعفًا قدر ما كانت مسئوليتهم كبيرة جسيمة شاقة، فمن أراد الله به خيرًا منهم رزقه البطانة الصالحة مثل هذا الخليفة مع بطانته.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) ربما كان المراد بالواحدة، الكورة أو الولاية وما نسميه نحن الآن بالمحافظة، أو الاقليم، أو المنطقة.

وربما كان المقصود بالعدة أكثر من واحد إلى حين اختيار الأصلح.

وربما كان أصل العبارة: تولي الواحد عدة. أي: تولى الأمير عدة كور أو جهات إلى حين اختيار من يقوم بشأن كل كورة فتكون الهاء زائدة في كلمة "الواحدة" . والله أعلم.

فصـــل

وأما المهدي[1]:

فإن أهل الذمة في زمانه قويت شوكتهم، واجتمع المسلمون إلى بعض الصالحين وسألوه أن يعرفه بذلك، وينصحه وكان له عادة في حضور مجلسه، فاستدعى للحضور عند المهدي، فامتنع.

فجاء المهدي إلى مترله وسأله [عن][2] السبب في تأخره.

فقصّ عليه القصة، وذكر اجتماع الناس إلى بابه متظلمين من ظلم أهل الذمة، ثم أنشده:

بأمي وأمي ضاعت الأحـــلام ... أم ضاعت الأذهان والأفهام ؟

من صدّ عن دين النبي محمـــد ... وآله يأمر و[3] المسلمين قيام!!

---

(١) قال ابن حزم في رسالته أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم في ذكر ولاية المهدي: المهدي لقبه، واسمه محمد، وولي بعد المنصور ابنه أبوعبدالله محمد بن عبدالله. فلم يزل واليًا إلى أن مات سنة تسع وستين ومائة، فكانت ولايته عشر سنين وأشهرًا، إذ مات وله ثلاث وأربعون سنة بعيساباد.

أمه أم موسى بنت منصور الحميري، كانت من أهل قيروان إفريقية، فتزوجها هنالك فتى من ولد عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب كان خليعًا متخلعًا، فولدت له ابنة، وكان لها زوج قبله، خياط ولدت منه ولدًا، وبلغ ذلك قومها فنهض أبوجعفر المنصور بنفسه، وذلك في خلافة هشام بن عبدالملك، فدخل القيروان، فوجد الخياط قد مات أو طلقها، فتزوجها أبوجعفر، وأتى بها، فلما صارت الخلافة إليه سمُّوا ابن الخياط: طيفور.

وقالوا: هو مولى المهدي، وإنما كان أخاه لأمه.

وهو جد عبيدالله الله بن أحمد بن أبي طاهر مؤلف أخبار بغداد.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الواو ساقطة من المخطوط.

كأن لم تكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلام

ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، ثم سلمت الأمانة التي خصك الله بها إلى أهل الذمة دون المسلمين.

يا أمير المؤمنين، أما سمعت تفسير جدك لقوله تعالى: ﴿**ويقولون يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾[١].

إن الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. فما ظنك بأموال المسلمين، وأماناهم ، وأسرارهم ، وقد نصحتك، وهذه النصيحة حجة عليّ ما لم تصل إليك[٢].

---

(١) سورة الكهف (الآية: ٤٩).

(٢) وهذا الرجل الصالح كشبيب بن شبة صاحب المنصور إذ نصحه نصيحة مخلصة فعمل بها المنصور، وكذلك هذا عندما ذكر المهدي عمل بنصيحته.

فكثيرون هم الحكام الذين يسمعون لنصائح العلماء إذا أخلص العلماء لهم النصح ووافق ذلك منهم أذن صاغية وقلبًا مفتوحًا قد شرحه الله للعمل بكتابه وسنة نبيه.

وأنا لا أبرئ حكام اليوم من البعد عن الشرع ولكني ألوم أولا على العلماء إذ ضعف علمهم قبل أن يضعف إيمانهم فإنهم ليس عندهم ما ينصحون به الحكام إن غالبتهم ينظرون إلى أيدي الحكام وعطاياهم، ويخشون بطشهم وبسطة سلطانهم، ولكن هل توجه عالم مسلم بقلب سليم إلى الله في ليلة ثم أصبح متوكلاً على الله ووعظ حاكمًا موعظة تقع منه موقعًا ينتفع بها الحاكم وتفرج عن المحكومين وإن لم تنفعه فإنها لم تضر العالم فينقلب بنعمة من الله وفضل ولن يمسسه إن شاء الله سوء ، ولكن الحاصل أن الحاكم يقول أنا لا أعلم في الدين كما يعلم العلماء إنما أنا أداة تنفيذية ومجالس الشعب والشورى مجالس تشريعية وتضم هذه المجالس العلماء الشرعيين وإذا

فولى عمارة بن حمزة أعمال الأهواز، وكور دجلة، وكور فارس.

وقلد حمادًا أعمال السواد، وأمره أن يترل إلى الأنبار وإلى جميع الأعمال ولا يترك أحدًا من الذمة يكتب لأحد من العمال، وإن علم أن أحدًا من المسلمين استكتب أحدًا من النصارى قطعت يده.

فقطعت يد ساهونة، وجماعة من الكتاب. وكان للمهدي على بعض ضياعه كاتب نصراني بالبصرة فظلم الناس في معاملته فتظلم المتظلمون إلى سوار ابن عبدالله القاضي فاحضر وكلاء النصراني، فأخذ كتاب المهدي إلى القاضي سوار بالتثبت في أمره، فجاء البصرة ومعه الكتاب، وجماعة من جهة النصراني وجاؤوا إلى المسجد، فوجدوا سوار [٩] جالسًا للحكم بين المسلمين.

فدخل المسجد وتجاوز الموضع الذي كان يجب الوقف عنده، فمنعه الخدم فلم يعبأ بهم وسبهم، ودنا حتى جلس عن يمين سوار ودفع الكتاب فوضعه بين يديه ولم يقرأه. وقال ألست نصرانيًا. قال: بلى أصلح الله القاضي فرفع رأسه وقال جروه برجله.

فسحب إلى باب المسجد وأدبه تأديبًا بالغًا، وحلف أن لا يتزوج

=

توجه بالسؤال إلى عالم عن أمر من أمور الدين أجابه بما يوافقه ويكتفي الحكام بالمشاركة في المناسبات الإسلامية كالأعياد، وأيام رمضان، وليالي الإسراء والمعراج، والنصف من شعبان وليلة القدر، ويقوموا بتوزيع الجوائز على المتفوقين في العلوم الشرعية.

وهم بهذا يظنون أنهم قاموا بما هو واجب عليهم نحو دينهم، والعلماء يؤكدون لهم على ذلك فأين هؤلاء العلماء الذين نصحوا للمنصور والمهدي والرشيد وغيرهم فصلحوا وأصلحوا؟

اللهم أعد إلى دينك علماءه لتصلح الحكام والرعية، اللهم آمين.

واقفًا[1] حتى يوفي المسلمين حقوقهم.

فقال له كاتبه: قد بلغت اليوم أمرًا يخاف أن يكون له عاقبة.

فقال: أعز أمر الله يعزك الله[2].



(١) كذا العبارة بالمخطوط، وربما كان المراد بالواقف الأعزب . والله أعلم. فإني لا أعرف معنى العبارة على وجه اليقين.

(٢) نعم الرد ممن يثق بربه، حتى لا يخوف أحد بمن هو دون الله.

فصـــل

وأما هارون الرشيد[١]:

فإنه لما قلد الفضل بن يحيى أعمال خراسان وجعفر أخاه ديوان الخراج، وأمرهما بالنظر في مصالح المسلمين، فعمرت المساجد والجوامع والصهاريج والسقايات، وجعل مكاتبًا[٢] لليتامى.

وصرف الذمة عن أعمالهم واستعمل عوضًا منهم، وغير زيهم، وخرب الكنائس.

وأفتاه بذلك علماء الإسلام.



---

(١) قال ابن حزم في رسالته أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم في ذكر ولاية الرشيد: وولي بعد الهادي أخوه: أبوجعفر هارون بن محمد، فلم يزل واليًا إلى أن مات بطوس من خراسان ، وهنالك قبره.

وكان يحج عامًا ويغزو عامًا، وهو آخر خليفة حج في خلافته، وحج من بعده كثير من قبل ولايتهم.

وقد سكن الرَّقّة، والحيرة، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة.

وكانت مدة ولايته ثلاثًا وعشرين سنة وشهرًا.

ومات وله ست وأربعون سنة، وهو شقيق أخيه موسى.

(٢) جاء قبل هذه الكلمة حرف: "في" وهو زائد على السياق فحذفته.

فصـــل

أما المأمون[1]:

فقال عمرو بن عبدالله الشيباني: استحضرني المأمون في بعض لياليه، ونحن بمصر، فقال لي: إني قد كثرت عليَّ سعايات النصـــارى وتظلمـــت المسلمين منهم وخانوا السلطان ماله.

ثم قال: يا عمرو من أين أصل هؤلاء القبط؟

فقلت: هم بقية الفراعنة الذين كانوا بمصر، وقد نهى أمـــير المؤمنـــين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن استخدامهم.

فقال: صف لي كيف كان تناسلهم في مصر؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، لما أخذت الفرس الملك من أيدي الفراعنـــة، قتلوا القبط، فلم يبق منهم إلاّ ما أطبعته يد الهرب واختفى بأرضنا وغيرها.

فتعلموا (....)[2] وكتاباً فلما ملكت الروم ملك الفرس كانوا سبباً في إخراج الفرس عن ملكهم، وأقاموا في مملكة الروم إلى أن ظهـــرت دعـــوة المسيح.

---

(١) قال ابن حزم في الرسالة السابق الإشارة إليها في ذكر ولاية المأمون: وولي بعد الأمين أخوه: أبوالعباس عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي.
فلم يزل واليًا إلى أن مات غازيًا بأرض الروم، وقبره بطرسوس.
وكانت ولايته عشرين سنة وأشهراً، ومات وله ثمان وأربعون سنة.
وكانت وفاته سنة ثماني عشرة ومائتين يوم الخميس في نصف رجب، وكان يرى حب آل البيت، ولا يعطي من أعرض عنهم أو عرض بهم رخصةً.
فقيل: كان يتشيع.
أمه أم ولد اسمها: مراجل بادغيسية خراسانية، تركيـــة. وفي أيامـــه افتتـــح المسلمون صقلية، وإقريطش.

(٢) كلمة لم أتبين قراءتها هذا رسمها (لما).

وفيهم يقول خالد بن صفوان[1] من قصيدة له يمدح بها عمرو[2] بن العاص رضي الله عنه ويحثه على قتلهم ويغريه بهم شعراً:

يا عمرو قد ملكت يمينك مصرنا وبسطت فينا العدل والإقساطا
فاقتل بسيفك من تعدى طوره واجعل فتوح سيوفك الأقباطا
أقيهم الجور في جنباتها ورأى الأنام البغي والإفراطا

وبقي في نفس المأمون منهم.

فلما عاد إلى بغداد اتفق لهم مجاهرة في بغداد بالبغي والفساد على معلمه الإمام على بن حمزة الكسائي.

فلما قرأ عليه المأمون، ووصل إلى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾[3].

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢٧/٦): خالد بن صفوان بن الأهتم، العلامة البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان، المنقري، الأهتمي، البصري.
وقد وفد على عمر بن عبدالعزيز. ولم أظفر له بوفاة، إلاّ أنه كان في أيام التابعين.
روى عنه: شبيب بن شيبة، وإبراهيم بن سعد، وغيرهما.
وهو القائل: ثلاثة يعرفون عند ثلاثة. الحليم عند الغضب، والشجاع عند اللقاء، والصديق عند النائبة.
وقال: أحسن الكلام ما لم يكن بالبدوي المغرب، ولا بالقروي المخدّج. ولكن ما شرفت منابته، وطرفت معانيه، ولذّ على الأفواه، وحسن في الأسماع، وازداد حسنًا على مر السنين، تُحنحنُه الدواة، وتقتنيه السَّرَاة.

(٢) في المخطوط: عمر، وهو تحريف أو سهو من الناسخ، وهو أشهر من نار على علم رضي الله تعالى عنه.

(٣) سورة المائدة (الآية: ٥١).

[١٠] قال الكسائي[1]: يا أمير المؤمنين أتقرأ كتاب الله ولا تعمل به؟!

فأمر المأمون إحضار الذمة.

فكان عدة من صرف وسجن ألفين وثمانمائة وبقي جماعة من اليهود منحازين إلى حماية بعض جهاته فخرج توقيعه ما نسخته:

أخبث الأمم اليهود، وأخبث اليهود السامرة، بنو فلان، فليقطع ما بأسمائهم من ديوان الجيش والخراج إن شاء الله.

ودخل بعض الشعراء على المأمون، وفي مجلسه يهودي جالس، فأنشده:

يا ابن الذي طاعته في الورى وحكمه مفتـــرض واجب

إن الذي عظمت من أجلـــه يزعم هذا أنـــه كـــاذب

فقال المأمون: أصحيح ما يقول؟

قال: نعم. فأمر بقتله.

❁ ❁ ❁

---

(١) على بن حمزة الكسائي هو أحد القراء السبعة المشاهير، وهو بحر لا يجارى في القراءات، قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣١/٩): الكسائي: الإمام شيخ القراءة والعربية أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، الكوفي، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه.

تلا على ابن أبي ليلى عَرْضًا ، وعلى حمزة . وتلا على عيسى بن عمر المقرئ.

واختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع .. قال ابن الأنباري : اجتمع فيه: أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وأوحدهم في علم القرآن، كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم، ويجلس على كرسي ويتلو وهم يضبطون عنه حتى الوقوف.

فصـــل

وأما المتوكل[١]:

فإنه صرف أهل الذمة من الأعمال وغير زيهم في مراكبهم وملابسهم.

وذلك أن المباشرين منهم للأعمال كثروا في زمانه وزادوا على الحد وغلبوا على المسلمين بخدمة أمه وأهله وأقاربه ، وذلك في سنة خمس وثلاثين ومائتين فكانت الأعمال الكبار كلها أو عامتها إليهم في جميع النواحي، فكانوا قد أوقعوا في نفس المتوكل من مباشرين المسلمين شيئًا، وأنهم بين مفرط وخائن.

وعملوا أعمالاً بأسماء المسلمين وأسماء بعض الذمة لينفوا التهمة.

وأوجبوا باسم كل واحد منهم مالاً كثيرًا.

وعرض على المتوكل فأتى بهم، وظن [أن][٢] ما أوجبوه من ذلك حقًا. وأن المال في جهاتهم كما أوجبوه.

ودخل مسلمة بن سعد النصراني على المتوكل، وكان يأنس به ويحاضره فقال: يا أمير المؤمنين أنت في الصحارى والصيد وخلفك معادن الذهب والفضة ومن يشرب في آنية الذهب والفضة ويملأها ذهبًا عوضًا عن الفاكهة[٣].

---

(١) قال ابن حزم في رسالته في الولاة ، في ذكر ولاية المتوكل : وولي بعد الواثق أخوه : أبوالفضل جعفر بن محمد بن هارون بن محمد، فأقام واليًا إلى أن قتل ليلة الأربعاء لأربع خلون لشوال سنة سبع وأربعين ومائتين.
تولى قتله: باغر، ويجن التركيان غدرًا في مجلسه، بأمر ابنه المنتصر.
فكانت ولايته خمسة عشر عامًا غير شهرين وقتل وهو ابن اثنتين وأربعين عامًا. أمه أم ولد، اسمها: شجاع، تُركية.

(٢) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٣) انظر إلى بطانة السوء ومن هم على غير دين الإسلام ، كيف يكون

فقال له: المتوكل: عند من؟

فقال: عند الحسين بن مخلد، وأحمد بن إسرائيل، وموسى بن عبدالملك، وميمون بن هارون، ومحمد بن موسى.

وكل واحد من هؤلاء اسمه ثابت في العلم المقدم ذكره المرفوع للمتوكل.

فقال له المتوكل: ما تقول في عبدالله بن يحيى؟

فسكت.

فقال: بحياتي[1] عليك قل لي ما عندك؟

فقال : قد حلفتني بحياتك ولابد لي من صدقك على كل حال، والله يا أمير المؤمنين لقد صاغ له صوالج[2] واكد من ثلاثين ألف دينار.

=

نصحهم لولاة الأمر ، وانظر أيضًا عند ما يحرضوهم على من! يحرضون، على رؤوس القوم وساداهم وأهل العلم والرأي فيهم حتى يخلو لهم الجو ممن يمكن أن يكشفهم للعوام أو ينبه الحكام إلى خطرهم وسوء نواياهم وخططهم التخريبية للقضاء على قوة الإسلام والمسلمين وإضعاف شوكتهم وإفشاء أسرارهم وكشف خططهم لأعدائهم.

إلا أن الله كشف هذا الدعي الكاذب ودحض حجته وكشف عواره وغشه، وخداعه وكذبه وخبثه.

(١) إذا كان هذا قسم فهو لا يجوز ، وأما إذا كان كقولهم بحقي عليك فلا بأس به، وإن كان فهم الآخر أنه قسم لكونه غير مسلم.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة صلج: .... الصَّوْلَجَ والصَّوْلَجَانُ والصَّوْلَجَانُ والصَّوْلَجَانَة: العود المعوج.... والجمع صوالجة -الهاء لمكان العجمة-، قال ابن سِيْدَه: وهكذا وجد أكثر هذا الضرب الأعجمي مكسرًا بالهاء. وفي التهذيب : الصولجان عصًا يعطف طرفها يضرب ها الكرة على الدواب. فأما العصا التي اعوج طرفاها خلقة في شجرها فهي مِحْجَن.

وقال الأزهري: الصولجان، والصَّوْلَجُ والصُّلَّجَةُ: كلها معربة. وقال =

فقلت له: أمير المؤمنين يضرب كرة من جلود بصولجان من خشب، وأنت تضرب كره من فضة بصولجان من فضة.

فالتفت المتوكل إلى الفتح بن خاقان[1]، وقال: ابعث فأحضر هؤلاء، وضيق عليهم، فحضرت جماعة الكُتاب، وعلموا ما وقع فيهم من الكافر.

فاجتمعوا إلى عبدالله بن [١١] يحيى، فأنفذ معهم كتابه إلى مسلمة، وعاتبه فيما جرى منه فحلف أنني لم أفعل ما فعلته إلاّ على سكر، ولم أقل ما قلته عن حقيقة فأخذ خطه بذلك.

فدخل عبدالله بن يحيى على المتوكل، وعرفه ما تممه أهل الذمة على

=

الجوهري: الصَّوْلَجَانُ : يفتح اللام المحجن فارسي معرب.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢ /٨٢) : الفتح بن خاقان الأمير الكبير الوزير الأكمل، أبومحمد التركي، شاعر مترسل بليغ مفوّه ذو سؤدد وجُود ومحاسن على لعب فيه.

وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه. استوزره، وفرض إليه إمرة الشام، فبعث إليها نُوَّابًا عنه.

وله أخبار في الكرم والظرف والأدب. ولما قدم المتوكل إلى دمشق، كان الفتح زميله على جمازة (أي ناقة سريعة).

حكى عنه: المبرد، وأحمد بن يزيد المؤدب. وكان أحد الأذكياء، دخل المعتصم على الأمير خاقان، فمازح ابنه هذا، وهو صبي، فقال: يا فتح، أيُّما أحسن داري أو داركم؟

فقال الفتح: دارنا إذا كنت فيها. فوهبه مائة ألف. وكان الفتح ذا باع أطول في فنون الأدب. قتل مع المتوكل سنة سبع وأربعين ومن مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٣٨٩/١٢)، معجم الأدباء (١٧٤/١٦)، شذرات الذهب (٢/ ١١٤)، الوافي بالوفيات (١٧٧/٣، ١٧٩)، النجوم الزاهرة (٣١٣/٢، ٣٢٤)، الكامل في التاريخ (٩٤/٦، ١٤٠).

المسلمين وغيرهم، وأوقفة على خط مسلمة، وقال: هذا قصده أن تخلوا أركان دولة أمير المؤمنين من الكتاب المسلمين، ويتمكن هو ورهطه منها.

وكان المتوكل قد جعل في مركبه من يأخذ المتظلمين ويحضرهم بين يديه على خلوة.

فأحضر بين يديه شيخ كبير ، فذكر أنه من أهل دمشق، وأن سعيد بن عون النصراني غصبه داره.

فلما وقف المتوكل على قصة الشيخ اشتد غضبه، إلى أن كادت تطير أزراره[1].

وأمر أن يكتب إلى صالح عامله برد داره قال الفتح بن خاقان: فقمت ناحية لأكتب له بما أمرني ، فاتبعني رسولاً يستحثني فبادرت إليه، فلما

---

(١) وحكى ابن الأثير في الكامل في ذكره لسيرة المتوكل وما حدث في ولايته فذكر أنه في سنة (٢٣٥) أمر أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية، وشد الزنانير، وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السروج، وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحدة منها قدر أربع أصابع، ولون كل واحدة منها مخالف للأخرى.
ومن خرجت من نسائهم تلبس إزارًا عسليًا. ومنعهم من لباس المناطق.
وأمر بهدم بيعهم المحدثة، ويأخذ العشر من منازلهم، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب.
ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان، ولا يعلمهم مسلم.
وأن لا يظهروا في شعانينهم صليبًا ...
وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض، وكتب في ذلك إلى الآفاق.
ثم ذكر في حوادث سنة تسع وثلاثين ومائتين: أنه أمر أهل الذمة بلبس درعتين عسليتين في الأقبية، والدراريع.
والاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين.

وقـــف على الكتاب زاد فيه بخطه:

نفيت[1] عن العباس لئن خالفت فيما أمرت به لأوجهن من يجيؤني برأسك، ووصل الشيخ بألف دينار ، وبعث معه حاجبًا، وكثر تظلم الناس من كتاب أهل الذمة، وتتابعت الإغاثات، وحج المتوكل تلك [السنة][2] فرأى رجل يطوف بالبيت ويدعو على المتوكل، فأخذه الحرس وجاؤوا به سريعًا فأمر بمعاقبته.

فقال له: يا أمير المؤمنين، ما قلت ما قلته إلاّ وقد أيقنت بالقتل، فاسمع كلامي ومرْ بقتلي.

فقال: قُل.

فقال: سأطلق لساني بما يرضي الله ورسوله ويغضبك، إن أمير المؤمنين قد اكتنفت دولته كتاب من الذمة أحسنوا الاختيار لأنفسهم وأساؤوا الاختيار للمسلمين، وابتاعوا دنياهم بآخرة أمير المؤمنين، خفتهم و لم تخف الله، وأنت مسؤل عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أخس الناس صفقة يوم القيامة من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته، واذكر ليلة تمحص صبيحتها عن يوم القيامة وأول ليلة يخلو المرء في قبره بعمله.

فبكى المتوكل إلى أن غشي عليه وطلب الرجل فلم يوجد[3].

---

(١) كذا في المخطوط : وربما كان معناها : عزمت على العباس وما هو في معنى ذلك والله أعلم.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) فهذا رجل من عوام المسلمين وعظ أمير المؤمنين وهو يعلم أنه سيقتلـــه، فما كان منه إلا أن أنجاه الله وانتصح بقوله الخليفة وحسن حال الرعية، فرحم الله كل من وجه النصح للمسلمين وحكامهم آمين.

فخرج أمره بكبس[1] النصارى واليهود بباب العلي، وأن لا يمكنوا من لبس البياض لئلا يتشبهوا بالمسلمين ، ولتكن ركبهم خشبًا، وأن تهدم بيعهم المستجدة، وأن تطبق عليهم الجزية، ولا يفسح لهم في دخول حمامات المسلمين، وأن تفرد لهم حمامات خدمها ذمة، ولا يستخدموا مسلمًا في حوائجهم لنفوسهم[2].

وأفرد لهم من تحتسب عليهم، وكتب كتابًا [١٢] نسخته:

أما بعد: فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينًا فشرفه، وكرمه، وأناره، ونصره ، وأظهره، وفضله وأجله، فهو الدين الذي لا يقبل غيره قال تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل [منه] وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[3].

بعث به صفيه وخيرته من خلقه محمدًا صلى الله عليه وسلم، فجعله خاتم النبيين، وإمام المتقين وسيد المرسلين: **﴿لينذر من كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين﴾**[4] .

---

(١) ربما كان المراد بهذه الكلمة حشر، أو حشد أو جمع اليهود والنصارى بذلك الموضع.

(٢) لم يذكر لنا ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ والذي ذكرنا عنه ما ذكرنا من قبل سبب فعل المتوكل بهم ذلك، ومن هنا يظهر السبب الذي من أجله فعل بهم ذلك.
كما أني اعترضت في الكتاب السابق (منهج الصواب) على إلزامهم بركوب دوابهم عن شق، غير أني قلت: إنه ربما كان ذلك عقوبة لهم على فعل عملوه رأي الحاكم أن من الناسب معاقبتهم بهذه الطريقة التي تبدو لنا عجيبة ولو عايشنا ملابساتها لرأينا أنها مناسبة جدًا لذلك الفعل.

(٣) سورة آل عمران (الآية: ٨٥) وما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ.

(٤) سورة يس (الآية: ٧٠).

وأنزل كتابًا عزيزًا: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾[1].

أسعد به أمته، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله: ﴿**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**﴾[2].

وأهان الشرك وأهله ووضعهم وصغرهم وقمعهم وخذلهم وتبرأ منهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وقال سبحانه: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾[3].

---

(١) سورة فصلت (الآية: ٤٢).

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٠).

(٣) سورة التوبة (الآية : ٢٩) وقال ابن كثير في تفسيره : هذه الآية الكريمة أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجًا، واستقامت جزيرة العرب، أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وكان ذلك في سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك ، وأظهره لهم، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم، فأوعبوا معه، واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفًا، وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم، وكان ذلك في عام جدب ووقت قيظ وحر، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الشام لقتال الروم فبلغ تبوك فنزل بها وأقام بها قريبًا من عشرين يومًا ثم استخار الله في الرجوع فرجع عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس .... وقوله : ﴿**حتى يعطوا الجزية**﴾ أي: إن لم يسلموا ﴿**عن يدٍ**﴾ أي: عن قهرهم وغلبة: ﴿**وهم صاغرون**﴾ أي: ذليلون حقيرون مهانون؛ فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة، ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه =

وطبع على قلوبهم ، وخبث سرائرهم وضمائرهم، فنهى عن ائتمانهم والثقة بهم لعداوتهم للمسلمين وغشهم ونقصانهم، فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنّا [لكم] الآيات إن كنتم تعقلون﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا﴾**[2].

وقال: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاَّ أن تتَّقُوا منهم تقاةً ويحذركم الله نفسه﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي**

=

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**".

ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وإصغارهم وتحقيرهم، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ، من رواية عبدالرحمن بن غنم الأشعري قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى من أهل الشام : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب لعبدالله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا، فذكر المصالحة والشروط المعروفة بالشروط العمرية، وراجعها بتمامها أن شئت في كتاب أحكام أهل الملل للخلال بتحقيقي (٣٥٧): (١٨٥-باب جامع الشروط الواجبة عليهم، المسألة رقم ١٠٠٠).

(١) سورة آل عمران (الآية: ١١٨) وما بين المعقوفين سقط سهواً من الناسخ.

(٢) سورة النساء (الآية: ١٤٤).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ٢٨).

القوم الظالمين﴾[1].

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسًا لا رأي لهم ولا رؤى يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم ، ويتخذونهم بطانة من دون المؤمنين ويسلطونهم على الرعية فيعقونهم ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم، فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأنكره وتبرأ منه وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسمه والنهي عنه، ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور، والأمصار، وولاة الثغور، والأجناد، في ترك استعمالهم للذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم والإشراك بهم في أماناتهم وقد قلدهم [١٣] أمير المؤمنين واستحفظهم إياه إذ جعل في المسلمين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين وحسن الرعاية لما استرعاهم والكفاية لما استكفوا والقيام بما حملوا ما أغنى الاستعانة بالمشركين بالله المكذبين برسله الجاحدين الأمانة الجاعلين معه إلهًا آخر لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

ورجا أمير المؤمنين بما ألهمه الله من ذلك وقذف في قلبه [أن][2] يزيل الشرك وحزبه فليعلم هذا من رأي أمير المؤمنين ولا يستعان بأحد من المشركين وإنزال أهل[3] الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها.

فاقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعه فيهم، ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت [أنت أو][4] أحد من عمالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل.

والسلام،

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) في المخطوط: هذه. وأحسبه تحريف والله أعلم.

(٤) ما بين المعقوفين من قول المحقق، وفي المخطوط: استعنت ولا أحد من عمالك، وإنما استبدلت ذلك لإيضاح المعنى.

فصــــل

وأما المقتدر بالله[1]:

فإنه في سنة خمس وتسعين ومائتين عزل كتاب النصارى وعمالهم، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة، حتى أمر بقتل ابن ياسر النصراني عامل يونس الحاجب، وكتب إلى عماله بما نسخته: عوائد الله عند أمير المؤمنين توفى على عادة رضاه، ونهاية أمانيه وليس أحد يظهر عصيانه إلاّ جعله الله عظة للأنام وبادره بعاجل الاصطلام، والله عزيز ذو انتقام، فمن نكث وطغى، وبغى وخالف أمير المؤمنين بسطوته وطهر من رجسه دولته والعاقبة للمتقين.

وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل الذمة، فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيه.

---

(١) قال ابن حزم في رسالته أسماء الخلفاء والولاة في ذكره لولاية المقتـــدر: وولي بعد المكتفي أخـــوه: أبوالفضل جعفر بن أحمد وله أربعة عشر سنة ولم يلِ إمْرَة المؤمنين أحد إلى يومنا هذا أصغر منه. وفي أيامه فسدت الخلافة ورقت أمور الإسلام وظهرت غالية الروافض الكفرة ، فغلبوا على كثير من البلاد وتسموا بإمرَة المؤمنين، وسلك سبيلهم في ذلك من تغلب على الأندلس من ولد هشام بن عبدالملك بن مروان، وكانوا قبل ذلك يتوقفون على التسمي بذلك ولا يتعدون التسمي بالإمْرَة فقط، وسلك سبيلهم في ذلك في زماننا من تغلب على بعض الجهات من ولد أمير المؤمنين الحسين بن على رضي الله عنهما ، واختل النظام جملة.
فلم يزل واليًا إلى أن قتل في شوال سنة عشرين وثلاثمائة، يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال في حرب مؤنس الخادم ، إذ قام عليه وسنه ثمان وثلاثون سنة وأشهر. وكانت ولايته خمسًا وعشرين سنة غير شهرين.
أمه أم ولد اسمها: شغب. وفي أيامه ملك الروافض الغالية إفريقية كلها وغلب القرامطة الكفرة على مكة وقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الناس في الطواف فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فصـــل

وكذلك الراضي بالله[1]:

---

(١) وقال ابن حزم أيضًا في المصدر السابق: وولي بعد القـــاهر ابـــن أخيـــه: أبوالعباس: محمد بن جعفر بن المقتدر، فأقام واليًا إلى أن مات ليلة الســبت النصف من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

وكانت ولايته سبع سنين غير شهر واثنين وعشرين يومًا، وكانت ســنّه إذ مات إحدى وثلاثين سنة وشهرًا.

أمه: أم ولد اسمها: ظلوم. وفي أيامه كثر المتغلبون، فتغلب على كل ناحيــة مُتَغَلِب ومتغلب عليه وعلى من بعده من الخلفاء، وفسد الأمر إلى هلمّ جرًّا.

وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ في أحداث ســـنة تســع وعشــرين وثلاثمائة: وفي هذه السنة مات الراضي بالله أبوالعباس أحمد بـــن المقتــدر، منتصف ربيع الأول. وكانت خلافته ست سنين، وعشرة أشهر، وعشـــرة أيام، وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة، وستة أشهر، وكانت علته الاستسقاء، وكان أديبًا شاعرًا فمن شعره:

يصفر وجهي إذا ما تأمَّلَتْهُ ... طرفي ويحمرُّ وجهه خجلا

حتى كأن الذي بوجنته ... من دم جسمي إليه قد نقلا

.... ومن شعره أيضًا:

كـــل صفـــو إلى كـــدر ... كل أمـــن إلى حـــذرْ

ومصـــير الشـــباب للـــ ... ـمـــوت فيـــه أو كـــبرْ

درَّ درُّ المشـــيب مـــن ... واعـــظ ينـــذر البشـــر

أيهـــا الأمـــل الــــذي ... تـــاه في لجـــة الغـــررْ

أين مـــن كـــان قبلنـــا؟ ... درسَ العـــين والأثـــر

ســـيرد المعـــاد مـــن ... عمـــره كلـــه خطـــرْ

رب إني دخـــرت عنـــ ... ـــدك أرجوك مدخـــرْ

إننـــي مؤمـــن بمـــا ... بين الوحي في الســـورْ

=

كثرت الشكاية من أهل الذمة في زمانه ، فكتب إليه الشعراء في ذلك فممن كتب: مسعود بن الحسين الشريف البياضي:

يا ابـــن الخلائـــق مـــن قريـــش ... والأولى طهرت أصولهم من الأدناس
قلدت أمـــر المســـلمين عدولهـــم ... وما هكذا فعلـــت بنـــو العبـــاس
حاشـــاك مـــن قـــول الرعيـــة ... أنـــه نـــاس لقـــاء الله أو متنـــاس
أتقول كانوا وفـــروا الأمـــوال إذ ... خـــانوا بكفرهـــم إلـــه النـــاس
لا تذكرن أحصاهم ما وفروا ظلماً ... وتنســـى محصـــي الأنفـــاس
وخف الإله غداً إذا وفـــت بما ... كسبت يداك اليـــوم بالقســـطاس
في موقف ما فيـــه إلا شـــاخص ... أو مهطـــع أو مقنـــع لـــلراس
أعضاؤهم هم الشهود وشـــجنهم ... نار وحارســـهم شـــديد البـــاس
أن تمطل اليوم الديون مع الغنـــى ... فغـــداً تؤديهـــا مـــع الإفـــلاس
لا تقتدر عـــن صرفهـــم بتعـــذر ... المتصرفـــين الحـــذق الأكيـــاس
ما كنت تفعل بعده لو اهلكـــوا ... فافعل وعد القـــوم في الأرمـــاس

وكتب إليه وقد صرف ابن فضلان اليهـــودي [١٤] بـــابن مـــالك النصراني:

أبعد ابن فضلان تولي ابن مـــالك ... بماذا غدا تعتـــل عنـــد ســـؤالكا
خف الله وانظر في صحيفتك الـــتي ... حوت كلما قدمته مـــن فعالكـــا
وقد خطها فيها الكاتبون فأكثروا ... ولم يبـــق إلا أن يقولـــوا فذالكـــا
فوالله مـــا تـــدري إذا ما لقيتهـــا ... أتوضع في يمنـــاك أم في شمالكـــا

❁ ❁ ❁

=

واعـــترافي يـــترك نفـــ ... ـــعي وإيثـــار الضـــررْ
ربِّ فاغفـــر لـــي الخطيـــ ... ـــئة يا خير من غفـــرْ

فصـــل

وكذلك في أيام الآمر بأمر الله:

امتدت أيدي النصارى وبسطوا أيديهم بالخيانة، وتفننوا في أذى المسلمين وإيصال المضرة إليهم، واستعمل منهم كاتب يعرف بالراهب وهب القديس الروحاني النفيس أب الآباء وسيد الرؤساء مقدم دين النصرانية، وسيد البطركية، صفي الرب ومختاره، ثالث عشر الحواريين[1].

فصادر اللعين عامة من بالديار المصرية من كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم فخوفـه بعض مشايخ الكتاب من خالقه وباعثه ومحاسبه، وحذره من سوء عواقب أفعاله، وأشار عليه بترك ما يكون سببًا لهلاكه.

وكان جماعة من كتاب مصر وقبطها في مجلسه، فقال مخاطبًا له؛ ومسمعًا للجماعة: نحن مُلاك هذه الديار حربًا وخراجًا، ملكها المسلمون منا وتغلبوا عليها وغصبوها واستملكوها من أيدينا ، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا ولا يكون له نسبة إلى من قتل من رؤسائنا وملوكنا في أيام الفتوح، فجميع ما نأخذه من أموال المسلمين، وأموال ملوكهم وخلفائهم حلٌّ لنا، وبعض ما نستحقه عليهم، فإذا حملنا لهم مالاً كانت المنة لنا عليهم، وأنشد:

بنت كرم غصبوها   وأهانوها فديست بالقدم
ثم عادوا حكَّموها   فلناهيك بخصم قد حكم

فاستحسن الحاضرون من النصارى والمنافقين ما سمعوه منه واستفادوه،

---

(١) كل ما سبق ذكر من أوصاف هي رتب ودرجات كهنوتية كنسية تقوم عليها كنائس النصارى في مللهم الثلاثة الكاثوليك، والأرثوذكس والبروتستنت.

وعضوا عليه بالنواجذ[1].

حتى قيل إن الذي احتاط عليه قلم اللعين من أملاك المسلمين مائتا ألف واثنان وسبعون ألف ومائتي دينار، وحانوت، وأرض بأعمال الدولة إلى أن أعادها إلى أصحابها: أبوعلي بن الأفضل.

ومن الأموال ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى .

ثم انتبه الأمير من رقدته، وأفاق من سكرته وأدركته الحمية الإسلامية، والغيرة المحمدية ، فغضب لله غضبة ناصر الدين وثائر للمسلمين، فألبس أهل الذمة الغيار، وأنزلهم بالمنزلة التي أمر الله أن ينزلوا بها من الذل والصغار، وأمر أن لا يولوا شيئًا من أعمال الإسلام، وأن ينشأ في ذلك كتابًا يقف عليه الخاص والعام، وكتب عنه [ما][2] نسخته:

الحمد لله المعبود في أرضه وسمائه والمجيب من يدعو بأسمائه، المنفرد بالقدرة القاهرة ، المتوحد بالقوة الظاهرة، وهو الله [١٥] الذي لا إلا هو له

---

(١) هذا الذي تعلل به مغالطات تنطلي على ضعاف العقول وسفهاء الناس ورعاعهم ويوافق عليها مع العلم بغلطها من له غرض وقد ملأ قلبه النفاق والتملق إلى من بيده سلطة دنيوية أما العقلاء والفطناء لا تنطلي عليهم، فأبسط ما هو معلوم لطلاب المدارس أن المسلمين إنما دخلوا مصر حين استغاث بهم النصارى من ظلم الرومان وتنكيلهم بهم وفعل ما نسبه هذا إلى حكام المسلمين.

فجاء المسلمون ونصروهم وأنصفوهم منهم، ثم أسلم أهل مصر طائعين راضين بالإسلام بعد أن رأوا محاسنه ومآثره وفضائله وصحة دعوته وموافقتها للفطر السليمة، وبقي من بقي منهم على نصرانيته، فأين هذا الظلم والجور الذي ادعاه هذا الأفاك الأثيم الداعي إلى الافساد في الأرض بعد إصلاحها وتبرير ما يقوم به من أعمال بقصد التنكيل بالإسلام وأهله؟

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

الحمد في الدنيا والآخرة ، هدى العباد بالإيمان إلى سبيل الرشاد ، ووفقهم في الطاعات لما هو أنفع زاد في المعاد، وتفرد بعلم الغيوب، فعلم من كل عبد إضماره كما علم تصريحه، يسبح له ما في السماوات والأرض، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه، الذي شرف دين الإسلام وعظمه، وقضى بالسعادة الأبدية لمن انتحاه وتيممه، وفضله على كل شيء سبقه، وعلى كل دين تقدمه، فنصره وخذلها، وأشاده وأخملها، ورفعه ووضعها، ووطده وضعضعها، وأبى أن يقبل دينا سواه من الأولين والآخرين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [1].

وشهد به لنفسه، وأشهد به ملائكته وأولو العلم: ﴿**قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم* إنَّ الدين عند الله الإسلام**﴾ [2] .

ولما ارتضاه لعباده وأتم عليهم به نعمته وأكمله لهم، وأظهره على الدين كله وأوضحه إيضاحًا مبينًا، فقال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾ [3].

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ٨٥) وقال ابن كثير في تفسيرها: أي من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله، فلن يقبل منه ﴿**وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**".

(٢) سورة آل عمران الآية (١٨، ١٩).

(٣) سورة المائدة (الآية : ٣) وقال ابن كثير في تفسيره : هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا

وفرق به بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الهدى والضلال، وأهل البغي والرشاد، فقال تعالى: ﴿**فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنّما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**﴾ (١).

وأمر تعالى بالثابت عليه إلى الممات، فقال وبقوله يهتدي المهـــتدون: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ (٢).

وهي وصية إمام الحنفاء لبنيه وإسرائيل: ﴿**يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون**﴾ (٣).

=

خلف كما قال تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً**﴾ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾ أي : فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتـــــــبه وقال على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يـــــحتاجون إلى زيادة أبدًا ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة و لم يترل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمات.

(١) سورة آل عمران (الآية: ٢٠).

(٢) سورة آل عمران: (الآية: ١٠٢).

(٣) سورة البقرة (الآية: ١٣٢، ١٣٣).

وشهد على الحواريين عبدالله ورسوله وكلمته عيسى ابن مريم، وهو الشاهد الأمين قال تعالى: **﴿فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال: من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار إلى قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾**[1].

وأمر تعالى رسوله أن يدعو أهل الكتاب إليه ويشهد من تولي منهم (...)[2] عليه، فقال: تعالى وقوله الحق المبين: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا تعبدوا إلاّ الله ولا تشركوا به شيئًا ولا**

---

(١) سورة آل عمران (الآية : ٥٢) قال ابن كثير في تفسيره: أي: استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال: من أنصاري إلى الله؟ قال مجاهد : أي : يتبعني إلى الله ، وقال سفيان الثوري وغيره : أي : من أنصاري مع الله.

وقال مجاهد -وهو أقرب- والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر: **"من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"** حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رضي الله عنهم وأرضاهم.

وهكذا عيسى ابن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووازروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه ... الحواريون قيل: كانوا قصارين ، وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم.

وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لكل نبي حواري وحواري الزبير"**.

(٢) موضع النقط جاء موضعه في المخطوط كلمة "فإنه" وهي زائدة على السياق فخذفتها منه وأثبتها هنا.

[١٦] يتخذ بعضنا بعضًا أربَابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون﴾[١].

وصلى الله على الذي رفعه باصطفائه إلى محله المنيف، وبعثه للناس كافة بالدين القيم الحنيف[٢].

أما بعد:

فإن الله سبحانه ببالغ حكمته، وسابغ نعمته شرف دين الإسلام وطهره من الأدناس، وجعل أهله خير أمة أخرجت للناس.

فالإسلام الدين القويم الذي اصطفاه الله من الأديان لنفسه، وجعله دين أنبيائه ورسله وملائكة قدسه، فارتضاه واختاره، وجعل خير عباده وخاصته أولياءه وأنصاره، يحافظون على حدوده ويثابرون، ويدعون إليه ويذكرون، ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم بآيات ربهم يؤمنون وإلى مرضاته يسارعون، ولمن خرج عن دينه مجاهدون، ولعباده بجهد ينصحون، وعلى طاعته يثابرون، وعلى صلواتهم يحافظون، وعلى ربهم يتوكلون، وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.

هذا وإن أمة هداها الله إلى دينه القويم، وجعلها دون الأمم الجاحدة على صراط مستقيم توفى من الأمم سبعون هم خيرها وأكرمها على رب العالمين حقيقة بأن لا تولي من الأمم سواها ، ولا تستعين بمن خان الله خالقه ورازقه[٣]، وعبد من دونه إلهًا، وكذب رسله، وعصى أمره واتبع غير سبيله، واتخذ الشيطان وليًا من دون الله.

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ٦٤).

(٢) في المخطوط: المنيف. وهو تحريف، والله أعلم.

(٣) في المخطوط: "وراقه". وهو تحريف.

ومعلوم أن اليهود والنصارى موسومون بغضب الله ولعنته، والشرك به والجحد لوحدانيته وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أن يسألوا هداية سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وتجنيبهم سبيل الذين أبعدهم من رحمته، وطردهم من جنته فباؤوا بغضبه ولعنته من المغضوب عليهم والضالين.

فالأمة الغضبية اليهود بنص القرآن وأمة الضلال النصارى المثلثة[1]، عباد الصلبان.

وقد أخبر تعالى عن اليهود بأنهم باؤوا بالذلة والمسكنة والغضب، موسومون، فقال تعالى: **﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾**[2].

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى سورة الفاتحة، وما فيها من الدعاء أن يجنبهم الله طرقهم وسبلهم.

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١١٢) وقال ابن كثير في تفسيرها: أي: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا ، فلا يؤمنون: **﴿إلا بحبل من الله﴾** أي: بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم، وضرب الجزية عليهم، وإلزامهم أحكام الملة **﴿وحبل من الناس﴾** أي : أمان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة، وكذا عبد. على أحد قولي العلماء.
وقال ابن عباس: **﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾** أي: بعهد من الله وعهد من الناس... **﴿وباءوا بغضب من الله﴾** أي: ألزموا، فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه **﴿وضربت عليهم المسكنة﴾** أي: ألزموها قدرًا وشرعًا، ولهذا قال : **﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾** أي: أنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد، =

وأخبر سبحانه بأنهم باؤوا بغضب على غضب وذلك جزاء المفترين، فقال سبحانه : **﴿بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما [١٧] أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾**(١).

وأخبر سبحانه أنه لعنهم، ولا أصدق من الله قيلاً، فقال سبحانه:

﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً﴾(٢).

=

فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدًا متصلاً بذل الآخرة.

ثم قال تعالى: **﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾** أي: إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل الرسل، وقيضوا لذلك أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله، والغشيان لمعاصي الله والاعتداء في شرع الله، فعياذًا بالله من ذلك، والله عز وجل المستعان.

(١) سورة البقرة (الآية: ٩٠).

(٢) سورة النساء (الآية : ٤٧) وقال ابن كثير في تفسيرها : يقول الله تعالى آمرًا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومتهددًا لهم إن لم يفعلوا بقوله : **﴿من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها﴾** قال بعضهم: معناها: من قبل أن نطمس وجوهًا فطمسها هو ردّها إلى الأدبار ، وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهًا فلا نبقي لها سمعًا ولا بصرًا ولا أنفًا، ومع ذلك نردها إلى ناحية الأدبار.

وقال العوفي عن ابن عباس في الآية: وهي من قبل أي: نطمس وجوهًا وطمسها أن تعمى فنردها على أدبارها يقول نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم

وحكم سبحانه بينهم وبين المسلمين حكمًا ترتضيه العقول، ويتلقاه كل منصف بالإذعان والقبول، فقال سبحانه: **﴿قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُ عن سواء السبيل﴾**[1].

وأخبر سبحانه عما أحل بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين، فقال تعالى: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون* فلما عتوا عن ما نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين﴾**[2].

= فيمشون القهقرى ، ونجعل لأحدهم عينين من قفاه ، وكذا قال قتادة وعطية العوفي.

وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم.

(١) سورة المائدة (الآية: ٦٠) وقال ابن كثير في تفسيرها: أي: هل أخبركم بأشر الجزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: **﴿من لعنه الله﴾** أي: أبعده من رحمته **﴿وغضب عليه﴾** أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا **﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾**...

عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير: أهي مما مسخ الله؟ فقال: "إن الله لم يهلك قومًا" أو قال: "لم يمسخ قومًا فيجعل لهم نسلاً ولا عقبًا، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك".ا.هـ بتصرف.

(٢) سورة الأعراف (الآية: ١٦٥، ١٦٦) وقال ابن كثير في تفسيرها: أي: فلما أبى الفاعلون قبول النصحية: **﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾** أي: ارتكبوا المعصية: **﴿بعذاب بئيس﴾** فنص على نجاة =

ثم حكم الله عليهم حكمًا مشتملاً عليهم في الذراري والأعقاب على ممر السنين والأحقاب، فقال تعالى: ﴿**وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب**﴾[1].

فكان هذا العذاب في الدنيا بعض الاستحقاق ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق.

فهم أنجس الأمم قلوبًا وأخبثهم طوية وأرداهم سجية وأولاهم

=

الناهين وهلاك الظالمين ، وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من الهالكين؟ أو من الناجين؟ على قولين: وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿**وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا**﴾ هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها: إيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعًا في ساحل البحر؟

فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمضى على ذلك ما شاء الله، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم؟!

فلم يزدادوا إلاّ غيًّا، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب ﴿**لم تعظون قومًا الله مهلكم**﴾ وكانوا أشد غضبًا لله من الطائفة الأخرى فقالوا: ﴿**معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**﴾ وكل قد كانوا ينهون، فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿**لم تعظون قومًا الله مهلكهم**﴾، والذين قالوا: ﴿**معذرة إلى ربكم**﴾ وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة.

(١) سورة الأعراف (الآية: ١٦٧).

بالعذاب الأليم فقال: ﴿**أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[1].

فهم أمة الخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿**ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاّ قليلاً منهم فاعْف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**﴾[2].

وأخبر سبحانه عن سوء ما يسمعون، ويقبلون وما يأكلون ويحكمون، فقال تعالى: ﴿**سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم**

(١) سورة المائدة (الآية: ٤١) وقال ابن كثير في تفسيرها: نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل ﴿**من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون ﴿**من الذين هادوا**﴾ أعداء الإسلام وأهله، وهؤلاء كلهم ﴿**سماعون للكذب**﴾ أي: مستجيبون له منفعلون عنه ﴿**سماعون لقوم آخرين لم يأتوك**﴾ أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد. وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك.

(٢) سورة المائدة (الآية: ١٣) وقال ابن كثير في تفسيرها: يعني مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك.

وقال مجاهد وغيره: يعني بذلك تمالؤهم على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿**فاعف عنهم واصفح**﴾ وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف: ما عملت من عصى الله فيك مثل أن تطيع الله فيه.

وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم، ولهذا قال تعالى: ﴿**إن الله يحب المحسنين**﴾ يعني: به الصفح عمن أساء إليك.

وقال قتادة: هذه الآية ﴿**فاعف عنهم واصفح**﴾ منسوخة بقوله: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ الآية.

أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾[1].

وأخبر سبحانه أنه لعنهم على ألسنة أنبيائه ورسله فقال سبحانه: ﴿لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما [كانوا يفعلون* ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما] قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾[2].

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٤٢) وقال ابن كثير في تفسيرها: ﴿سماعون للكذب﴾ أي: الباطل، ﴿أكالون للسحت﴾ أي: الحرام، وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود، وغير واحد، أي ومتى كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه، وأنّى يستجيب له، ثم قال لنبيه: ﴿فإن جآءوك﴾ أي: يتحاكمون إليك ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا﴾ أي: فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق بل ما يوافق أهواءهم.

(٢) سورة المائدة (الآية:٧٨: ٨٠) وما بين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ، وقال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فما أنزله على داود نبيه عليه السلام، وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله، واعتدائهم على خلقه.

قال العوفي عن ابن عباس: لعنوا في التوراة، والإنجيل، وفي الزبور، وفي الفرقان، ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ أي: كان لا ينهى أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوه فقال: ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبدالله، عن علي ابن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه =

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في [١٨] حكمه المبين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾(١).

وأخبر عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدي إلى فساد العقل والدين، بقوله: ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**﴾(٢).

ثم أخبر عن حبوط أعمال متوليهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين ، فقال: ﴿**ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين**﴾(٣).

=

وسلم: "**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم**". قال يزيد: وأحسبه قال: "**وفي أسواقهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم** ﴿**ذلك بما عصوا وكانوا يتعدون**﴾". وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئًا فجلس، وقال: "**لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا**".

(١) سورة المائدة (الآية: ٥١).

(٢) سورة المائدة: (الآية: ٥٢) وسبق ذكر تفسير الآية في موضع سابق.

(٣) سورة المائدة (الآية : ٥٣) وقال ابن كثير في تفسيرها: اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات، فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد: أما أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي فآوي إليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث.

وقال الآخر: أما أنا فإني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فآوي إليه وأتنصر =

ونهى المؤمنين عن اتخاذ أعدائه أولياء ، وقد كفروا بالحق الذي جاءهم من ربهم ، وأنهم لا يمنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم وألسنتهم إذا قدروا عليه، فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾** إلى قوله: **﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾**(١).

وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحنفاء ومن معه من المؤمنين إذ تبرؤوا ممن(٢) على دينهم امتثالاً لأمر الله وإيثار مرضاته وما عنده، فقال تعالى: **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾**(٣).

وتبرأ سبحانه ممن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين بقوله: **﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾**(٤).

=

معه. فأنزل الله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾** الآيات.

(١) سورة الممتحنة (الآيات: ١: ٤) وسبق التعليق عليها بالشرح والتفسير.

(٢) في المخطوط: مما. وهو لحن أو تحريف.

(٣) سورة الممتحنة (الآية: ٤) وسبق تفسيرها مع غيرها.

(٤) سورة آل عمران (الآية: ٢٨) وسبق تفسيرها مع غيرها، وعنها يقول ابن كثير في تفسيرها: **﴿إلاّ أن تتقوا منهم تقاة﴾** أي: من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنهش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم.

=

فمن ضروب الطاعات إهانتهم في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرون ومن حقوق الله الواجبة أخذ جزية رؤوسهم التي يعطونها عن يد وهم صاغرون.

ومن الأحكام الدينية أن جميع الذمة إلاّ من لا تجب عليه باستخراجها، وأن يعتمد في ذلك سلوك سبيل السنة المحمدية ومنهاجها، وأن لا يسامح بها أحد منهم ولو كان في قومه عظيمًا.

وأن لا يقبل إن سأله بها ولو كان فيهم زعيمًا.

وأن لا يحيل بها على أحد من المسلمين.

ولا يوكل في إخراجها عنه أحدًا من الموحدين بل تؤخذ منه على وجه الذلة والصغار، إعزازًا للإسلام وأهله، وإذلالاً لطائفة الكفار.

وأن يستوفي [١٩] جميعهم حق الاستيفاء.

وأهل خيبر وغيرهم في ذلك على السواء.

وأما ما ادعاه الجبابرة من وضع الجزية عنهم بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك زور، وبهتان، وكذب ظاهر، يعرفه أهل العلم والإيمان لَفَّقَهُ القوم البهت وزوروه، وصنعوه من تلقاء أنفسهم وتموه، وظنوا أن ذلك يخفى على الناقدين ويروج على علماء المسلمين، ويأبى الله

وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان.

وكذا قال أبوالعالية، وأبوالشعثاء، والضحاك، والربيع بن أنس.

وقال البخاري : قال الحسن. التقية إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ أي: يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه.

ثم قال الله تعالى: ﴿**وإلى الله المصير**﴾ أي: إليه المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله.

إلا أن يكشف حال المبطلين وإفك المفترين وقد تظاهرت السنن، وصح بأن خيبر فتحت عنوة، وأوجف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على إجلائهم عنها كما أجلى إخوانهم من أهل الكتاب.

فلما ذكروا أنهم أعرف بسقي نخلها ومصالح أرضها أقرهم فيها كالأجراء، وجعل لهم نصف الإبضاع، وكان ذلك شرطًا مبينًا، وقال: ((**نقركم فيها ما شئنا**))[1].

---

(١) أطراف هذا الحديث عند: البخاري في الصحيح (٣/١٤١، ٣٥٢، ٤/١١٦)، ابن حجر في فتح الباري (٥/٢١، ٣٢٧)، البيهقي في السنن الكبرى (٦/١١٤، ٩/٢٠٧، ٢٢٤)، أحمد في المسند (٢/١٤٩)، عبدالرزاق في المصنف (٩٩٨٩، ١٩٣٦٦)، البغوي في شرح السنة (١١/١٨٤)، البيهقي في دلائل النبوة (٤/٢٣٤)، ابن عبدالبر في التمهيد (٦/٤٦٤) ، التبريزي في "مشكاة المصابيح" (٤٠٥٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (١١٥٠٤)، ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٢١٩).

وذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ غزوة خيبر في سنة سبع من الهجرة فمما جاء فيها: وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن أهل خيبر: الوطيح، والسلالم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن دماءهم، فأجابهم إلى ذلك.

وكان قد حاز الأموال كلها الشق، ونطاة، والكتيبة، وجميع حصونهم.

فلما سمع بذلك أهل فدك ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ويخلون له الأموال، ففعل ذلك.

ولما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف، وأن يخرجهم إذا شاء فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا ، وفعل مثل ذلك أهل فدك، وكانت خيبر، فيئًا للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

=

فأقر بذلك الجبابرة صاغرين، وأقاموا على هذا الشرط عامين، و لم يكن للقوم من الذمام والحرمة ما يوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الذمة.

كيف وفي الكتاب المشحون بالكذب البيِّن، شهادة سعد بن معـــاذ، وكان قد توفي قبل ذلك بأكثر من سنتين.

وشهادة معاوية بن أبي سفيان، إنما أسلم عام الفتح بعد خيبر، سنة ثمان.

وفي الكتاب المكذوب أنه سقط عنهم الكلف والسخر ، ولم يكـــن على زمانه صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك ، وعلى زمان خلفائه الذين ساروا في الناس أحسن السير.

ولما اتسعت رقعة الإسلام، ودخل فيه الخـــاص والعـــام، وكـــان في المسلمين من يقوم بعمل الأرض وسقي النخل، أجلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اليهود من خيبر، بل من جزيرة العرب، وقال: إن بقيت لأخرجـــن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلاّ مسلماً.



=

.... وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل والأرض في أيدي أهـــل الوادي وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر فبقوا كذلـــك إلى أن وليَ عمـــر الخلافة، فأجلاهم.

وقيل: إنه لم يجلهم لأنها خارجة عن الحجاز.

فصـــل

[في غياب ما يفعله أهل الذمة عن علم أولى الأمر](١)

ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتاب ومكاتباهم الفرنج أعداء المسلمين وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله ، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال(٢).

وهذا الملك الصالح محمد بن أبي بكر بن أيوب وهو ولد الملك العادل ابن الكامل نجم الدين، كان في دولته نصراني يسمى بخاص الدولة الفضا بن دخان، ولم يكن في المباشرين أمكن منه، وكان المذكور قذاة في عين

(١) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له.

(٢) كم هي الأقنعة التي يتخفى تحتها هؤلاء المخادعون وكم هي براقة خداعة تلك الأقنعة مقنعة لمن ينظر إلى ظاهرها فهم يجيدون استغلال الفرص خير استغلال ويحيطون شباكهم حول هدفهم بإحكام حتى لا يقاوم بل يستسلم عن رضا وطيب خاطر فهم يلبسون مسوح العلم والعلماء والعلم ببواطن العلوم والسياسة والاجتماع والطب والهندسة ويزعمون أن إليهم المنتهى فيها، ويزعمون أنه إن فات من يريدون من يحدثوه عن أنفسهم، استخدامهم فاته خير كثير وعلم عميم ونفع عظيم يعود عليه وعلى رعيته ومن يقوم على شأنهم وأنهم لن يكلفوه من الأمر كثيرًا فهم يرضون في زعمهم بالفتات حتى ينشروا الخير في البلاد وعلى العباد فينبهر السامع ويقع في شباكهم، ثم ما يلبس أن يجد نفسه قد أهلك الحرث والنسل، فربما أدرك إصلاح ما أفسدوه وربما فاته ذلك بانقضاء أجله وترك ذلك خلفه لمن يعقبه يعاني من آثاره ردحًا من الزمان.

فليحذر ولاة الأمر من الانبهار بأقوالهم ودعواهم فإن في المسلمين من هو فوقهم بكثير ثم إن لم يكن عندهم تلك المعارف فليصبروا حتى يتعلموها ويتقنوها، ولا ييأسوا من ذلك فقد أخبرنا الله أنه معنا إذا أخلصنا النية وتوكلنا عليه فقال: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾.

الإسلام، وبثرة في وجه الدين وشائنة في الصحف مسطورة ومخازيه مخلدة مذكورة حتى أن [من][1] أمره أنه [إن][2] وقع لرجل نصراني أسلم يرده إلى دين النصرانية ويخرجه[3] من الإسلام.

[٢٠] ولم يزل يكاتب الفرنج بأخبار المسلمين وعمالهم وأمراء الدولة، وتفاصيل أحوالها.

وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنصارى وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحمل لهم الأدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون على الباب لا يؤذن لهم ، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية، ولا في الكلام.

فاجتمع به بعض أكابر الكتاب، فلامه على ذلك وحذره، من سوء عاقبة صنعه فلم يزده ذلك إلاّ تمردًا.

فلم يمض على ذلك إلاّ يسيرًا حتى اجتمع في مجلس الصالح أكابر الناس من الكتاب والقضاة والعلماء.

فسأل السلطان عن أمر أفضى به إلى ذكر مخازي النصارى، فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق، وقال في جملة كلامه: إن النصارى لا يعرفون الحساب ولا يدرونه على الحقيقة لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة وأول أمانيهم وعقد دينهم: باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد.

فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له:

كيف يدري الحساب من جعل   الواحد رب الورى تعالى ثلاثه

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) في المخطوط: وخروجه. وهو تحريف.

ثم قال:

كيف يؤمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده

ويكون مع هذا أكبر النصارى أمانة، وكلما خرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان دينارًا واحدًا ولنفسه اثنين، ولا سيما أنه يعتقد ذلك قربة وديانة.

وانصرف القوم ، واتفق القوم أن كتب النصراني له (...)[1] وظهرت خيانته، فأريق دمه، وسلط على وجوده عدمه، وفيه يقول عمار اليمني:

قل لابن دخان إذا جئتــــه ووجهه يندي من القرْقف[2]
لم تكفك الدنيا ولو أنهـــا أضعاف ما في سورة الزخــرف
فاصفع قفا الذل ولو أنــه بين قفا القسيس والأسقــف
ملكك الدهر سيال الـــورى فاحلق لحاهم آمنا وانتــف
خلا لك الديوان من ناظري مستيقظ العزم ومن مشــرف
فاكسب وحصل وادخر واكتتز واسرق وخن وابطش ولا تضعف
وإيك وقل ما صح لي درهم فرد وصلب وابتهل واحلــف
واغتنم الفرصـــة مـــن قبـــل أن يقضي على الإنجيل بالمصحــف[3]

وفي شهر رجب الفرد سنة سبعمائة وصل إلى القاهرة المحروسة وزير

---

(١) موضع النقط كلمة هذا رسمها (مطسه) وجاء فوقها في المخطوط كلمة: "كذا"، مما يفيد أن ناسخ المخطوط لم يتبين قراءتها.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب مادة قرقف: القَرْقَفُ: الخمر، وهو اسم لها. وقيل: سميت قرقفًا لأنها تقرقف شاربها أي: ترعده. وأنكر بعضهم أنها تقرقف الناس.

قال الليث: القرقف اسم للخمر، ويوصف به الماء البارد ذو الصفاء.

(٣) أراد بقوله هذا : أي: افعل ما تشاء من قبل أن يفيق الخليفة المسلم أو الحاكم المسلم فيعزلك، أو يقتلك فرمز للحاكم المسلم بالمصحف، ورمز لهذا الذمي بالإنجيل لكونه نصرانيًا.

المغرب لسبب الحج، واجتمع بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]

---

(١) قال ابن العماد في شذرات الذهب (١٣٤/٦) في ذكره لأحداث سنة إحدى وأربعين وسبعمائة: وفيها (أي توفي فيها) الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبدالله الصالحي.

ولد في صفر، وقيل في نصف المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة.

وشوهد منه أنه ولد وكفاه مقبوضتان ففتحتهما الداية فسال منهما دم كثير، ثم سار يقبضهما فإذا فتحهما سال منهما دم كثير، فأُوِّل ذلك بأنه يسفك على يديه دماء كثيرة، فكان كذلك.

وولي السلطنة عقب قتل أخيه الأشرف وعمره تسع سنين، فولي السلطنة سنة إلا ثلاثة أيام، ثم خلع بكتبغا.

وكان كتبغا قد جهز الناصر إلى الكرك بعد أن حلف له أنه إذا ترعرع وترجل يفرغ له عن المملكة بشرط أن يعطيه مملكة الشام استقلالاً، ثم أحضر الناصر من الكرك إلى مصر سنة ثمان وتسعين وسلطنوه ثانيًا.

واستقر بيبرس الجاشنكير دوايدارًا ، وسلار نائبًا في السلطنة ولم يكن للناصر معهما حكم البتة.

واستقر أقش الأخرم نائب دمشق وحضر الناصر وقعة غازان سنة تسع وتسعين وثبت الناصر الثبات القوي وجرى لغازان بدمشق ما اشتهر وقطعت خطبة الناصر من دمشق مدة ، ثم أعيدت فتحرك غازان في العود ، فوصل إلى حلب، ثم رجع.

وفي شعبان سنة اثنتين وسبعمائة كانت وقعة شقحب وكان للناصر فيها اليد البيضاء من الثبات والفتك، ووقع النصر للمسلمين، ثم في سنة ثمان وسبعمائة أظهر الناصر أنه يطلب الحج إلى الكرك، وأقام بها وطرد نائب الكرك إلى مصر وأعرض عن المملكة لاستبداد سلار، وبيبرس دونه بالأمور.

وكتب الناصر إلى الأمراء بمصر يترقق لهم ويستعفيهم من السلطنة ويسألهم أن يتركوا له الكرك، فوافقوه على ذلك، وتسلطن بيبرس الجاشنكير. =

وبنائبه الأمير سيف الدين سلار، وبالأمير ركن الدين [٢١] بيبرس الجاشنكير، وانعموا عليه، واحترموه.

ثم أنه تحدث معهم في أمر النصارى واليهود في بلادهم، وأنهم عندهم في غاية الذل والهوان وأنهم لا يمكنون منهم من ركوب الخيل، ولا استخدامهم في الجهات الديوانية.

وأنكر على نصارى مصر ويهودها بسبب أنهم يلبس [أحدهم](١) أفخر الملابس، ويركبون البغلات والحجورة؛ والخيل المسمومة.

وكون أنهم يستخدمونهم في أجل المناصب، وتحكيمهم على رقاب المسلمين. ثم أنه ذكر أن عهد ذمتهم انقضى من سنة ستمائة من الهجرة النبوية.

=

ثم قصد الناصر مصر سنة تسع وسبعمائة فاستقر في دست سلطنته يوم عيد الفطر.

ولما استقر قدمه قبض على أكثر الأمراء وعزل وولى وحج وجدد خيرات كثيرة، وبنى جوامع ومدارس، وخوانق، وفتحت في أيامه ملطية، وطرسوس وغيرهما.

واشترى المماليك فبالغ في ذلك حتى اشترى واحداً بما يزيد على أربعة آلاف دينار.

قال في الدرر : ولم ير أحد مثل سعادة ملكه وعدم حركة الأعادي عليه براً وبحراً مع طول المدة فمنذ وقعت قشحب إلى أن مات لم يخرج عليه أحد ، ووجدت له إجازة بخط البرزالي من ابن مشرف وغيره، وسمع من ست الوزراء وابن الشحنة، وخرج له بعض المحدثين جزء.

وكان مطاعاً مهيباً عارفاً بالأمور ، يعظم أهل العلم والمناصب الشرعية، ولا يقرر فيها إلاّ من يكون أهلاً لها، وتوفي في تاسع عشرة ذي الحجة بقلعة مصر في آخر النهار.

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

وذكر كلامًا كثيرًا من هذا الجنس وأشباهه، فأثر كلامه عند أرباب الدولة خصوصًا عند الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وباقي الأمراء وافقوه على ذلك، ورأوا أن هذا الأمر مصلحة لإظهاره شعار الدين.

فلما كان يوم الخميس، وهو العشرون من رجب الفرد، جمعوا النصارى واليهود، ورسموا أن لا يستخدموا في الجهات السلطانية، ولا عند الأمراء من اليهود والنصارى أحدًا، وأن يغيروا عمائمهم.

فلبس النصارى عمائم زرق، وكذلك زنانيرهم مشدودة إلى أوساطهم.

وأن اليهود يلبسون عمائم صفر.

وعند النصارى واليهود بالقاهرة ومصر عيدا مشوما[1] عليهم.

وسعى الملكيون إلى جميع الأمراء والصلحاء ، وأرباب الدولة وأعيانها، وبذلوا الأموال الكثيرة على أن يعفوا من ذلك، فلم يقبل أحد منهم شيئًا.

وشددوا عليهم غاية ما يكون من التشديد وكان القائم في ذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير[2].

---

(١) كذا هي في المخطوط، ولا أدري معناها، وربما كانت عبارة محرفة، أو سقط منها بعض كلمات أو حرف، فالله أعلم.

(٢) قال ابن العزي في ديوان الإسلام بتحقيقي (ت٣١٥): بيبرس المنصوري، الخطائي، الدوادار، الأمير الكبير، المؤرخ، المصري، الحنفي، صنف تاريخًا حسنًا في خمسة وعشرين مجلدًا وهو مشهور، توفي سنة (٧٢٥).

وقال ابن العماد في شذرات الذهب (٦٦/٦) في أحداث سنة خمس وعشرين وسبعمائة : وفيها (أي توفي) كبير الدولة الأمير الكبير ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي الدويدار صاحب التاريخ الكبير ، ورأس الميسرة ، ونائب مصر قبل أرغون، توفي في رمضان بمصر عن ثمانين سنة.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة (٥٠٩/١) : هو صاحب التاريخ المشهور في خمسة وعشرين مجلدًا.

=

ثم غلقت الكنائس بمصر والقاهرة، وضرب على كل باب منها دقوق ومسامير.

وأصبح اليوم الثاني والعشرين من رجب وقد لبس اليهود عمائم صفر، والنصارى عمائم زرق.

وإذا ركب أحد منهم يكف إحدى رجليه.

وبطلوا من الخدم السلطانية، وكذلك من عند الأمراء، وكذلك من ركوب الخيل والبغال وأسلم منهم جماعة كثيرة من النصارى منهم: أمين الملك مستوفي الصحبة وغيره.

ورسم السلطان أن يكتب بذلك إلى جميع بلاده أنها مستجدة في عهد الإسلام وإلى دور النصارى واليهود بها.

فكل دار هي أعلى من جوارها من دور المسلمين هدموا مقدار الارتفاع.

وكل من كان منهم بجوار مسلم في حانوت أنزلوا مصطبة حانوته[1] بحيث يكون المسلم أرفع.

وأقاموا الشعار كما جرت عادتهم، ووصل البريد إلى دمشق في أول

=

وقال الذهبي: كان عاقلاً وافر الهيبة كبير المنزلة.

وقال غيره: كان كثير الأدب حنفي المذهب، عاقلاً قد أجيز بالإفتاء والتدريس ، وله يد ومعروف، كثير الصدقة سراً، ويلازم الصلاة في الجماعة وغالب نهاره في سماع الحديث، والبحث في العلوم وليله في القرآن والتهجد مع طلاقة الوجه ودوام البشر.

قلت: ومن مؤلفاته: زبدة الفكر في تاريخ الهجرة مرتب على السنين (١١ مجلد)، والتحفة المملوكية في الدولة التركية في تاريخ السلاطين المماليك (من سنة ٦٤٧ إلى سنة ٧٢١).

(١) الحانوت : هو المحل التجاري، ويسمى كذلك دكان أوخان أو وكالة أو ما شابه ذلك من الأسماء حسب اختلاف الأقطار.

شعبان في يوم الاثنين سابع شعبان قرئت الشروط على [أهـل][1] الذمة بدِمشق [٢٢] بحضور نائب السلطان، وجماعة الأمراء والقضاة.

واتفقت الآراء على عزلهم من الولايات، وكتبت عليهم مكاتيب بالشروط، وفيها المنع من ركوب الخيل ومن الدواب.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان، نودي بدمشق بإذن نائب السلطنة بإلزام أهل الذمة لبس الغيار[2] في رؤوسهم فليكون شعار النصارى الأزرق، وشعار اليهود الأصفر، وشعار السامرة الأحمر وشدد في ذلك.

وظهر يوم الأحد بذلك ظهوراً عظيمًا، ثم ظهر النصارى والسامرة بعد ذلك، ولله الحمد والمنة.

ثم إنهم شرعوا بعد ذلك في هدم الكنائس خصوصًا كنائس القاهرة ، وجمعوا العلماء والفقهاء والقضاة بسبب ذلك.

وذكروا أنّ الشيخ نجم الدين ابن الرفعة نائب الحكم بمصر قد أفتى بهدها.

فلما اجتمع القضاة والعلماء، وتكلموا وبحثوا زمانًا تكلم قاضي - القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد[3]، وأفتى ببقائها إلاّ أن تقوم الآن بينة أنها

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) كذا في المخطوط، ولعلها: الشعار، وتحرفت سهواً من الناسخ، والله أعلم.
والشعار: هو الشارة أو العلامة الدالة على نوع الشيء أو انتمائه، أو ولائه، أو جهته، أو أصله أو ما إلى ذلك، كعلامات أو شعارات الجيش والشرطة، والشركات، والمصانع، والهيئات والمصالح ...الخ.
أو ما يوزي في عصرنا أيضًا كلمة الزِّيّ.

(٣) هو: على بن وهب بن مطيع، الإمام الحبر الفقيه مجد الدين القشيري، القوصي، المالكي له مؤلفات منها: مختصر المحصول، وله نظم ونثر. قاله ابن الغزي في ديوان الإسلام (ت٩٥٦)، ومن مصادر ترجمته: شذرات الذهب =

محدثة، فإذا ثبت ذلك وجب خرابها.

قلت: وهذا مما عُدَّ من أغلاطه رحمه الله تعالى.

وسبب ذلك ما هو مشهور عنه من نقص بضاعته في فن النقل ، وعلم السير والفتوح، وما أخذ من بلاد الكفر عنوة وصلحًا.

فأما في النظر والاستنباط والغوص في المعاني والدقة، فهو كما يقال: البحر الذي لا تكدره الدلاء.

❁ ❁ ❁

=

(٣٢٤/٥)، وحسن المحاضرة (٤٥٧/١)، تذكرة الحفاظ (١٤٦٦)، النجوم الزاهرة (٢٢٨/٧)، العبر (٢٨٦/٦)، الوافي بالوفيات (٢٩٨/٢٢)، ذيل مرآة الزمان (٤٢٠/٢)، وقال ابن العماد في شذرات الذهب في أحداث سنة سبع وستين وستمائة: وفيها: -أي توفي- على بن وهب بن مطيع العلامة مجد الدين بن دقيق العيد، القشيري المالكي شيخ أهل الصعيد، ونزيل قوص. كان جامعًا لفنون العلم موصوفًا بالصلاح والتأله معظمًا في النفوس روى عن: أبي المفضل، وغيره، وتوفي في المحرم عن ست وثمانين سنة.

فصـــل
وكذلك انتدب السلطان الملك الصالح

صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون في سنة خمس وخمسين وسبعمائة منعهم من الولاية على شيء من أمور المسلمين، وتقدم بصرفهم عما بأيديهم، وألزمهم بالشروط العمرية[1]، وكتب بها إلى الجوامع ليقرأها الخطباء على المنابر في صلاة الجمعة.

ونفذ أمر الله فيهم، فاقرَّ عيون المؤمنين بذلك.

ثم في ولاية أخيه السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون الولاية الثانية جدد ما كان قرره أخوه، وأمر بالقبض على من كان خالف أمر الله ورسوله والسلف الصالح، والتضييق عليه.

وأحيى بذلك أيده الله سنة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، وتضاعفت الأدعية له ولآبائه من المؤمنين.

وجعل النظر في هذه المعضلة للمقر الكريم العالي الرئيسي الكاملي الأميني الوزيري الأصيلي الهينامي ، علم الأعلام بمصر والشام أبي المحاسن يوسف بن الخطيب تقي الدين، فقام فيها أحسن قيام، وحسم مواد الفساد أشد انحسام، فجزى الله من قام في ذلك أحسن الجزاء وجعل جزاءه من

---

(١) الشروط العمرية هي التي أخذها عمر على نصارى الشام حين فتحها وقد وضع شروطها أهل الشام من النصارى أنفسهم، ولم يملها عليهم عمر رضي الله عنه وإنما زاد في آخرها شرطين اثنين هما: أن لا يشتروا أحداً من سبي المسلمين، وأن لا يقتلوا مسلماً عمداً.
أما نص تلك الشروط وصيغتها فلك أن تطالعها في أحكام أهل الملل للخلال، وهي من الجامع لمسائل أحمد بتحقيقي في المسألة (رقم ١٠٠٠).
سائلاً الله عز وجل أن يعيد للإسلام هيبته ومجده وسلطانه على أرضه برحمته بعباده آمين.

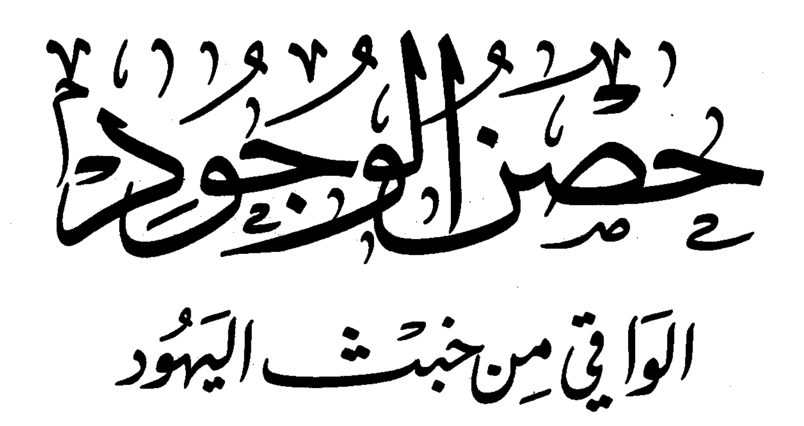
رضاه عنه أوفر الاجزاء.

[٢٣] والأمر الآن في هذه المسألة على السنة الغراء والمحجة البيضـــاء، أتم ذلك وأكمله، وأعان من أعان على إتمامه وجَمَّلَهُ آمين[١].

والحمد لله وحده
تمت المسألة وأجوابها، وكان الفراغ من كتابة ذلك
في يوم الاثنين ثاني عشرين رمضان سنة
ثمان وخمسين وثمانمائة

---

(١) قال محققه سيد بن كسروي: إلى هنا كان التمام من تحقيق كتاب "المذمة في استعمال أهل الذمة" سائلاً الله على العبادة العزم والهمة، وقد وقع الفـــراغ من تحقيقه في يوم الجمعة ١١/٥/٢٠٠١ من الميلاد الموافق السابع عشر من صفر عام (١٤٢٢) من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، سائلاً الله تعالى حسن الختام اللهم آمين، وآخـــر دعوانـــا: (أن الحمـــد لله رب العالمين).



تأليف

سليمان بن إبراهيم الصولة الدمشقي
المتوفى سنة ١٣١٧هـ

تحقيق

سيد كسروي

[٢/أ] بسم الله المبدي المعيد

الفاتحـــة

الحمد لله الذي فضح بنور الهدى ظلام الأباطيل، ونور بشمس المعارف قلوب الأبرار في كل جيل، فآمنوا بما أنزل عليهم من الزبور والتوارة والإنجيل، ودعوا الخراف الضالة والنعاج الشاردة من آل إسرائيل، فآمن بعض وكفر بعض، وحاق بالمجرمين العذاب الوبيل.

أحمده بما أنه القديم القدوس(١) المتره عن الإدراك والتقليل، المشيد أركان دينه بآياته التريهة عن التَّحريف والتبديل، العارف بذاته، ولم يعرفه إلا هو(٢) وإليه نميل، العالم بما تسره السرائر [٢/ب] وتظهره الخواطر وترمزه الأقاويل، حمدًا يحصينا لديه يوم تحشر الناس عزيزها والذليل، ويدنينا إليه يوم تبعد الخطاة عن خيره الجزيل.

والصلاة والسلام على أنبيائه المختارين، ورسله الشماليل(٣) ، الذين أشادوا بروج الإيمان وهدّوا الأضاليل، وسفكوا دماءهم شهادة للحق، فسلكوا بالله خير السبيل(٤)، وما كان لله أن يسفكها شهادة للباطل

---

(١) في المخطوط: القدموس. وهو تحريف سهو من الناسخ.

(٢) في المخطوط: هي. وهو قول صحيح غير أني استبدلت اللفظ بما هو أكثر شيوعًا على الألسنة حتى يتبادر المعنى إلى الذهن.

(٣) قال صاحب لسان العرب : شمل الرجل ، وانشمل وشَمْلَلَ: أسرع. وشَمَّر، وأظهروا التضعيف إشعارًا بإلحاقه.

(٤) إن كان المراد بالعبارة هو : القسم على أهم فازوا وهدوا إلى السبيل القويم في دعوهم الناس إلى دين الله تعالى وشرعته التي شرع لهم فلا بأس بذلك.
وإن كان أراد ما هو متبادر من العبارة على غير القسم فإما أن يكون أصل العبارة فسلكوا بدين الله خير سبيل فسقط لفظ: دين. واتصلت الباء بما بعدها فهو سهو من الناسخ، وهو معفو عنه ومغفور له لكونه أمر عارضٍ

المستحيل، صلاة وسلامًا يتباريان في سماء التكريم والتفضيل، ويتجددان ما تعاقبت القارظان[1] صبحًا وأصيل.

وبعـــد: فيقول أحقر العباد الراجي من الله تعالى السداد: سليمان ولد إبراهيم صولة[2]، أعانه الله بمنه وحوله: إنني كنت منذ حداثتي لهج[3] بحب العلوم أترقب مواقع نجومها، كما يترقب السُّفان[4] النجوم.

دائمًا ما يحدث من الكتاب والنُّسَّاح وأهل القلم بصفة عامة.

وأما إن كان غير ذلك فهو كفر صريح بواح وهذا لا يجوز اعتقاده لما هو معلوم لكافة العباد والذي ليس هذا مقام شرحه.

(١) المراد بالقارظان : هما الصيف والشتاء والمراد هنا شدهما ، أو ذروهما حرًا وقرًا.

(٢) هو: سليمان بن إبراهيم الصولة، الدمشقي، الرومي، الشاعر.

ولد بدمشق، وتوفي بالقاهرة، ومن آثاره: ديوان شعر، وحصن الوجود في عقائد اليهود، (وهو كتابنا هذا) على أن له اسم آخر في بعض المراجع.

في ترجمته والتي منها : الآداب العربية (٢/١٤٤، ١٤٥)، منتخبات التواريخ لدمشق (٢/٧٢٧) ، اكتفاء القنوع (٤٨٤) ، المخطوطات العربية (١٣٧)، هدية العارفين (١/٤٠٨)، فهرست الخديوية (٦/١٣٤)، إيضاح المكنون (١/٤٠٦)، معجم المطبوعات (١٢١٧، ١٢١٨)، فهرست دار الكتب المصرية (٣/١٣٦)، معجم المؤلفين (٤/٢٥١).

(٣) اللهج : كالولوع، والشغف، والحب الشديد للشيء، والجد والهمه في طلبه وبذل قصارى الجهد في تحقيقه والوصول إليه بأسرع وقت.

(٤) السُّفان: هم البحارة، أوالربان، أوالقبطان، وأهل السفينة القائمين على إدارتها وتوجيهها في لجج البحار مهدين في ذلك بعد توفيق الله لهم بالنجوم وعلامات أخرى يعرفونها وصارت لهم اليوم كليات وأكاديميات كبيرة يتلقون فيها هذه العلوم بعد أن كانت في الماضي تعتمد على خبرة البحار الشخصية وتجاربه الحياتية البحرية.

فلما عكفت على المطالعات صيفًا وشتاءً، ووقفت من خصائصها على فوائد شتى، وقرأت كل علم نفيس، على كل عالم كابن [٣/أ] إدريس، أخذت في شوط الجدال، أناضل الكمال(١)، فكنت ما جادلت حاذقًا نبيل، وناضلت فاضلاً جليل إلاَّ ومحضني خلاصة ودّه ، وساررني بأوكد ما عنده، فلما اجتنيت من كل عود رطبه، وانتهلت من كل ماء عذبه، وسبرت عقائد الآفاق، وعرفت كل ملّة على أي وفاق، وبحثت في دين اليهود كراغبه(٢)، وقلت العلم بالسحر(٣) ولا الجهل به، فكنت أطيل في أطرافه طرفي(٤)، وأجيل بين ظروفه ظرفي ، وألتمس مرشدًا يثمر عنده الاستقصاء، فلم أر إلاّ من تفضله العصا.

ولما حاولت ذلك مرارًا ، وما آنست في الحي نارًا ، رشقت بحرمان ابن شروان(٥) ، مذ حاول أخت النعمان ، فقلت : لبالي(٦) ، وقد كاد يصبح بالي(٧) شعرًا:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنًا مِنَ اللهِ لِلْفَتَى ... فَأَوَّل مَا(٨) يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

---

(١) أي أحاول الوصول إلى أعلى درجه في كل فن أو علم أتناوله.

(٢) أي: كطالبه وراجيه ومتمنيه عبادة لا معرفة ويتمنى أن يصل فيه إلى أعلى درجات الكمال والتمام.

(٣) كقولهم: العلم بالشيء ولا الجهل به.

(٤) أي: نظري وتبصري وتفكيري وتدبري وتأملي.

(٥) يريد محاولة كسرى ملك الروم في أن يصهر إلى النعمان بن المنذر، وقد باءت محاولاته بالفشل.

(٦) يريد لنفسي أو لعقلي، أو لخاطري.

(٧) يريد وقد كان يصبح أو يصير قديمًا باليًا من شدة الجهد والتفكير والتدبير والاحتيال.

(٨) في المخطوط: "من" وما أثبته أصوب لما هو معلوم من اللغة.

وَإِن كَانَ عَوْن الله لِلْمَرءِ مُسْعِفا   تَأَتَّى لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْء مُـــرَادُهُ

وتركت الأمر من حين إلى حين، لعـــله يأتي على رغم الحــــــاسدين [٣/ب] أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين.

غير أني مع تركي لهذا المبحث، كنت ألتحي عوده[١] وإن كرث، وأنتشق[٢] ريحه حيثما نفث، وأحن له حنين بعيد الوطن، أو الإبل ما فارقت العطن[٣]، وأسأل عنه ما أمكنت الفرص، سؤال القانص عن مكان القنص[٤]، ولم أقنع مع كل هذا بلبيب ماهر، ويخرس كل من سألته عنه ولا خرس سكان المقابر ، فلما أراد الله إسعافي وهو المعافي الكافي، يسر لي الأمر من حيث لا أدري وشرح صدري، ورفع عني وزري، فقلت ولا شك بألطافه، كلا ولا ريب بإسعافه، وشعرًا:

كَمْ كُرْبَة لَمَّت بِنَا غُدْوَة   فَرَّجَهَا الرَّحْمَنُ قَبْل المَسَاءِ

وذلك أنني كنت خارجًا ذات يوم إلى الصيد، فبصرت برجل يقود سَلاَقيًّا[٥]، فقلت له تحرشًا بمصافاته:

---

(١) يريد أفتش فيه أو أقلِّب في أموره وشأنه وأنظر فيه وإن شق ذلك عليَّ، ولحى العود: قشرته، والكَرَث: الشدة والمشقة أو القسوة، ومنه قولهم كارثة.

(٢) أي أشم أو أستنشق ريحه كلما سنحت لذلك فرصة أو مناسبة.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة عطن: العَطَنُ للإبل: كالوطن للناس، وقد غلب على مَبْرَكِهَا حول الحوض

(٤) أي الأماكن التي يكثر فيها نوع ما يريد من الصيد الذي يبغي صيده.

(٥) نوع من الكلاب ينسب إلى سَلوق بأرض اليمن.

قال صاحب لسان العرب في مادة سلق: سَلُوقُ: أرض باليمن، وفي التهذيب: قرية باليمن، وهي بالرومية سَلَقْيَة، قال القُطامي:

معهم ضوار من سَلُوقَ كأنها حُصُنٌ تجول تُجَرِّرُ الأَرْسانا

=

أبحجَّـــة الصَّيْـــدِ النَّفيْـــسِ   يَسْتَصْحِبُ الْكَلْب وَإِنْ كَان خَسِيْس؟!

قال: بلى، وتغتفر النقيصة في جانب القنيصة.

فرب رجل صادق أعداه، [٤/أ] وعادى أحباه، لمال يرتزقه، أو لعلم سرقه، فملك بعذوبة ألفاظه قلبي، وخلب بظرفة لسانه لُبِّي.

وكأنَّ الله رفع حجاب الغفلة عني لأمر يريده عز وعلى، فَلاَح لي أن أتخذ أصحابًا من اليهود لأستطلعهم على ما أرجوه من فَلاَح المقصود.

فصاحبتهم مصاحبة العبد لمولاه، أو المريض لملال دواه، وخدمتهـــم خدمة المشوق أو العاشق للمعشوق ، وداريتهم مداراة أبي نواس[١] لأطون، وكنت أبذل لهم مع الإخاء كلتى البيضاء والصفـــراء[٢]، حتـــى توصلـــت لأحبارهم بالصحبة، وحظيت لدنهم بالمحبة، وعرفت من عقائدهم ما كـــان مجهول، فاستغربته استغراب العنقاء والغول[٣] وكنت في غضون ذلك قـــد

=

والكلاب السَّلُوقِيَّةُ: منسوبة إليها، وكذلك الدروع.

... ويقال: سَلُوق مدينة اللاَّنِ تنسب إليها الكلاب السلوقية.

والسلوقي أيضًا: السيف، انشد ثعلب:

تسُورُ بين السرج واللجام   سَوْرَ السَّلُوقِي إلى الأجْذَام

والسلوقي من الكلاب والدروع: أجودها.

(١) أبونواس من شعراء العرب الفطاحل الفحول المشهورين، وكان ماجنًا ثـــم تاب قبل موته وله قصيدة مشهورة في طوافه حول الكعبة مطلعها:

لبيك إن الحمد لك

وهو من أقران أبي العتاهية وأصحابه أيضًا وقد كانت بينهـــم مســـاجلات شعرية، واعترف كل منهما بفضل صاحبه رحمهما الله تعالى آمين.

(٢) يريد بالبيضاء الفضة والصفراء الذهب أي: ينفق عليهـــم بســـخاء رجـــاء الوصول لغرضه.

(٣) من المعروف لدى أهل الأدب والحكماء أنه ثلاثة لا وجود لهـــا: الغـــول، =

عثرت بمؤلفات وجيزة لبعض المنتصرين منهم، تشير بسوء عقائدهم، واستحلالهم القتل لمن خالفهم في دينهم، فآخذت إذ ذاك بالحرص على نفسي، وجعلت أستهون عن دخول بيوهم الولوج في رمسي[1]، [٤/ب] ولكن كتمت الأمر جهدي، عن صاحبي وضدّي، لئلا يفتضح الحال أو يتضح المآل، فأكون كالجازع أنفه بكفه[2]، وقلت إذ ذاك شعرًا:

إذَا ضَاقَ صَدْر المرءِ عَن كَتْم سِرِّهِ فَصَدْر الّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّر أَضْيَقُ

ولما كان من أهم ما يجب على المخلوق أن يقدم خيرًا تبقى عواقبه، فإنه الجدير بأن يراعي جانبه.

آليت على نفسي أن أُولِّف كتابًا في عقائدهم ليكون وقاية للناس من مكائدهم.

وجعلت أتربص وقتًا يثمر به غرس التَّمنِّي ، ويروى به الخير عَنِّي، إلى أن كان من قدر الله : أن رجلاً قسيسًا كان من رعايا[3] الدولة الفرنساوية، دخل هو وخادمه إلى حارة اليهود ، لِيُطَعِّم[4] لأحد أطفالهم بالجدري بمدينة دمشق، وكان ذلك قرب عيد الفطير -الواقع في شهر [ذي] الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة وخمسين من الهجرة النبوية- وكان لهم في ذلك العيد

=

والعنقاء، والخِل الوفي ، فهو يريد أن يقول أنه بذل في الوصول إلى ذلك كل ما هو غال ورخيص وسهل وصعب وما هو شبه مستحيل.

(١) أي: يستهين أن يدخل قبره خير من أن يدخل بيت أحدهم.

(٢) مثل عربي مشهور، وممن جزع أنفه بكفه جذيمة الأبرش عندما أراد أن يخدع الزباء.

(٣) في المخطوط: رعاياي. وهو تحريف من الناسخ سهوًا.

(٤) التطعيم معروف الآن وشائع وهو مصل أو لقاح يدفع عن طريق الفم أو الحقن إلى داخل جسم الطفل للوقاية من داء أو مرض معين في وقت معين وسن معين.

احتياجًا إلى الدم -كما سيأتي.......[١]

[٥/أ] فاحتالوا عليها سبعة أشخاص من عمد اليهود ، أربعة منهم من آل بيت الهراري، وثلاثة من الحاخاميين، وأدخلوهما إلى بيت داود الهراري، وقتلوهما هنالك، الأمر الذي ملأت أخباره الدنيا بوفور فطنة حكمدار[٢] الإيالة المذكورة، أفندينا الكلي الوقار شريف باشا المعظم، وغيره السنيور كونتي دي داتي منطون جنرال[٣] الدولة الفرنساوية.

وكان من تمام حظي أن الإرادة والإلهية سمحت لي بمشاهدة تلك القضية، لأني كنت يومئذ بالشام زائرًا أحد أصهرتي الخواجة شيلي أيوب باشا كاتب[٤] المشورة الملكية، المشهود بفضله وذكائه الذي كان متريسًا من لدن الباشا المشار إليه على فحص[٥] هذه القضية.

وقد شاهدتها بسائر ظروفها، واطلعت على تفاسير كتب التلمود[٦]، الذين يعتمدونها أئمة اليهود في استعمال الدّم وغيره، ونقلتها من اللغة العبرانية إلى اللغة العربية بمساعدة الخواجة المومئ إليه.

---

(١) موضع النقط يبدو أن ورقة أو أكثر فقد من المخطوط الأصلي في هذا الموضع والله أعلم.

(٢) حكمدار هو ما يوازي حاكم المدينة الآن أو المحافظ، وعادة ما يكون من العسكريين الكبار أو كبار العسكريين، وفي وقت الطوارئ يطلق عليه: الحاكم العسكري.

(٣) رتبة عسكرية كبيرة معروفة ومشهورة لدى الأوربيين إلى الآن.

(٤) رئيس الكتبة أو كبير الكتاب.

(٥) تحقيق وتمحيص القضية.

(٦) في المخطوط : التلمون، وهو تحريف حيث أن التلمود من أشهر كتب اليهود وبعضهم يقدمه على التوراة، وكذلك كتاب: بروتوكولات حكماء صهيون، وكلاهما أسوأ من الآخر.

[٥/ب] وعند ذلك لم يبق لي عذر عن عمل الكتاب المشار إليه، فبدأت بفاتحته وسألت الله حسن خاتمته ، ومكثت أيامًا لا أزاول الوطن[١] ، ولا أمكن الجنن[٢] من وصال الوسن[٣]، وفيما أنا أطرر[٤] بَرده، وأوشي بُرُده[٥]، إذ عثر بي والدي على حين غفلة مني.

وكان رحمه الله كثيرًا ما يخاف عليّ من اليهود، وينهاني عن معاشرتهم بلسان ودود، فأخذ تلك الوريقات وطالعها، وفهم ما فيها.

ثم قال لي: يا ولدي برضاي عليك وبمحبتك إياي، أن تعرض عن هذا التصور الوبائي لأني لا أريدك أن تموت بإشراك هؤلاء الأرجاس المجيزين القتل لكل من يبيح بأسرارهم ولو كان يهوديًا منهم، فكم بالأحرى لمن هو مثلك، ولك بحمد الله علما كاف بما عندهم من الدّهاء والوسائط القتالة.

وما قلت لك هذا إلاّ شفقة مني عليك فإن نبذت أمري وراء ظهرك، فأنت وشأنك حر[٦].

وعند ذلك كرهت أن أقول له أف أو أراجعه مراجعة ما، [٦/أ] غير أني لبثت محزونًا أيامًا غير قليلة وأنا أتوسل أن يغير ما خطر له من ذاك الخاطر.

ومما اتفق أني خرجت معه ذات يوم لزيارة بعض أصحابنا، ولدى الاجتماع معهم صادفنا أحدهم يطالع بكازتة[٧] واردة من محروسة أزمير

---

(١) أي لا أفارق.

(٢) يريد الجنان أو القلب أو الفؤاد.

(٣) أي: النوم، والوَسَنْ: هو أول النوم أوالنوم الخفيف.

(٤) أي: أطرده وأذبه وأدفعه.

(٥) أي: أزين وأجمل وأحلي، والوشي هو النقش للتزيين.

والبُردُ: معروف وهو الكساء الواسع الفضفاض أو ما يسمى بالعباءة.

(٦) في المخطوط: لخبر. وهو تحريف من الناسخ.

(٧) هي عبارة عن مذكرة أو تقرير يعرض فيها محررها ما يريد أن يخبر به أو

مؤرخة في ثمانية عشر شهر نيسان سنة ألف وثمانمائة وأربعين محررة من إسحاق باروخ، وبعض اليهود القاطنين معه، وهي هذه:

أنّا قرأنا في الكازته المؤرخة في (٢٨) آذار سنة (١٨٤٠) المحررة من الحاخام بنحاس ساكورة، التي يلوم بها أحد إخوّتنا الإسرائيليين على حمل مفتاح مخزنه نهار السبت ويأمرها شعبنا الإسرائيلي أن يتخذوا من أمثال ذلك اتباعًا للشريعة الموسوية المؤسّسة من الله حسب أوامر الحاخامين، وتفاسيرهم، الملهمين بها من لدنه تعالى ، زاعمًا : أنه من ترك السنن الواجبة علينا توهمت غالب الأمم بنا الفساد، حتى صاروا يتهموننا بقتل البشر، فتقرير هذا [٦/ب] الحاخام قد أبان عين تعاستنا، لأنه إن كانت شريعتنا مبنية على التوراة يلزمنا بأن لا نصدق بهذه الأشياء وهي:

- أن الإسرائيليين لا يجوز لهم المشي في الطريق نهار السبت إن كان معهم مفاتيح مخازنهم، أو أدنى شيء لهم فيه لزوم ضروري.
- ولا قرأنا في شريعة موسى ، أن الذين يقرؤون في كتب ا لتلمود لا يلتزمون بشيء من خسائر الحكم ولو كانوا من الأغنياء.
- أو أن اللحوم المذبوحة بغير يد الحاخامين لا آكلها.
- وكذلك الخمر المعتصر من النصارى والأمميين لا يجب شربه، ويكره لمسه أيضًا.

فشريعة موسى ما بها ولا أدنى خيال من هذه الوصايا الأربعة التي استنها الحاخامين، وأجبرتنا باتباعها.

حتى أنهم صاروا يجيزون المكر والغش والموت لكل من خالفهم فيها

=

يأمر به الطرف الآخر المرسل إليه أو المرفوع له الأمر بما هو عليه الحال في الأمر المراد إخباره أو تعريفه به للتصرف بما يناسب الحال.

نعم إن مادة القتل البشرى لا قرأناه ولا سمعت به آذاننا، ولكن هذه[1] خرافات توجب الناس أن يقولون [٧/أ] بنا أكثر من ذلك.

فمن ينهي إلى الباب العالي الهمايوني تأسفنا وازدراءنا مع أولئك الحاخاميين الذي يجبروننا بكذا[2] مواد خرافية؟

فالله المسؤل أن يلهم مولانا المعظم الشوكلتي الأشهم بإنقاذنا من أولئك الظالمين.

فلما قرأت تلك الكازتة، سألت الجلوس عما يظنون بشأنها.

فكثرت بينهم الأقاويل، واختلفت آراؤهم في شأن أولئك اليهود مخترعيها. وسألني بعضهم عمّا أظنه.

فقلت: لأمر ما جدع قصير أنفه[3].

فألح الحاضرون على والدي رحمه الله أن يأمرني بمعارضتها، وفك عارضتها. فأذن لي حضرته بذلك قلبًا قالبًا، وحينئذ كمل سروري، وتم حبوري، وأنعم الله علي بما كنت طالبًا، فألفت كتابي هذا الذي كنت أحاوله مرارًا، وأسقى لأجله من الصبر مرارًا، وصيرته كأنه ردًا على تلك

---

(١) في المخطوط: كذا وهو تحريف من الناسخ والله أعلم.

(٢) يريد بعدَّة قوانين أو قرارات أو توصيات لا يعقلها العقل، وكلامه هنا للتمويه والتوقي.

(٣) قصير هو صاحب المثل الشهير: ليس لقصير رأي . وهو أخو جذيمة الأبرش وهو القائل لأخيه بعد أن انكشف له خديعة الزباء: ببقة تركت الرأي.
وكان من رأيه أنها لما أن أرسلت إلى أخيه تدعوه لأن تضم ملكها لملكه وتتزوجه، ويصير الأمر إليه حيث لا يصلح هذه الأمر إلاّ للرجال أنها كاذبة فيما تقول وأنها تخادعه لتنتقم لوالدها الذي قتله ، وقد كان ما توقعه قصير حيث استشاره أخوه بعد ما انكشف الأمر فقال له ساعتها: ببقة تركت الأمر وقلت ليس لقصير رأي، فصار مثلاً يضرب.

الكازتة المذكورة وقد سميته: "**حصن الوجود الواقي من خبث اليهود**" [٧ /ب] وقسمته إلى ثلاثة أقسام لينتفع به الخاص والعام، راجيًا من الله أن يحفظه من كل أفّاك أثيم، مناع للخير بعد ذلك زنيم، وأن يبر به تعبي لوجهه الكريم: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم**﴾ [1] فإنه العاصم الواقي والدائم الباقي.



(١) سورةالشعراء: (الآية:٨٨، ٨٩).

القســـم الأول
فــــي
الرد على أصحاب تلك الكازتة
وعن بيان الضمير المستتر فيها

إن أرباب الاطلاع على وقائع العالم وأخبارها، لا يغبي[1] عليهم المقصد الذي يقصدون لبعض انتشاره لغايات خصوصية.

ولكن حيث يوجد بعض أشخاص ساذجين يصدقون كل قول يسمعونه ولو كان مجردًا من كل دليل، سيّما إذا كان ذلك القول ملتبسًا تحت طي شيء يستخدمه به صاحب ذلك المقصد لأجل تصديقه.

سنح لي أن أفصح عن ضمير أولئك اليهود، طابعي تلك الكازتة بأفصح عبارة وأوضح إشارة.

[٨/أ] اعلم أيها اللبيب القاري، وفقك الباري، أن جملة الحاخامين من اليهود [الذين][2] تخلوا عن ديانتهم، واعتنقوا الإيمان المسيحي، وكتبوا ما يعلمونه من عقائد اليهود، مثل: الحاخام ناوفيطوس المتنصر سنة (١٨٠٣) للمولد المسيحي وغيره. وقد طبعت كتبهم باللغة الملدافية والرومية غير مرة.

ولاشتهار اليهود بما كانوا يبذلونه من المال في طلبها خوفًا من اشتهار رذائلهم مع مداولة الإعصار، حتى لم يبق منها إلاّ القليل، فلما كان قرب عيد الفطير الواقع في سنة (١٢٥٥) من الهجرة النبوية، اشتهرت عليهم قضية القتل لمن خالفهم في دينهم بما صنعوه في القس ثوما الفرنساوي وخادمه كما ذكرنا آنفًا[3]، واشتهار الإخفاء بعده أعجز اليهود مداراته بأيّ وسيلة

---

(١) يريد لا يغيب ولا يخفى ولا يُعَمَّى عليهم مثل هذه الحِيَلْ الملتوية لإخفاء الحقائق.

(٢) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٣) سبق الإشارة إلى فقد القصة، لفقد الورقة التي وردت بها من أصل المخطوط

كانت من وسائل الخداع.

فلذلك نصبوا لهم أشخاصًا من ملّتهم ، تتظاهر لهم بالعداوة وآذنوهم أن [٨/ب] أن يطعنوا في الشريعة الحاخامية بتلك الأربعة أشياء التي ذكروها أولئك الأزمرليون[١] ليتصور في عقول الناس أنهم أعداء لطائفتهم.

وأن قضية القتل البشري محرمة في دينهم حيث لم يذكروها مع تلك الأشياء.

وما علموا أن أصحاب العقول تتأكد أن تلك الكازتة بإرادة الحاخام بنحاس طبعت، وبمشورة كبراء اليهود انتشرت، وذلك لينفوا عنهم قضية القتل، العظيمة الخطر، ويعودوا بأسهل عبارة ويثبتون جواز هذه الأربعة أشياء العرضية، ووجوب اتباع الآمرين بها.

فإنهم يقولون: إنا معاشر الحاخاميين نُحرّم هذه الأشياء لا بدعوانا أنها مكتوبة في شريعتنا، بل لكونها موصلة إلى الأسباب المحرّمة، فإن الذي يكون معه مفتاح مخزنه في يوم سبت ربما أغواه الشيطان على بيع شيء طلب منه في ذلك الوقت، ويسر له ذلك [٩/أ] لوجود المفتاح معه فيفعل، وبهذا السبب يقع في المعصية الكبرى التي نهى الله عنها، وهي مباشرة العمل في يوم السبت.

وهاهم المسلمون يحرمون حمل الخمر وينهون عن النظر إليه، ولئلا يتوصل ناظره بما يراه من رونقه الحسن إلى شربه ، ويقع في المعصية التي نهى الله عنها بقوله تعالى: ﴿**ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾[٢].

=

ومصورته.

(١) يبدو أنها كلمة غير عربية تعني : المنافقون، أو ما يوازى في عصرنا الحديث بالمستشرقين.

(٢) سورة النساء (الآية: ٤٣).

وأما ذبح الحيوانات لا نقبله من غير الحاخامين نظرًا لعدم اعتناء غيرهم مثلهم بتصفية الدم المحرّم في شريعتنا، ووجوده في اللحوم لأنه نجس العين.

وكذا الخمر لا نقبله من غير الإسرائيليين لكونهم يعتنون بتطهير آنيتهم أكثر من غيرهم، وتطهير الإناء عندنا أمر ضروري.

وأما الذين يقرؤون بكتب التلمود نعفيهم من الجزية والخسائر لكونهم عندنا بمنزلة أناس أطهار من العلماء في الدين، [٩/ب] كما أنكم معاشر النصارى تكرمون أحباركم.

أو ليس المسلمون وغيرهم يفعلون ذلك؟!

ومن هي الملة التي لا تكرم علماءها؟!

وبكذا أجوبة يستخلصون من كل ملامة تشين عقيدتهم.

وحيث ألان ما أثمر غرس آمالهم، وفهم ضميرهم الفاسد كل من له أدنى تمييز، فشابهوا كلبًا عبر نهرًا وفي فيه قطعة لحم، فنظر لخياله في الماء ككلب آخر يحمل لحمة أكبر مما له، فطرح التي بفيه، وغمر[١] في الماء يطلب تلك اللطيفة[٢] فلم يجد شيئًا.

فإن قال: أما يمكن أن يكون أولئك الأزميريليون جاهلون بشريعة الحاخامين التي تجيز قتل البشر لسبب ما تأكد من مكتومات الديانة اليهودية، لأن سر القتل ولزوم الدم لا يودعوه في كتبهم بل هو محفوظ في صدور الحاخامين، وكبراء الملة الإسرائيلية لأنهم[٣] يتسلمون بالتقليد، حسبما قرر الحاخام موشون أبو العافية في محروسة دمشق الشام عند السؤال

---

(١) في المخطوط: قمر، وهو تحريف.

(٢) أي الخيال ، أن يطلب الخيال أو الطيف الذي يظنه كلب أو عظمة أكبر مما معه فيفقد ما ملك أصلاً.

(٣) في المخطوط: لأنه، وهو تحريف.

منه عن البرهان في استحلال استعمال الدم لمعرفتنا أنه [١٠/أ] يخسر العين لسبب تحريمه في الشريعة اليهودية.

وأجاب إن الله يحب دم قربان الفصح، ودم الطهور، وقد صادق عليه الحاخام يعقوب العنتابي بأن الله يحب هذين الدّمين.

وحينما اعترضوا عليه بأن محبة الله ما تبين منها الكيفية التي بسببها يجوز استعمال الدّم الإنساني.

أجاب: إنه بالرموز المسلّمة بين الحاخامين الكبار يعرفوا هذه الكيفية واستعمالها.

فإذا قد يمكن أن يكونوا أولئك الأزميرليون يجهلون قضية استحلال القتل، واستعمال هذين الدّمين، وإنما أخبروا بما بلغ إليه علمهم فقط، وممكن أن يكون تقريرهم هذا على بساطة.

فالجواب

أنه لا يمكن أن يكون تقريرهم هذا بسيطًا لسببين:

الأول: هو من حيث أنهم عددوا بعض أشياء عرضية لا تنفع ولا تضر على دينهم وطعنوا بها على حاخامينهم ، وتركوا الأشياء الأفظع قبحًا المسطرة في كتبهم العبرانية من تفاسير علماء التلمود [١٠/ب] أئمة حاخامينهم.

لأنهم لو كانوا بسيطين لذكروا أقل ما هو مكتوب في كتاب سهندرين في الورقة السابعة عشر، وهو: أن ابن نوح إذا شتم الله أو قتل رفيقه أو زنى بامرأة أخيه الغير إسرائيلي فهو بعد ذلك يهوديًا ولا يجب قتله. وإنما إذا قتل رجلاً يهوديًا، أو زنى بامرأة يهودية.

وبعد ذلك صار يهوديًا فلا يعفى من القتل.

ويريدون بابن نوح كل إنسان ليس هو من بني إسرائيل، لأن إسرائيل عندهم هو يعقوب، واليهود جميعًا أولادًا له ليسوا أولادًا لنوح، لأن يعقوب افترق من باقي الأمم الذين هم أولاد نوح من عهد إبراهيم، ومنه تناسلت

اليهود إلى يومنا هذا، وعبدوا الله تعالى.

وباقي الأمم بقي عليهم اسم أولاد نوح أو قوم الأرض.

أو لكانوا ذكروا بالأقل ما هو مكتوب في الورقة السابعة والخمسين من الكتاب المذكور، وهو: أن ابن نوح إذا أخطأ يقتل على يد دَيَّان[1] واحد، وشاهد واحد من جنسه.

وإذا ضرب امرأة حاملة [١١/أ]وقتل ولدها في بطنها يجب قتله.

وإنما اليهودي لا يقتل إلاّ على يدٍ ثلاثة وعشرين ديان وشاهدين ، إذا فعل شيئًا يوجب الموت.

ولا يقتل إذا ضرب امرأة حاملة وقتل ولدها في بطنها وكانت يهودية.

وما ذكره علماؤهم أيضًا في الورقة الثامنة والخمسين من الكتاب عينه، وهو: أن الذي يضرب واحدًا من بني إسرائيل على وجهه يلزمه الموت لأنه إنما ضرب الله تعالى على وجهه.

وما في كتاب كيمارات فيما في الورقة الثامنة والثلاثين حيث يفسرون علماء التلمود نبوة حبقوق النبي، وقف وقاس الأرض، ونظر وحلّل الشعب.

فيقولون حلّل الشعب: أي الغير إسرائيلي، وحلّل دماءهم لأنهم ما حفظوا السبعة وصايا التي أوصاها الله النبي نوح، وتركوا السبت الذي أمر الله تعالى أن يكون حفظه سنة إلى الدّهر.

وقد فسر هذه الجملة أيضًا الحاخام أياهو في كتاب بابا بيتره قائلاً: حلّل الشعب: أي: حلّل أموالهم وأدميتهم [١١/ب] لبني[2] إسرائيل.

---

(١) المراد به اليهودي أو من يدين بدينهم.

(٢) جاء بهامش الصفحة [١١/ب] ما نصه: جزء (٢) وهو تقسيم المؤلف رحمنا الله وإياه حيث كان الجزء في عرفهم كراسة أيًّا كان حجمها، فاعتبر ما مضى جزء أول وما هو الآن بدأ في الجزء الثاني، وهكذا حتى يصل إلى الجزء الخامس، وهو ما يعادل كل عشر ورقـــات من المخطوط جزء، فيبــــدو

والحاخام ذلي ايايين كاهانا ، الملقب بدلي بعضان يقول : وقف ليحلّل دم الأمم، فلا يعتبر الإسرائيلي وصية الله الخامسة التي أوصاها لبني إسرائيل على يد موسى وهي: لاتقتل. لأن هذه الوصية يلزم اعتبارها في الشعب الإسرائيلي فقط.

أي لا تقتل إسرائيلي مثلك.

وما في كتاب عابورة زادا من الورقة الرابعة إلى الورقة الخامسة والثلاثين: من إجماع علماء التلمود[1] على أن : لا تعطي حسنة لغير إسرائيلي لأنها إنما توجب عوض الحسنة سيئة على معطيها. وأن لا يمدح الإسرائيلي أولاد نوح، لأنه إنما يمدح أولاد الشيطان.

وأن لا تربط بهائم في خان ليس هو لهم، لأنه دنس كل مكان ليس هو لبني إسرائيل.

=

أن المخطوط الأصلي كان خمس كراسات، والله أعلم.

(١) التلمود: هو أهم كتاب عند اليهود بعد التوراة ويعتبرونه شرحًا للتوراة.

وهو من وضع علمائهم وأحبارهم، وهم يزعمون أنه الوحي الغير مكتوب الذي تركه موسى عليه السلام، وبعضهم وخصوصًا الزعماء منهم يعتبرونه ويعتقدون أنه أعظم وأهم من التوراة نفسها.

ولهم فيه اعتقادات كبيرة جدًا منها على سبيل المثال لا الحصر في زعمهم عليهم لعائن الله تعالى: أن الله لا شغل له في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة، ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء.

ومنها: أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله!!

ومنها على ما يزعمون : أنه وقع يومًا اختلاف بين الباري سبحانه وعلماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

ومن أن ابن نوح إذا سرق مالاً يساوي فضة واحدة يجب قتله ولو ردّها لأنه ردّ السرقة ما أوصى الله بها إلا بني إسرائيل.

لأن الإسرائيلي إذا سرق مهما أراد وردّه لا ملام عليه.

[١٢/أ] وقبائح أخر يتهمون بها الغير إسرائيليين ويوصون أبناء جنسهم ليسلكوا بها معهم.

وكيف يصفون بنات الغير إسرائيليين وأطفالهم، وبأي نجاسة هم من صغرهم، وربما رأوا ذلك بمرآة أنفسهم.

ولنذكر هنا بعضًا منها، ليعلم كل ذي عقل أن أولئك الأزميريليون لو كان تقريرهم على سراحة، لذكروها كما ذكروا تلك الأربعة أشياء التي لا تشين دينهم(١).

لأنه كما أن تلك ليست من التوراة ولا من شريعة موسى، فهذه أيضًا بالمثل. فمنها ما يتعلموه من حاخامينهم وهو: أنه الغير إسرائيلي إذا دخل بيت أحد العبرانيين، فاليهودي صاحب البيت يقتبله بمودة ويكرمه أيضًا.

ولكن حينما يخرج من عنده فهو ملزوم بأن يقول: فليحل على رأس هذا الذي خرج من بيتي كل نوع من الأمراض والأحزان والأحلام الرديئة التي كانت مزمعة أن تحل بي أو بأحد من أهلي(٢).

---

(١) كم في عقائدهم من الشين والمفاسد التي لا يكاد يتصورها العقل والتي منها أيضًا على ما يصوره لهم تلمودهم: أن الله ليس معصومًا من الطيش، وأنه محتاج دائمًا إلى حاخاماتهم.
وأن الله يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حوائه بعد ما زينها بملابسها وعقص لها شعرها.
وأن الله قد اعترف بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكي، ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً: تبًا لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي.

(٢) هذا شيء من عقائدهم في أنهم أفضل الخلق فمن اعتقاداتهم في أنفسهم: أن

أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه أو والده، ومن ثَمَّ كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات. وأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فهو مأوى الكفار، وهم من سواهم وكذا صور لهم تلمودهم غير اليهود بأنهم حيوانات في صورة إنسان ، إنهم حمير وكلاب ، وخنازير، بل الكلب أفضل منهم لأنهم مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضًا أن يعطيهم لحمًا بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم، ولذلك جاء في تلمودهم : وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا لخدمة اليهودي الذي خلقت الدنيا لأجله.

ولهذا فسروا وصاياهم على النحو التالي: لا تقتل: يعني: يهوديًا.

لا تسرق: يعني: يهوديًا.

لا تزني: يعني: بيهودية.

لا تشهد بالزور: يعني: على يهودي وكذا في تلمودهم مسموح بأخذ مال الأمي بالربا الفاحش ، وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل**﴾.

وكذا مباح سرقة مال غير اليهودي كما يحرم في عقائدهم التلمودية: أن يرد يهودي مال لغير اليهودي يقع في يده على أي سبيل غير مشروع ومن رد إليه ذلك فلن يغفر الله له.

وكذا غير مصرح لليهودي بأن يقرض غير اليهودي إلاّ بالربا.

ومنها أيضًا: اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من الهلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها، ويلزمه أن يسدها عليه بحجر.

ومن وصاياهم الجامعة في كتبهم العقائدية: اهدم كل قائم، لوث كل طاهر، احرق كل أخضر كي تنفع يهوديًا بفلس. العن رؤساء الأديان سوى اليهود في اليوم ثلاث مرات.

وإذا نظر الإسرائيلي ميتًا من غير الطائفة العبرانية [١٢/ب] ملزم بأن يقول: صايوم خاس لا يرخوس تربي. أي: إني اليوم نظرت ميتًا منافقًا فآمل غدًا أن أشاهد اثنين مثله.

ثم إذا مَرَّ بمسجد من مساجد الإسلام أو النصارى ملزم أن يقول: مساكيس تازا تسينه بيزاياف تاذا بينيكي شه إبريم أي أير.

أي: فليكون محرمًا المكان الدّنس الذي هو للدّنسين، والرجس الذي هو للرجسين ثم يسمون الكنيسة: طوما. أي: دنسة.

والجامع: مويخاك. أي: مستراح.

ويلقبون الإسلام: غاليش. أي: مقدمين الضحايا للأصنام.

والنصارى: غوي: أي منافقين.

ويسمون كل طفل ليس هو إسرائيلي: شابخس. أي: دودة جارّة.

وكل طفلة: سيسكالا. أي: عقلة مارّة.

وكثير مثل ذلك مما لا يُعدّ، اقتصرنا منه على ما ذكرنا حُبًّا للإيجاز.

وحيث المذكورين لم يذكروا واحدة من هذه القبائح ، فقد علم جيدًا أن تلك الكازتة ما تحررت إلاّ [١٣/أ] لنفي ما اشتهر على طائفتهم من استحلال القتل فقط، لتكون شهادتهم مقبولة عند الناس بسبب تظاهرهم بالخصومة لحاخامينهم بتلك الأشياء التي عددوها.

مترجين أنهم من نفوا عنهم قضية استحلال القتل، يسهل عليهم نفيها أيضًا بعبارات كالتي ذكرناها آنفًا.

لأن المرء إذا وقع بين رأيين يبدأ بمداواة أخطرهما.

ولا بأس من أن نورد هنا نبذة تليق بهذا الموضوع: فقد حكى أن امرأة يقال لها الزّبّاء(١) غزت رجلاً اسمه قصير، وقتلت أباه، فلما أعيته الحيلة

---

(١) هي الزباء بنت عمرو، وكانت ملكة جليلة ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة =

في أمرها، قام فجدع أنفه، وأفرد له مائة جمل، وجعل على كل منهم صندوقين، مختف فيهما أربعة رجال، وتوجه بهم نحوها.

=

وحزم شديد، وقصتها مع جذيمة الأقيشر مشهورة وقد ذكرت التعليق عليها في تحقيقي لكتاب "أسماء المغتالين في الجاهلية والإسلام" لمحمد بن حبيب ترجمة رقم (١) فراجع القصة هناك بتمامها.

وقد سميت الزباء بنت عمرو بالزباء على ما قاله ابن الكلبي: لأنه كان لها شعرًا إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، والأزب الكثير الشعر.

واختلف في نسبها فقال الطبري: إنها الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع.

وفي الأغاني إنها الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حيان بن أذينة بن هويز العاملي من عاملة العماليق.

وفي شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة، أنها: الزباء بنت مليح بن البراء.

وقال الطبري: اسمها نائلة.

وقال ابن الكلبي اسمها رفاعة.

وقال الذهبي: اسمها ميسون بنت عمرو. وفي جمع الأمثال: أنها من أهل ياجرى.

وفي رواية المفضل الضبي أنها من الروم وأمها من العماليق، ولكن الجمهور على أنها من العمالقة، وأمها من الروم.

واختلف الباحثون في العصر الحاضر في الزباء، وهل هي زينوبيا؟

فقال بعضهم: إنما هي زينوبيا وجزموا بذلك. وقال بعضهم: الزباء هي زينوبيا و لم يجزموا بصحة ذلك .

وقال آخرون: إن الزباء غير زينوبيا. وإذا قرأ الباحث ترجمة الزباء وقارنها بترجمة زينوبيا يجد تباينًا فيهما وينجلي ذلك التباين في حادث وفاتها ، ولذا أفردنا لكل منهما ترجمة "قال ذلك محمد رضا كحالة بهامش أعلام النساء (٢/٦)". وذكر لها ترجمة وافية.

فلما أبصرت الجمال مقبلة قالت بفرط ذكائها شعرًا:

أَرَى الجِمَالَ مَشْيُهم وَهِيْدا   أَجَنْدُلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيْدا؟

أَمِ الرجَالَ جُثَّمًا قُعُــودًا

[١٣/ب] وعند وصوله سألته: من صنع بك هذا الذي أراه؟

فقال: أخي لامتناعي عن المسير معه لمحاربتك، وها هو مقبل عليك بأربعة آلاف رجل وما جئت إلا مستجيرًا بك عليه.

فلم تشك بقوله نظرًا لما شاهدته من سوء حاله وانجداع أنفه.

فأدخلته الحصن، ولما جَنَّ الليل قام فأخرج رجاله وهجم عليها، فقتلها، وقتل رجالها، وملك المكان، ولم يبال بجدع أنفه في جانب ما يرجاه من أخذ ثأره(١).

---

(١) اختلفت الرواية هنا عما هو في كتب السير والتواريخ وقد أشرت بإيجاز إلى القصة في أكثر من موضع فيما مضى، والزباء هي صاحبة المثل السائر: بيدي لا بيدك يا عمرو.

وكان سبب ذلك أنها لما أيقنت بأن عمرو بن عدي قاتلها كان بيدها خاتم به سم فمصته لتموت قبل أن يقتلها، وقالت: بيدي لا بيدك يا عمرو، فسارت مثلاً، وعلاها عمرو بالسيف فقتلها، بعدما مصت السم.

ومما قاله الأستاذ محمد رضا كحالة في ترجمتها في أعلام النساء: ملكة جليلة ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة وحزم، وشدة بأس مع جمال بارع وحسن باهر ملكت على الشام والجزيرة من قبل الرومان بعد قتل أبيها عمرو بن ظرف . وذلك أن جذيمة جمع جموعًا من العرب، وكان على ثغر العرب من قبل أزدشير بن بابك، فسار يريد عمرو بن ظرف، فأقبل عمرو بجموعه على الشام ، فالتقوا، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقتل عمرو بن ظرف، وانفضت جموعه، وانصرف جذيمة بمن معه سالمين غانمين.

ولما ارتقت الزباء أريكة الملك أخذت تحصن مملكتها مدائن وقصورًا على شط الفرات من الجانب الغربي والشرقي لا يسلكها سالك ولا يدركها

كما أن اليهود لم يبالوا بتلك الأشياء التي ذكروها، لينتفي عنهم العار الأعظم قبحًا.

ولعمري لقد خزاهم الله، وأرادوا أن يسدوا ففتحت عليهم أبــــواب حتى حق لهم بأن يرثوا نفوسهم ببيت فتح الله النّحاس حيث يقول شعرًا:

كَمْ أُدَاوِي القَلْبَ قَلَّتْ حِيلَتِي؟ كُلَّمَا دَاوَيْتُ جُرْحًا سَالَ جُرْحُ

ومن ثم برهان عن السبب الأول.

فنجيب عن السبب الثاني فنقول:

السبب الثاني:

أن كل يهوديًا[١٤/أ] فقيرًا كان أو غنيًا يعلــم جيــدًا أن الشــريعة الحاخامية توجب الموت على كل من يبيح بسر من مكتوماتها ، أو يتكلم بما يضر أحد اليهود، أو يهن شرف الطائفة الإسرائيلية.

كما يشهد بذلك محررين تلك الكازتة بقولهم: إن الشريعة الحاخامية تجيز المكر والشر حتى الموت لكل من خالفها.

والسبب أن اليهود جميعًا يعرفون ذلك، وهم الحاخامين عينهم لأنهم ينبهون شعبهم على كذا مواد خوفًا أن يبيحوا بسر من أسرارهم فيوجبــون

=

طالب فاتخذت لنفسها نفقًا في حصن كان لها على شط الفرات ، وسكنت الفرات في وقت قلة الماء، وبنت أرصاء من الآجر والكلس متصلاً بذلــك النفق وجعلت نفقًا آخر في البرية بمدينة لأختها، ثم أجــرت المــاء عليــه، فكانت إذا خافت عدوًا دخلت النفق.

ومن ثم اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها، وأخــذت تغــزو بجيوشــها وجنودها الذين كانوا من بقايا العماليق والعاربة الأولى، وتزيد، وسليح ابني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ومن كان معهم من قبائل قضاعة، مارد حصن دومة الجندل، والأبلق حصن السمؤل بن عاديا فلــم تقــدر عليهما، فقالت: تمرد مارد، وعز الأبلق. فصارت مثلاً لكل ما يعز ويمتنــع عن طلبه.

الموت على من يبيح به.

ولقد صرح[1] علماء التلمود ذلك بعبارات وجيزة في غالب كتبهم.

وأوضحها ما ذكره[2] علماء التلمود في الكتاب المدعو : "سارفيم" في الرأس الثاني عن تفسير الإصحاح الثاني عشر من الجامعة حيث يقولون: يا بني إذا حفظت بإصغاء لأقوال الربيين أعظم من أن تحفظ أقوال التوراة، [١٤/ب] لأن أقوال الناموس منها منكرات، ومنها حتميات، والذي يخالف أقوال الربيين هو مستحق الموت[3] .

---

(١) في المخطوط: صرحت. وما أثبته أولى.

(٢) في المخطوط: ذكرته. وما أثبته أولى.

(٣) لا تستغرب، ولا تستنكر أخي القارئ مثل هذا القول من مثل هؤلاء ، فمن كتبهم أيضًا: إن إسرائيليًا سأل إلهه قائلاً لماذا خلقت سوى شعبك المختار؟ فأجابه قائلاً: لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوثوا طاهرهم، وهدموا عامرهم.

ومن فظائع ما ارتكبوا على مرّ العصور على سبيل المثال لا الحصر ومن واقع كتبهم وباعترافهم في بعض تلك الكتب والتي منها كتابهم المسمى: سد صاد رون:

- أن الحاخامات تسببوا في روما في قتل جملة من النصارى.
- وأن الأمبراطور مارك أوريل قتل جميع النصارى بناء على إيعاز اليهود.
- وأنه في سنة ٢١٤ بعد المسيح عليه السلام قتل اليهود مائتي ألف مسيحي في روما وكل نصارى قبرص.
- وأنه في زمن البابا كليمان قتل اليهود في روما وخارجًا عنها جملة من النصارى كرمال البحر.
- وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الأمبراطور ديو كليسين جملة من المسيحيين بما فيهم من الباباوات.

=

وما ذكروه أيضًا علماء التلمود في الكتاب الأول من المجمع المسمى: "براخوت" في الورقة الثامنة والخمسين من البند التاسع وهو: أن عالمًا من اليهود صادف رجلاً إسرائيليًا فضربه، وحالاً توجه المضروب وشكاه إلى حاكم الوقت[1] : إن عالمًا من اليهود يشرع بغير أمر الملك ويؤدب الناس بما يراه، ونحن لا نعرف حاكمًا سواك.

فأمر الحاكم بإحضاره، وإذ حضر سأله عن سبب ضرب ذاك الإنسان؟

فقال: إني رأيته يزني بحمارة، ولي من يشهد عليه بذلك.

ثم رفع طرفه إلى السماء ، فأرسل الله له الخضر[2] الذي يسمونه إيلياء[3] وشهد له بإقراره -أي: أن ذاك الزاني كان يفتعل بحمارةٍ.

=

- ولقد ثار اليهود على المسيحيين في فلسطين عام (٧٠) وذبحوا منهم خلقًا كثيرًا.
- وفي عام (١٣٤) ذبحوا منهم وشنقوا عشرات الآلاف في فلسطين.
- وفي عهد الحاخام اكيبا ذبحوا من المسيحيين مائتي ألف في ليبيا، ومائتي وأربعين ألفًا في قبرص.
- وفي عام (١٣٢) قتل اليهود بقيادة باركوفيا عشرات الآلاف من المسيحيين في فلسطين.
- وفي عام (١٥٥) قتل الأمبراطور جميع النصارى في رومانيا بناء على دسائس الحاخام يهوذا.

فهذا غيض من فيض من جبروقم وبطشهم غير ما هو في أيامنا هذه، وما تطفح به الكتب والإذاعات والصحف وأجهزة الإعلام بكافة أنواعها.

(١) في المخطوط: قائل. وهو سهو.

(٢) في المخطوط: الخدر. بالدال بدل الضاد، وهو تحريف، وسيأتي الكلام عنه بعد قليل إن شاء الله أثناء نفس القصة.

(٣) هو إلياس عليه السلام، وهو نبي غيره.

وكان ذاك الملك شديد البغضة لهذه الرّذيلة، فقال للعالم: [١٥/أ] ولِمَ لم تقتله؟

فأجاب: إننا معاشر اليهود لم نؤذن بالقتل بعدما تغربنا من أرضنا أورشليم، أي: بيت المقدس.

وبعد ضرب الزاني ثانية من الملك وخرج من أمامه قال للعالم: لقد كذبت عليّ وخالفت وصية الله، وسيأخذك بكذبك، فقد علم أني ما زنيت إلاّ بإنسانية، وما زنيت بحمارة قط.

فقال له العالم : يا مغضوب، وهل إنسانية لغير بني إسرائيل، أليس هم عندنا حمير وحيوانات؟!! والخاصية التي في الحيوانات هي فيهم أيضًا.

ألم تسمع شهادة الخضر[1] الذي شهد بها عليك ، من أنك

(١) في المخطوط: الخدر أيضًا، وقد يكون تصحيفًا سمعيًّا تحول إلى تصحيف خطي. والمعروف عن الخضر هذا أنه عبد صالح آتاه الله من لدنه علمًا وقصته مع سيدنا موسى عليه السلام وغلامه مشهورة وذكرها القرآن تفصيلاً في سورة الكهف.

وتنسج الصوفية حول سيرته الأساطير والحكايات الكثيرة التي لا أساس لها من الصحة.

وأنا أذكر طرفًا مما ذكره ابن كثير عن الخضر عليه السلام في كتابه قصص الأنبياء (٣٨٥) في ذكر قصتي الخضر، وإلياس عليهما السلام، فيقول: قد اختلف في الخضر، في اسمه ونسبه، ونبوته وحياته إلى الآن -أي إلى زمن ابن كثير، قلت: ومازال الخلاف قائمًا إلى الآن- على أقوال سأذكرها لك هاهنا! إن شاء الله وبحوله وقوته:

قال الحافظ ابن عساكر: يقال إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه....

وقال أبوحاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني سمعت مشيختنا منهم أبوعبيدة وغيره قالوا: إن أطول بني آدم عمرًا الخضر، واسمه: خضرون بن قابيل بن آدم....

=

=

وذكر ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه: أن اسم الخضر: بليا، ويقال: بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ....

وقال إسماعيل بن أبي أويس: اسم الخضر فيما بلغنا والله أعلم: المعمر بن مالك بن عبدالله بن نصر بن الأزد.

وقال غيره هو: خضرون بن عمياييل بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. ويقال هو: أرميا بن حلقيا. فالله أعلم.

وقيل: إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر، وهذا غريب جداً.

قال ابن الجوزي: رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة، وهما ضعيفان.

وقيل: إنه ابن مالك وهو أخو إلياس قاله السدي.

وقيل: إنه كان على مقدمة ذي القرنين.

وقيل: كان ابن بعض من آمن بإبراهيم الخليل، وهاجر معه.

وقيل: كان نبياً في زمن بشتاسب بن بهراسب. قال ابن جرير: والصحيح أنه كان متقدماً في زمن أفريدون بن أثفيان حتى أدركه موسى عليه السلام.

وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال: الخضر أمه رومية، وأبوه فارسي.

.... وقال بعضهم : كنيته أبوالعباس والأشبه والله أعلم أن الخضر لقب غلب عليه.

قال محققه: ثم أنا اقتطف لك نبذة مما نسب إلى الخضر من الأقوال وإن كنت لا أعتقد نسبتها إليه غير أني أذكرها لما فيها من الحكمة أو الفائدة حيث هي من طيب الكلام ومفيده نقلاً عن ابن كثير أيضاً في قصص الأنبياء: .... ثم قال موسى: أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك.

فقال الخضر يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع، فلا تُمل جلساءك إذا حدثتهم واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك، واعزف عن الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل =

افتعلت بحمارة؟

وهل تكذب ما قاله هذا النبي الأعظم الذي بعثه الله إليّ وكانت شهادته من أمره تعالى؟

=

قرار، وإنما جعلت بلغة للعباد ، والتزود منها ليوم المعاد، ورض نفسك على الصبر تخلص من الإثم.

يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريده، فإنما العلم لمن تفرغ له، ولا تكن مكثارًا للعلم، مهذارًا فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوئ السخفاء، ولكن عليك بالاقتصاد فإن ذلك من التوفيق والسداد، وأعرض عن الجهال وماطلهم، واحلم عن السفهاء فإن ذلك فعل الحكماء وزين العلماء ، وإذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلمًا، وجانبه جزمًا، فإن ما بقي من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم.

يا ابن عمران: ولا ترى أنك أوتيت من العلم قليلاً، فإن الاندلاث والتعسف من الاقتحام والتكلف.

يا ابن عمران : لا تفتحن بابًا لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن بابًا لا تدري ما فتحه.

يا ابن عمران: من لا تنتهي من الدنيا همته، ولا تنقضي منها رغبته، ومن يحقر حاله، ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهدًا؟

هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه؟

أو ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه؟

لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه.

قال محققه: وقصة الخضر عليه السلام تطول كما أسلفت وقد ألفت في سيرته المؤلفات وأغلبها لا يصح، وأرى أنه ليس منها صحيح على الإطلاق إلا ما ورد من خبره في سورة الكهف . وفقط، ولو كان في خبره ما يفيدنا لأخبرنا به ربنا سبحانه وتعالى، ولأعلمنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره الله تعالى الكفاية لمن سطعت عليه أنوار الهداية.

وإذ سمع المضروب ذلك رجع ليوشي بخصمه للملك ويُعَرّفه بما قاله ذلك العالم اليهودي.

ومذ عرف العالم ما يريده، وأنه راجع ليبيح بأسرار الديانة الإسرائيلية ضربه[1] ضربة [١٥/ب] أعدمه بها الحياة.

فانظر أيها النبيه النبيل ما تقوّلوه علي[2] ذلك النبي الجليل من أنه شهد بأننا حمير وحيوانات.

وأنهم [أوردوا][3] خباثة هذه العبارة التي ذكرها علماء التلمود في أول كتبهم ليشهدها كل يهودي، ويفهم أن خطيئة الزنا عندهم أقل وزراً على مرتكبها من أن يبيح بشيء من مكتوماتهم، لأن ذاك العالم عندما شاهد ذاك الرجل الزّاني يفسق بتلك المرأة المصرية ما استحل قتله بسبب ذلك، ولكن عندما لحظ أنه يريد أن يبيح بالسرّ حالاً قتله مستحلاً ذلك، كأنه غير أمراً إلهيًّا[4].

فمن حيث هذه حالتهم وعلى مثل هذه الخرافات يسندون نصوصهم، فكيف يمكن أن يكون أولئك الأزميرليون[5] حرروا تلك الكازتة على بساطة؟ أو يصدق ذو عقل أنهم يرضون بإهانة الطائفة الإسرائيلية؟

أو يتفوهون بما يشينهم مع علمهم أنهم متى فعلوا ذلك لا ينجون من الموت؟

---

(١) في المخطوط: ضرب. وهو تحريف.

(٢) في المخطوط: عن، وهو تحريف.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

(٤) في المخطوط: غر أمر إلهي، وهو تحريف، وأثبت ما هو مناسب للسياق وغيرت ما يلزم.

(٥) كذا يذكر هذه الكلمة بهذا الرسم مرة ومرة أخرى بالواو أي: بهذا الرسم: الأزميوليون.

[١٦/أ] ولنذكر هنا ما يناسب هذا المعنى نبذة شاهدتها [أنا][١] الفقير بعيني وسمعتها بإذني، وما كان لها أن يغشاني: وهو أنني لما كنت في محروسة دمشق الشام، ادعى أحد كبراء اليهود المعلم: رافائيل شحاتة بمبلغ ينيف عن خمسين ألف درهم، زاعمًا أنه كان أرشى به الخواجة شبلي أيوب، وجعل يورد على الخواجة المذكور ببنات إفكيه، ودلائل عنكبوتية.

وحيث أن الخواجة المذكور كان رئيس كتاب المشورة الملكية، وله أخصام كثيرة كما سبق، فقال عن ذلك ابن الوردي[٢] شعرًا:

إن نصف الخلق أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

أعيته الحيلة في دفع هذه الدعوى، وما استطاع مدافعتها بوجه من الوجوه لأن أخصامه كانوا يعظمونها عليه، ويصورونها في عقول أولياء الأمور بتصاوير شيطانية.

وحيث هو كان [١٦/ب] عارفًا بديانة اليهود، طلب من المعلم: رفائيل المذكور أن يحلف له اليمين المعظم الذي اخترعته علماء التلمود، ومتى فعل ذلك يعطيه ما ادعى به.

وكان الخواجة المذكور قد تعلم هذا اليمين من شمامسة النصارى، [إذا][٣] كان أصله يهوديًا وتنصر.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) ابن الوردي عالم وأديب وشاعر صاحب نظم أدبي رفيع صار لما بعده مدرسة يتلقون منها وينهلون من معينها النثر والشعر والبلاغة وله رسائل في فنون شتى ، وهو صاحب نثر ابن الوردي والذي نشر في أواسط الثمانينات مع دراسة شاملة عنه وعن نثره تحقيقًا نشرها الدكتور محمد مصطفى رضوان وهي مع صغر حجمها إلا أنها مفيدة جدًا تعطي القارئ فكرة كاملة عن ابن الوردي وأدبه نثرًا وشعرًا.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

وهذه هي صورته:

تنبيه: يقتضي أن يكون هذا اليمين بحضور الحاخامين واثنين وسبعين نفسًا من أعيان طائفة اليهود، وواحد وعشرون ولدًا دون البلوغ.

ليداوموا عند تلاوة اليمين قول: آمين ويكون تلاوة هذا القسم يوم السبت بعد الباكرية[1]، والشموع موقودة في أيدي الحاضرين جميعًا.

ويشترط بذلك أن يحمل تاليه الكنتير على يديه، ويُوقف أولاده عن يمينه وعن يساره، وإن لم يكن له أولاد، فأقرب الناس إليه وأعزهم عليه[2]

---

(١) أي: بعد الفجر.

(٢) لا تعجب من هذا الوصف وهذا التقسيم وهذه الطقوس التي اخترعها من وضعوا التلمود، فإن أسلافهم وضعوا أكثر من ذلك وأكبر، وإليك طرفًا مما ذكره ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٢٢٥) في فصل فيما بدّله اليهود وغيروه وكفروا به، إذ يقول: قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: إذا كانت هذه النبوات عند اليهود، وهم مقرون ومعترفون بها أنها حق وأنها عقيدة أن تكمل عند مجيء المسيح، فأي حجة لهم يحتجون بها عن الإيمان به؟

أجابوا قائلين: إن الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم على الناس له شعبًا في ذلك الزمان، وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل إليهم موسى النبي دلهم على معرفة الله ووعدهم أن الله يخلصهم من عبودية فرعون ويخرجهم من مصر ويريهم أرض الميعاد التي هي أرض بيت المقدس ، فطلب موسى من الله وعمل العجائب قدام عيونهم.

وضرب أهل مصر العشر ضربات ، وهم يرون ذلك جميعه، ويعلمون أن الله يصنعه لأجلهم، وأخرجهم من مصر بيد قوية، وشق لهم البحر وأدخلهم فيه وصار لهم الماء حائطًا عن يمينهم وحائطًا عن شمالهم، ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل ينظرون ذلك. فلما برز موسى وبنو إسرائيل من البحر وخلفهم فرعون بجنوده فيه أمر الله لموسى أن يرد عصاه إلى الماء

فعاد الماء كما كان وغرق فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل يشهدون ذلك.

فلما غاب عنهم موسى أتى الجبل ليناجي ربه وأخذ لهم التوراة من يد الله وتركوا عبادة الله ونسوا جميع أفعاله، وكفروا به وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك، ثم عبدوا الأصنام مرارًا كثيرة ليس مرة واحدة، وذبحوا لها الذبائح ليست حيوانات بل بنيهم مع البنات حسبما ذكر فيما قبل ذلك.

وجميع أفعالهم مكتوبة في أخبار بني إسرائيل فلما رأى الله قساوة قلوبهم، وغلظ قلوبهم وكفرهم به، ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة غضب عليهم، وجعلهم مرذولين وطبع على قلوبهم فلا يؤمنون، وجعلهم مهانين في جميع الأمم وليس لهم ملك، ولابلاد، ولا نبي، ولا كاهن إلى الأبد حسبما تنبأت عليهم الأنبياء على ما ذكرناه قبل، وتشهد به كتبهم التي في أيديهم إلى يومنا هذا.

وكذا قال الله لأشعيا : "اذهب إلى هذا الشعب وقل لهم تسمعون سماعًا ولا تفهمون ، وتنظرون نظرًا ولا تبصرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وقد سمعوا بأفهامهم سمعًا ثقيلاً، وقد غمضوا أعينهم لئلا يبصروا بها، وسمعوا بآذانهم ولا يفهمون بقلوبهم، ويرجعون إليّ فأرحمهم".

وقال أشعيا: قال الله: "هكذا مقت نفسي سبوتكم، ورؤس شهوركم، صارت عندي مرذلة".

وقال: وفي ذلك اليوم يقول الله: "سأبطل السبوت والأعياد كلها، وأعطيكم سُنّة جديدة مختارة لا كالسُّنَّة التي أعطيتها لموسى عبدي يوم خوريب، يوم الجمع الكثير، بل سُنَّة جديدة مختارة آمر بها وأخرجها من صهيون".

فصهيون هي أورشليم، والسُّنَّة الجديدة المختارة هي السُّنَّة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الأطهار، والذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليم العالم، وأندوا بهذه السُّنَّة الجديدة.

فأي بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان؟

[١٧/أ] يقول: أنا فلان بن فلان الفلاني، أقسم بالله الحي إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وبهذا الكنتير الطّاهر، أمام جمهور الحاخامين، وهذا الشعب الإسرائيلي الموجود بهذا الكنيس، أنني [ما][1] صنعت ما هو كذا

=

إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما أعداؤنا اليهود والمخالفون لديننا شهدوا لنا بصحة ذلك جميعه.

وأما حجة اليهود في هذه النبوات يقولون: ويعتقدون أنها حق، وأنها قول الله، ولكن يقولون: إنها عتيدة أن تكمل وتتم عند مجيء المسيح.

لكن المسيح ينكرون مجيئه، ويقولون بعدما جاء: إن الذي جاء ليس هو المسيح ، هذا قولهم. وكفاهم أنهم يكفرون ويفتخرون مع الكفر، ويقولون: إن المسيح كان ضالاً مضلاً، وأما المسيح الحق، فعتيد، أنه يأتي، ويكمل نبوات الأنبياء، وإذا اتبعناه، وكنا أنصاره.

وهذا رأيهم واعتقادهم في السيد المسيح، فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي هم عليه؟

ولأجل ذلك في هذا الكتاب (أي القرآن الكريم) سماهم المغضوب عليهم. لأجل خلافهم لقول الذي أرسل نطقه على أفواه الأنبياء ولما كُنَّا نحن النصارى، متمسكين بما أمرنا به الرسل الأطهار، سمانا في هذا الكتاب : المنعم عليهم ....

أما كفر اليهود كلهم لما أرسل المسيح عليه السلام إليهم فلم يؤمنوا به وكفر من كفر منهم قبل ذلك، إما بقتل النبيين، وإما بتكذيبهم، وإما بالشرك وإما بغير ذلك، مما كفروا فيه بما أنزل الله فهذا حق.

.... وكذلك ما ذكره من أن الله أقام سُنَّة جديدة وعهدًا جديدًا، وهو ما بعث به المسيح عليه السلام من الشريعة التي بعث بها، وفيها تحليل بعض ما حرمه الله في التوراة، كما في القرآن عن المسيح: ﴿**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**﴾ فهذا أيضًا حق.

(١) زيادة يتطلبها السياق.

وكذا، ولا تقوّلت على هذا الرجل فلان بن فلان، لا بنفسي ولا بواسطة أحد من عباد الله تعالى، ومن سائر المخلوقين من عهد آدم إلى يومنا هذا، وليس لي علم من هذه الدعوى الذي يقولها مطلقًا، ولا بوجه من الوجوه، وإن كنت حلفت هذا اليمين كاذبًا، أو حوّلته على معنى آخر، أو حلفته نوع من الأنواع [من][1] الحيل التي لي في شريعتي أن احتال بها، وأحلف على غير الصحة، أو كنت أضمرت بأن أتلو هذا القسم على وجه الخبر أو النقل، أو كنت تعمدت ضرره [١٧/ب] بحلفي هذا زورًا فليكن هذا الكنتير الطاهر خصمي قدام الله والملائكة والأنبياء وخصم عيالي وأولادي، وأكون كفرت بما هو مكتوب في هذا الكنتير الطاهر، وتبريت من دين شماع إسرائيل، ولتكن امرأتي أرملة، وأولادي يتامى، وبيتي خرابًا، ولا يوجد من يشفق على أيتامى، وتشهد عليّ جماعة اليهود الحاضرين هنا في هذا الكنيس بمشاهدة الكنتير الطاهر مع هؤلاء الحاخامين، ويكونوا شهودًا عليّ يوم الله المخيف، ولتأت اللعنة والغضب على بيتي حسب قول النبي القائل: تأتي اللعنة والغضب على بيت من يحلف باسمي زورًا، إذا كنت تجاسرت على هذا اليمين المهول بنوع خبث واستهتار مني، ويميني هذا حلفته بغير خبث ولا نية معوجة، كما هو أمام الله المعروف اسمه، عندنا [١٨/أ] ....،....[2] أعني: يهوه أيلوهيم ويشيم يحود فنشا وبيربخو اوشحتينه[3].

وأما هذا الكنتير الطاهر الذي هو من الله ....،....[4] هكيود ويهرز، وهو الشاهد على صدق يميني ....[5] ويجعل قصاص إن كان قسمي

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) موضع النقط بياض قدره أربع كلمات بينهما فاصلة.

(٣) عبارة عبرية.

(٤) موضع النقط بياض في المخطوط قدره ثلاث كلمات بينهما فاصلة.

(٥) موضع النقط: بياض في المخطوط قدره كلمة.

هـــذا زورًا، أو خبيث أو استهتار بهذا اليمين، وأكون كفرت بمعتقدي وديانتي الإسرائيلية، وإذا طلبت أن يقبل مني السّماح عن يميني هذا بالسلحوت، فلا يقبل مني ذلك، ولا يكون لي مغفرة ولا سماح لا بهذا الدّهر ولا بالدهر الآتي ولتكن سوء عاقبته مع الغضب واللعنة عليّ وعلى أولادي الحاضرين معي بهذا القسم، وعلى من يعلم أني معتمده زورًا ولا ينهاني عنه، وعلى من يعلم بعد حلفي هذا ولا يقرر عني بأنني حلفته زورًا، ويكون شريكي هذا القسم، ويكون كافة الحاضرين شهودًا [١٨/ب] على صدق يميني هذا بأنني حلفته صادقًا أمام الله وهو خير الشاهدين فلما نظر المعلم: رافائيل لهذا اليمين ادعى أنه لا يجوز عندهم تلاوته لا بالحق ولا بالباطل وأحضر شهادة على قوله من حاخامين الشام.

ولكن بالتعاسة تلك الشاهدين لأن الله خزاهم خزيًا لا انتصار بعده.

حيث أن الخواجة شبلي أيوب المومئ إليه كان قبل أن يظهر هذا اليمين حرر إلى إخوته وأصدقائه في حلب والقدس وطبرية يعلمهم أن رجلاً من اليهود ادعى على واحد من طائفة[1] اليهود بعشرة آلاف غرش[2]، والمدعى عليه أنكر ذلك ، فطلب منه المدعي يمينًا معظمًا في دينهم فلم يقبله، وزعم أن حلفه لا يجوز لا بالحق ولا بالباطل، فأقنعته حاخامين الشام فلم يقتنع، فأرجو منكم أن تستفتوا لنا عليه من الحاخامين الموجودين بطرفكم [١٩/أ] والذي يقولونه تأخذوا لنا به صكًا ممهورًا منهم، وترسلوه لنا لأجل إقناع أحدهم، ثم أرسل لكل منهم صورة اليمين المذكور وقد جاءت شهادات ممهورة بأختام أولئك الحاخامين، مصرحة بجواز حلفه إذا كان الذي يحلف صادقًا.

---

(١) في المخطوط: طائفة، وهو تحريف.

(٢) كذا في المخطوط: وهو ما يقابل في المصرية وبعض البلاد العربية الأخرى: قرش.

فلما جحد المعلم رافائيل هذا اليمين، وادعى ما ادعاه بشهادة حاخامين الشام، أبرز الخواجة شبلي تلك الشهادة الواردة له عن يد أصدقائه، وأطلعه عليها سعادة الليث الهصور، والشهم الجسور أفندينا الكلي الوقار سر عسكر باشا المعظم شبل ولي النعم الخديوي الأعظم محمد علي باشا ملك الأقطار المصرية، وحاملاً صدر أمر دولته الحكمدار أيالت الشام بصرف النظر عن هذه القضية إذا لم يحلف المعلم: رافائيل ذلك اليمين المذكور. وبهذه الوسيلة ارتفعت تلك الغرامة [١٩/ب] عن الخواجة شبلي، التي كان مزمعًا أن يغرمها.

ولكن بالسوء حال أصاب ذاك الشماس المسكين الذي كان دفع هذا اليمين بيد الخواجة شبلي، لأن اليهود باجتهاد عظيم فحصوا عنه، وأبادوه من هذا العالم، وما عرف بعد ذلك له مقرّ ولا وجد له أثر.

فانظر كيف أن أولئك الأرجاس ما اجتهدوا بقتله عند ما كان تنصر، وكانوا يتوقعون رجوعه إليهم، ولكن عندما فهموا أنه أباح بسر من أسرارهم حالاً لاشوه[(١)] من على وجه الأرض.

وحيث هذه معاملتهم مع من يبيح بمكتوماتهم، فلا يمكن أن يكون أولئك الأزميرليون حرروا تلك الكازتة إلاّ باتفاق كبراء ملتهم وعلماء شريعتهم.

وبهذا القدر كفاية لمن له أدنى دراية، ولنختم هذا الباب بعبارة وجيزة عقلية يثبت لنا قتل ذاك القسيس الفرنساوي هو وخادمه من أولئك اليهود الأنجاس القاطنين بمدينة دمشق[(٢)].

---

(١) يريد أبادوه من على وجه الأرض بمكرهم وحيلهم، دون أن يفطن لهم أحد أو أن يستطيع أن يثبت أنهم هم فاعلون لذلك الأمر الفظيع القبيح، والمعروف عنهم أنهم أهل الدسائس والجاسوسية والغدر والخيانة ، فهم بحق خفافيش الظلام وقراصنة البشر برًا وبحرًا، نهارًا وليلاً.

(٢) ربما كان هنا سقط لورقة من المخطوط، وإن كنت ارجح عدم حدوث =

[٢٠/أ] فلا خفاء [على][1] ذوي العقول، أن قتل البشر من بعضهم بعضًا ليس هو أمر ضروري التعجب، كون حدوثه ليس هو مستجد في العالم ، سواء إن كان الجنس مع غير جنسه أو الجنس بجنسه، أو الأب بابنه، أو الابن بأبيه.

وإنما التعجب حيث لم يسمع قتل[2] تلك الواقعة بأن أهل بلدة تتعرض للشكوى وتشهد ببراءة بعض أشخاص جاري عليهم التحقيق بدعوى القتل في بلدة أخرى بعيدة منهم، إلاّ من اليهود عند قتل ذلك القسيس.

فإنه من قبل أن يفهموا كيفية التحقيق الذي كان جاريًا على يهود الشام، وبأي حكمة ظهر صنيعهم الرديء، تعصبوا باجتهاد من أربع أقطار المسكونة[3]، وجعلوا يقدمون العرض حالات[4] الإفكية للأبواب العلية الخديوية بنفي الدعوى عن القاتلين بالشام، مع أن القاتلين أنفسهم اعترفوا

=

ذلك وإنما ذهب ظني لذلك لعدم تمام وضوح الاتصال، وإن كان يبدو متصلاً ولكن بغير أداة ربط مباشرة. فالله أعلم.

(١) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٢) ربما كان هنا سقط لكلمة في هذا العبارة، أو أن كلمة: قتل أصلها: أهل وتحرفت من الناسخ فالله أعلم.

(٣) يريد المعمورة، وهي الأرض وكم لها من أسماء وصفات ومسببات، وهذا المذكور منها.

(٤) هي طلبات تقدم إلى المختصين يعرض فيها المتظلم أو المتضرر أو الطالب لشيء أو الشاكي من أمر حاله طالبًا إزالة ضرره أو تحقيق مراده.

وكان هناك من يرتزقون من وراء كتابة تلك العرائض ويسمون القائم بذلك العرضحلجي ، وقد كاد أن ينقرض هذا المرتزق بعد انتشار التعليم ويقوم كل إنسان الآن بكتابة شكواه أو طلبه بنفسه ويقدمه إلى المختص يدًا بيد أو عن طريق البريد الذي تعدد صفاته هو الآخر الآن حتى صار إليكترونيًا.

بسوء صنيعهم، ولم يروا محلاً للإنكار، وبينوا آثار المقتولين للعيان [٢٠/ب] وكشفوا عن الباعث الذي لأجله تعمدوا هذا القتل من تلقاء أنفسهم ، بنوع غير قابل للنفي والتكذيب قطعًا، كما لا يستطيع أن يقال عن النور ظلام، إلاّ ممن عميت أبصارهم، وذلك لدى ألوف عالم مدينة الشام، سمعوا وشاهدوا ذلك فالسماع ما اعترفوا به أولئك القاتلين، والمشاهدة عظام ولحم وثياب القسيس وخادمه، والتي أخرجت من المكان الذي عينه القاتلون أنفسهم، على أن كلاً منهم كان منفردًا عن رفيقه في مكان آخر، ومع ذلك لم تختلف تقاريرهم عن بعضهم، وكان كل واحد منهم يدل على محل القتل بمفرده، ويقرر عن كيفية تقطيع المقتولين وتصفية آدميتهم، ولم يخالفوها الأخر بشيء مما عينه.

الأمر الذي لا يستطيع أحد تكذيبه، إلا أن ينسبوا لجميعهم حكمة النبوة، فما سمع ذلك إلاّ من اليهود، فإنهم من [٢١/ب] أقصي بعدًا من الشام ، بدأوا يتشكوا ويقولوا: إن قتل ذلك القسيس وخادمه تهمة اتهمت بها اليهود.

بزعمهم أن هذه القضية تتلاشى كباقي مناقبهم(١) المدونة في كتاب سدرهدوروت، ظانين أن بكذا وقاحة عين يسترون ما كشف الله من خبيث سرهم، وغفلوا عن أن تظاهرهم الاجتهاد في النفي هو عين الملحوظة في ثبوته حتى صار سلبه إيجابًا.



---

(١) ربما قال ذلك المؤلف استهزاءًا ، وإنما كلمة المناقب ككلمة الفضائل لا تقال إلا في المدح وذكر المحاسن والأوصاف النبيلة الجلية غير أنه ربما ذكرها هنا سخرية منهم كقول الله تعالى : ﴿**فبشرهم بعذاب أليم**﴾ فالبشارة لا تكون إلا في الخير، وهنا تهكمًا واستهزاءًا وتبكيتًا وشماتة ونكاية.

القسم الثاني
في
شرح ما انطوت عليه ملة اليهود من البغضة
ووخيم الاعتقاد
(وفيه فصول)

اعلم أن اليهود يكتبون في أول كل كتاب من كتب التلمود: أن الأشياء الرديئة المكتوبة في هذا الكتاب، هي بحق الأمم القديمة الذين لا يعرفون الله[1].

---

(١) يقول الدكتور: عبدالوهاب محمد المسيري في كتاب الأيديولوجيه الصهيونية (٢٧٢) تحت عنوان اليهودي الخالص، والعربي الغائب: من الأفكار المحورية في الأيديولوجية الصهيونية فكرة اليهودي الخالص، واليهودية الخالصة: جوهر يهودي يميز اليهودي عن غيره من البشر ، ويميز الظواهر اليهودية عن غيرها من الظواهر، ومن اليسير أن نرى التماثل البنيوي بين هذه الفكرة الصهيونية والتصور الديني اليهودي القديم للأغيار أو "الجوييم" وهذه الكلمة الأخيرة هي صيغة الجمع للكلمة العبرية "جوى" التي تعني شعب أو قوم، وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود، وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية فترجمت إلى المصطلح العربي الأغيار، وقد اكتسبت الكلمة فيما بعد إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها "الغريب"، والأغيار درجات أدناها: "الأكوم" أو عبدة الأوثان، والأصنام، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان أي: المسيحيون والمسلمون.

وتنص الشريعة اليهودية الدينية: على أن الأتقياء من كل الأمم سيكون لهم نصيب في العالم الآخر.

ولكن ثمة نصوصًا في العهد القديم لا تميز بين الوثنيين وغير الوثنيين، وقد جاء في سفر أشعيا (٦١/٦:٥): "ويقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون

بنو الغريب حراثيكم وكراميكم أما أنتـــم فتدعون كهنة الرب تسمون خُدام إلاهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون".

وجاء في سفر ميخا (١٢/٤): "قُومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديدًا وأظلافك أجعلها نحاسًا، وتسحقين شعوبًا كثيرين".

وقد استفاد التيار القومي في اليهودية في صراعه مع التيار العالمي من هذه النصوص فعمق من هذا الاتجاه الانعزالي ، ووسع من نطاق الحظر في التعامل مع الأغيار، إلى أن أصبح الحظر يتضمن حتى مجرد تناول الطعام معهم وكان الجيتو بطبيعة الحال تربة خصبة ينمو فيها هذا الموقف، ويكتسب صلابة ومنعة ومن ظهور حركة التنوير وحركة اليهودية الإصلاحية ، قامت محاولة للقضاء على هذا الموقف أو التخفيف من حدّته بطرح تفسيرات جديدة للنصوص القديمة ، وطرح تصور لليهودي على أنه إنسان عادي ينتمي لأي مجتمع يحيا فيه، ويشارك في البنية الثقافية التي نشأ فيها أيًا كانت، وذلك دون أن يتجاهل بالضرورة تراثه الديني أو الثقافي الخاص.

إلاّ أن الرؤية الثنائية المستقطبة عادت للظهور بكل حدّهّا على يد الصهيونية التي ترى أن اليهود شعب مختلف عن بقية الشعوب لا يمكنه الاندماج فيها إذ يوجد داخله هذا الجوهر اليهودي الخالص الذي يميزه ويفصله عن الأغيار.

وتفترض الأيديولوجيه الصهيونية: أن اليهود الذين يعيشون خارج وطنهم القومي المقدس يعانون من تمزق مستمر لأنهم لا جذور لهم في الحضارات المختلفة التي لا تعبر عن جوهرهم المتميز.

إن الشعب اليهودي لا يمكن تشكيل حياته على أساس احتياجاته وقيمه، وعلى أساس من الإخلاص لشخصيته الخاصة وروحه، وميراثه التاريخي ورؤاه الخاصة بالمستقبل إلاّ في وطنه القومي.

انطلاقًا من هذه الرؤية ينظر الصهاينة إلى تراث يهود الشتات خارج الوطن القومي على أنه تراث بلا قيمة.

وما ذلك إلا ليستروا قبائحهم التي ينسبوها لكل من خالفهم في دينهم. على أن كل من لا يحفظ السبت عندهم فهو لا يعرف الله [٢١/ب] وأنه[١] لو عرف الله لاتبع شريعة موسى، وحفظ يوم السبت، واتبع سُنّة إسرائيل.

لزعمهم أن ليس لله كتاب إلاّ التوراة ، وأسفارها ، وزبور داود، وهم إلى إسرائيل وطائفته فقط.

فالحاخام مشون أبو العافية القاطن يومئذ بمحروسة دمشق الشام أظهر لنا هذه العبارة بأسلوب لا يمكن تكذيبه بقوله: إن كل ما في هذا الكتاب من القبائح عامّا جميع الأمم لأن علماء التلمود عندما ينهون عن لمس الخمر يقولون: لا يلمس من عبّادين الأصنام، والذين لا يعرفون الله.

وكذلك عندما ينهون عن أكل اللحوم والأطعمة ممن ذلك صفتهم، وهاهم اليهود لا يلمسون الخمر ولا يتناولون اللحوم والأطعمة من سائر الأمم، وما ذلك إلاّ لكونهم يعتقدون أن سائر الأمم لا يعرفون الله، وجميعهم عبّادين أصنام.

وقد أوضح لنا أيضًا إيضاحًا آخر كنا نجهله بكتبهم، وهو: أنه [٢٢/أ] أطلعنا على محلات بياض في نفس صفحات الكتاب، ذكر أنها باقية بغير كتابة لذكر الأشياء التي يريدون أن يذكروها قَلَميًّا[٢] في حق من يعتقد إتيان المسيح، لأنهم لا يقدروا [أن][٣] يذكروها في نفس الطبع بداعي أن الكتب صائر طبعها في أوربا[٤].

---

(١) جاء بهامش الصفحة [٢١/ ب] إشارة إلى بداية الجـــزء الثاني لفظها : جزء (٢). وقد أشرت من قبل إلى أحجام الأجزاء عندهم.

(٢) بالقلم المعتاد موضع البياض المتروك.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

(٤) والمعروف أن القائمين على الطباعة في أوربا في ذلك الزمان هم من

فكي لا يشتهرون عليها النصارى أبقوها بغير طباعة، وحيث تبين ذلك.
فلينتبهوا حضرات رؤساء المطابع للكشف عما اعترف به ذلك الحاخام.
لأنه بالحقيقة قد انكشف ذاك البياض في مواضع كثيرة من كتب التلمود.
يدل على أنه تبقى ليكتب به كتابة قَلَمِّية لأن كل عبارة كنا نراها فوق البياض نجدها غير منتهية الشرح.
وكل عبارة تحت البياض نجدها متعلقة المعنى بشيء يتقدمها ليس له دليل في العبارة [٢٢/ب] الأولى التي هي فوق البياض.
وغالب الظن أن هذه المواضع بقيت ليكتب فيها لزوم الدم وكيفية استعماله.
فليتبصروا إذًا أُولو الألباب ، والذين يطالعون كتب التلمود .

❁ ❁ ❁

=

النصارى، فهم يخفون مثل تلك الاعتقادات عنهم وحتى يتم طبع الكتاب وتداوله ونشره لأكبر عدد ممكن من اليهود بعد إضافة ما يريدون أن لا يطلع عليه الناشرون.

الفصـــل الأول

فـــي

الأسباب التي بسببها يستحل اليهود قتل من خالفهم في دينهم

اعلم أن اليهود يستحلون قتل من سواهم[1] لسببين:

---

(١) ومن المصدر السابق أيضًا بقول مؤلفه (٢٩٩) في نفس الباب السابق وتحت عنصر : العربي ممثلاً للأغيار: ... وقد وصف الأغيار في الأدبيات الصهيونية بأنهم ذئاب، قتلة، متربصون باليهود، معادون أزليون للسامية.

ويمكن لمن يريد أن يحصل على الكتالوج الكامل لهذه الأوصاف أن يعود إلى أعمال المفكرين الصهاينة.

ولكن لا يهمنا في السياق الحالي إلاّ أن الأغيار مقولة مجردة، بل إنها أكثر تجريدًا من مقولة اليهودي في الأدبيات النازية ، أو مقولة الزنجي في الأدبيات العنصرية البيضاء، وهي أكثر تجريدًا لأنها لا تضم أقلية واحدة أو عدة أقليات، أو حتى عنصرًا بشريًا بأكمله وإنما تضم كل الآخرين في كل زمان ومكان.

وقد وضع الصهاينة الإنسان العربي على وجه العموم، والفلسطيني على وجه الخصوص داخل مقولة الأغيار حتى يصبح لا ملامح له أو قسمات.

وتظهر مقولة الأغيار هذه في وعد بلفور الذي أشار إلى العرب الذين كانوا يشكلون أكثر من حوالي (٩٣٪) من مجموع السكان على أنهم: "الجماعات غير اليهودية"، دون أي: تحديد لهذه الجماعات ذكر لاسمها حتى تظل في مستوى عال من التجريد.

هذه الجماعات غير اليهودية ، هي أيّ جماعة إنسانية تشغل الأرض التي سيستوطن فيها الشعب اليهودي.

وبينما كان هرتزل يتفاوض بخصوص كريت موقعًا للاستيطان الصهيوني كتب عن الجماعات غير اليهودية التي تقطنها بطريقة تنم عن عدم الاكتراث

الأول: هي البغضة القتّالة التي يربوها في قلوهم لمن خالفهم في دينهم، التي توهمهم بأن قتل أحد مخالفيهم كضحية مقبولة أمام الله، كما سبق سيدنا عيسى عليه السلام، فأخبر تلاميذه بذلك قائلاً: "إنه ستأتي

=

والتجريد، فقد وصفهم بأهم عرب يونانيون: هذا الحشد المختلط من الشرق.

أما تشرنحو فسكى في قصيدته: "وقت الحراسة" التي كتبها في تل أبيب عام (١٩٣٦) فلا يكلف خاطره بالإشارة إلى العرب بل يتحدث عن الأغيار فحسب، بوصفهم رجال الصحراء المتوحشين، وهم بهذا يصبحون شيئًا عامًا مجردًا، وجزءً من الطبيعة يسهل التعامل معه واصطياده وإبادته.

وفي إسرائيل لا يتحدثون عن اليهود والعرب، وإنما يتحدثون عن اليهود وغير اليهود.

وكما يقول إسرائيل شاهاك: إن كل شيء في إسرائيل ينقسم إلى يهودي وغير يهودي.

وينطبق هذا التقسيم على كل مظاهر الحياة فيها حتى على ما يزرع من خضروات من طماطم وبطاطس وغيرها.

وفي هذا الصدد قد يكون من المفيد أن نتذكر أن الحاخام إبراهام أفيدان حين أوصى الجنود الإسرائيليين بقتل المدنيين الأغيار أو غير اليهود كان يعني في الواقع العرب فحسب، ولاشك أن جنود جيش الدفاع الإسرائيلي يعرفون تمامًا ما كان يرمي إليه الحاخام.

هذا هو التصور الصهيوني للعربي الممثل في الأغيار، في الماضي والحاضر، فماذا عن الإنسان العربي في المستقبل؟

من هذا المنظور سنجد أن الزمان قد تجمد وألغى كما هو الحال في الكتابات الصهيونية فالأغيار ذئاب في الماضي، وذئاب في الحاضر، وذئاب في المستقبل.

والإنسان العربي الخانع الخاضع للعنف الصهيوني ، هو نفسه الإنسان العربي المقاتل الأزلي ضد العنف الصهيوني.

ساعة يظن فيها كل من يقتلكم [٢٣/أ] أنه يقرب لله قربانًا".

والثاني: هو ما تعلموه من حاخام سلمون الكبير الذي قادهم إلى أعماق الجحيم حيث يقول في الورقة الثانية والعشرين من كتاب: "عابوره راده": أن الحنش[١] عندما طغى حوّا بسبب دخول الشيطان فيه، وقد طعمت آدم من الشجرة التي أوصاه الله تعالى أن لا يأكل منها، زنى بها زنًا حقيقيًا، ومن ذلك دخلت الرّداوة في سائر أولادها ، وصاروا جميعهم أولادًا للشيطان[٢] ، ولم تزل فيهم هذه الرّداوة حتى تجلى الله على طور سيناء إلى نبيه موسى فبواسطة ذاك التجلي بطلت الرّداوة من موسى ومن شعب اليهود الذين اقتبلوا معه الإيمان، حيث ارتضوا بوصايا الله العشرة التي أمرهم بها الله، وبقيت [٢٣/ب] تلك الرّداوة في باقي الأمم ما شاء الله.

فكل رجل ليس من بني إسرائيل يجوز قتله لهذا السبب، ويزداد مضحيه تقربًا لله في الذبيحة الفصحية، لأنه مع ثواب الفصحية يكتسب ثوابًا آخر، وهو قتله ولدًا من أولاد الشياطين.

وأما الذي يكون أصله من بني إسرائيل وخرج عن دينه واتبع سواه، فلا يجوز قتله بسبب ذلك بل بسبب خروجه عن الإيمان الذي كان اقتبله من الله تعالى.

---

(١) يريد الحية ، هو يحكي هنا قصة موضوعة مشهورة، تحكي عن كيفية دخول الشياطين إلى الجنة وإغواء سيدنا آدم وأُمّنا حواء وأكلهما من الشجرة، وهي قصة لا أحب ذكرها لما فيها من الكفر بالله تعالى وإن كان راوي الكفر ليس بكافر.

(٢) فهو هنا يأصل للعنصرية ليقنع بها الشعب اليهودي وتنطلي عليه الحكاية ويصير في نظرهم أن كل من ليس يهوديًا أصلاً فهو من أولاد الشيطان ولهذا فهم لا يدعون أحدًا لأن يدخل في دينهم لأنه ليس أهلاً لأن يكون يهوديًا ، إذ أنه ابن زنا ومن أولاد الشيطان.

ثم يقول بعد ذلك في موضع آخر: أنه كتب في التوراة[1] في سفر الخروج في الإصحاح الرابع عشر: هكذا فقرن فرعون مركباته وجمع معه شعبه كافة، وأخذ ستمائة مركبًا منتخبة، وسائر خيل أهل مصر، وعليهم رجال مجنب كل واحد منهم بحراب ثلاثة لكي [٢٤/أ] يجري في أثر الطائفة العبرانية.

فترى من أين كان يوجد عند المصريين خيول كذا حتى جروا بها خلف آل إسرائيل؟ لأن البرد كان قبلاً أمات بهائمهم جميعًا كما هو مكتوب في سفر الخروج في الإصحاح التاسع.

ثم يجيب هو ذاته مفسرًا هذه الجملة بقوله: أنه قد كتب أيضًا: أنه كان فيما بين المصريين بعض أناس آمنوا أن البرد عتيد[2] أن ينحدر على الأرض، فأخفوا بهائمهم داخل بيوتهم فلم تمت.

وعلى هذه الخيول جروا خلف الطائفة العبرانية فإذا يلزمنا أن نخرج النخع[3] من رأس الحية الأكثر فطنة.

فاقتلوا الأجود عقلاً من الناس الخارجين عنكم، فإن كل واحد من الشعب الإسرائيلي مديون بقتل واحد من الشعب الذي لا يحفظ [٢٤/ب] السبت ليخلص بهذا العمل.

---

(١) في المخطوط: التوارية، وهو تحريف.

(٢) أي: أن البرد سيكون شديدًا قد يقتل البهائم، ومنها طبعًا الخيول المشار إليها هاهنا حسب زعمهم.

(٣) أي : المخ ، والمراد بالحية هو غير اليهودي، والمقصود كما سيأتي فيما بعده اقتلوا الأذكياء من غير اليهود لتنالوا رضى الرب عليكم وتضعفوا شوكة غير اليهود فتمكنوا لدين اليهود أن ينتشر ولغيره أن يضحد ويندثر ولا ترفع له راية ولا تسمو له غاية ويبقى الجهلاء والأغبياء منهم خدامًا لليهود مطيعين لهم ولا يفهمون ما يراد بهم.

ثم يقول: انه قد كتب في سفر الخروج في الإصحاح الثاني والعشرين: كونوا أناسًا مقدسين لي ، وحيوانا مفترسًا في السحر ، لا تأكلوه بل اطرحوه للكلاب.

وأما أنا فأقول لكم: بيعوه للأميين، لأن موسى تكلّم عن الكلاب لا عن الأميين وذلك لتعلموا أن الكلاب أفضل منهم، لأنه مكتوب في الإصحاح الحادي عشر من سفر الخروج: ولجميع بني إسرائيل لا ينبح كلب بفيه. فما فوقه من ناسهم إلى بهائمهم لكي تعلموا ما يبين[1] الله به بني إسرائيل من المصريين[2] ومن حيث هذا الملعون يحرف كلمات الله، فأنا

(١) يريد ما يميز الله به شعب إسرائيل على من سواهم من الشعوب الأخرى، أو الأميين حتى أن من هو غير إسرائيلي فهو أدنى من الكلب مرتبة، وإنما خلقوا على صورة البشر ليليقوا بخدمتهم هم، وحتى لا تشمئز نفوسهم من رؤياهم، والعيش بينهم.

(٢) ولو أننا سلمنا بما هو في كتبهم من هذه الأقوال التي لا تمت إلى العقل فضلاً عن الشرع بصلة فإنني أرى أنه من المناسب أن أذكر طرفًا عن التوراة أو ما يسمى بالعهد القديم فيقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل، والعلم (ص: ٢٣) تحت عنوان أسفار العهد القديم: يتكون العهد القديم من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع .

كتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتمادًا على التراث المنقول شفويًا.

وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحيانًا.

ويبدو معقولاً أن ازدهار هذا الأدب يقع تاريخيًا في بداية المملكة الإسرائيلية أي: نحو القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ففي هذا العصر ظهرت في البلاط الملكي هيئة الكتبة التي تتكون من مثقفين لا يقتصـــر دورهم على مجرد

=

الكتابة والتدوين.

وإلى هذا التاريخ يمكن إرجاع أولى المدونات، تلك المدونة الجزئية جدًا التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، والتي كان لها أهمية خاصة حتى تدون كتابة وهي: بعض الأناشيد المذكورة في أعلاه، ونبوءات يعقوب وموسى والوصايا العشر، والنصوص التشريعية عامة التي حددت تقليدًا دينيًا قبل سن القوانين كل هذه النصوص تكون قطعًا متفرقة في مختلف مجموعات العهد القديم.

وبعد ذلك بقليل أي: ربما في القرن العاشر قبل الميلاد، تم تحرير النص المعروف بالرواية اليهودية [سميت بهذا الاسم لأن اسم الله بها يهوه] التي شكلت فيما بعد بنية الأسفار الخمسة التي عرفت باسم أسفار موسى الخمسة.

وقد أضيف إلى هذا النص بعد ذلك الرواية المعروفة بالألهيمية [أطلق عليها هذا الاسم لأن اسم الله بها أليهم].

والرواية الأخرى المعروفة بالكهنونية [سميت بهذا الاسم لأنها صدرت عن كهنة معبد القدس].

ويعالج النص اليهودي الأول الفترة من أصل العالم وحتى موت يعقوب، وهو صادر عن مملكة الجنوب.

ومن نهاية القرن التاسع وحتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد تكون وذاع النفوذ النبوي مع إيليا واليشع وكتابهما في حوزتنا.

وتلك أيضًا فترة النص الألهيمي للتوراة الذي يعالج فترة زمنية محددة بالنسبة إلى النص اليهودي: فهذا النص يكتفي برواية الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف، ويرجع سفرا: يشوع والقضاة إلى تلك الفترة.

أما القرن الثامن قبل الميلاد فهو عصر الأنبياء عاموس، وهوشع في إسرائيل، وأشعيا، وميخا في مملكة الجنوب.

وبالاستيلاء على سامرة في (٧٢١) قبل الميلاد مملكة إسرائيل، واستقبلت =

=

مملكة الجنوب ميراثها الديني، ويحتمل أن مجموعة الأمثال تنتمي إلى ذلك العصر الذي يتسم على وجه خاص باتحاد نص التوراة اليهودي والألهيمي في مجلد واحد. وبهذا تشكل ما يعرف بالتوراة.

كما يحتمل أن يرجع تاريخ تحرير سفر التثنية إلى هذا العصر أيضًا.

ويلتقي حكم يشوع في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد معه بدايات النبي أرميا. ولكن مؤلف هذا الأخير لم يتخذ شكله النهائي إلا بعد ذلك العصر بقرن.

أما رسائل : صفينا، وناحوم، وحبقوق فيرجع تاريخها إلى ما قبل النفي الأول إلى بابل عام (٥٩٨) قبل الميلاد.

وكان حزقيال يمارس النبوة في أثناء هذا النفي.

ثم سقطت القدس عام (٣٥٨) قبل الميلاد.

أما كتاب حزقيال، وهو آخر نبي كبير، ونبي المنفى أيضًا، فإنه لم يدون في شكله الحالي إلا بعد موته، وقد دونه الكتبة وهم الذين أصبحوا ورثته الروحيين، وقد قام نفس هؤلاء الكتبة بتدوين رواية ثالثة لسفر التكوين، واسمها: الرواية الكهنوتية، وهي الرواية التي أوردت الجزء الخاص بالخلق والذي يمتد حتى موت يعقوب.

وهكذا إذن أدخل نص ثالث على النصين اليهودي والألهيمي في التوراة.

وسنرى فيما بعد مظهرًا من مظاهر تشابك هذا النص مع الكتب التي دونت تقريبًا قبل ذلك بأربعة قرون بقرنين، في هذا العصر أيضًا ظهر سفر المراثي.

وانتهى النفي إلى بابل بأمر سيروس في عام (٥٣٨) قبل الميلاد ، فعاد اليهود إلى فلسطين وأعيد بناء معبد القدس، واستؤنف النشاط النبوي، ومن هنا كانت كتب حجاي ، وزكريا،وأشعيا الثالث، وملاخي، ودنيال، وباروك، وقد كتب هذا الأخير باليونانية.

والفترة التي تلي النفي هي أيضًا فترة كتب الحكمة: حررت الأمثال نهائيًا في (عام ٤٨٠) قبل الميلاد.

=

وحرر سفر أيوب في القرن الخامس قبل الميلاد تقريبًا.
كما يرجع تاريخ سفر الجامعة إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وذلك أيضًا عصر نشيد الإنشاد وكتابي: أخبار الأيام، وكتب عزرا ونحميا.
أما كتاب: "بن سيراخ" فقد ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد.
وأما سفر الحكمة لسليمان، وسفر المكابيين، فقد كتبوا قبل المسيح بقرن.
وأسفار راعوث وأستير و يونس، فيصعب تاريخها مثل سفري: طوبيا، ويهوديت.
وكل هذه المعلومات معطاة تحت تحفظات التعديلات اللاحقة، لأن كتب العهد القديم لم تتخذ هيئتها الأولى إلا قبل قرون من ميلاد المسيح، ولم تكتسب شكلها النهائي إلاّ في القرن الأول بعد المسيح كما يرى الكثيرون.
وعلى ذلك يبدو العهد القديم صرحًا أدبيًا للشعب اليهودي منذ أصوله وحتى العصر المسيحي.
ولقد دونت وأكملت وروجعت الأسفار التي يتكون منها فيما بين القرن العاشر، والقرن الأول قبل الميلاد.
وليس هذا مطلقًا وجهة نظر شخصية نعطيها عن تاريخ تحرير هذه الأسفار، فالمعطيات الجوهرية لهذه اللمحة التاريخية مستقاة من مقال : "التوراة" بدائرة معارف أونيفرساليس للكاتب ج.ب.
ساندروز الأستاذ بكليات الدومنيكان سو لشوار [طبعت سنة ١٩٧٤، الجزء الثالث ٢٤٦: ٢٥٣] ولكي نفهم ما العهد القديم يجب أن تكون هذه المعلومات حاضرة في أذهاننا ، وهي معلومات أثبتها متخصصون على درجة عالية من الكفاءة.
إن الوحي يختلط بكل هذه الكتابات، ولكننا لا نملك اليوم إلا النصوص التي خلفها لنا الكُتَّاب الذين عالجوا النصوص على سجيتهم وحسب الظروف التي عاشوها، والضرورات التي كان عليهم مواجهتها.
وعندما نقارن هذه المعطيات الموضوعية بتلك التي تكشف عنها مقدمات الكتب المقدسة المخصصة للعامة، ندرك أن هذه المقدمات تسوق الأمور

أجيبه بما قاله نبي الله سليمان الحكيم: أن قربان المنافقين رذالة أمام الرب.

وبما قاله الله في تثنية الاشتراع من الإصحاح [٢٥/أ] الثامن والعشرين: ويضربك الله بالجنون والعمى وبهتة القلب، وبقرح رديء على الرّكب والساقين، مما لا تستطيع مداواته ويؤلمك من قدمك إلى هامتك.

وبما قاله أرميا النبي في الإصحاح التاسع: أنا أفسدهم مثل المشاقة المحمولة من الريح إلى مكان خرب.

وبما كتب من كلمات الله في القرآن: ﴿**وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله**﴾[١].

=

بشكل مختلف.

فهي تسكت على الأمور الأساسية الخاصة بتدوين الكتب، كما أنها تحتفظ بغموض يضل القارئ ويقلل من شأن أمور أخرى إلى درجة أنها تعطي فكرة خاطئة عن الواقع الذي حدث فعلاً.

وهكذا تشوه مقدمات كثير من الكتب المقدسة على الحقيقة.

بل إذا كانت هناك كتب قد أصابها التعديل برمتها وعدة مرات (مثل ما حدث لأسفار موسى الخمسة)، يكتفي كتاب هذه المقدمات بالإشارة إلى أن تفاصيل أضيفت بعد تحرير النص، بعضهم يزج بمناقشات تخص فترة عديمة الأهمية في هذا السفر أو ذاك، ويسكتون على أمور حيوية جدًا تستحق دراسات طويلة.

وأنه لمن المؤسف حقًا أن يحتفظ لعامة القراء بمعلومات عن التوراة يسمها الخطأ إلى هذا الحد.

قال محققه: عفوًا أخي القارئ فقد أطلت عليك في هذا التعليق ولكنني مضطر لأن أسرد قول رجل منهم يؤمن بالعهد القديم والعهد الجديد أي: بالتوراة والإنجيل، فهذا شاهد من أهلها.

(١) سورة البقرة (الآية: ٦١).

فإنه على الحقيقة قد حلّت هذه اللعنات جميعها على اليهود.

لأن الموجود منهم في أوربا أكثرهم مبتلون بالجرب[(١)] والقراع.

والذين في آسيا وأفريقية بالقروح المزمنة في الأرجل والأعين .....[(٢)].

ثم يقول ذاك الحاخام : إن الله تعالى عندما[(٣)] [أراد][(٤)] إبراهيم أن يأخذ ابنه إسحاق الذي يحبه ويقربه له قربانًا على الجبل [٢٥/ب] قام فأخذ إسحاق واثنين من غلمانه، ومضى بهم إلى الموضع الذي عينه الرّب.

ولما توسط الجبل نظر إلى الله متجليًا هنالك، فقال إلى غلاميه: انظروا، فما نظروا إلى الله.

فعلم إبراهيم أنهما حيوانات، فتركهما عند الأثانة ومضى هو وابنه فمن هنا يقول ذاك الخبيث ، قد علم أن كل من هو خارج عن بني إسرائيل فهو حيوان[(٥)].

فيالشقاوة ذاك الحاخام، ويا لقبيح ما استدل به، الأمر الذي أضحك عليه الأطفال فضلاً عن الراشدين.

ولعمري لقد كملت به نبوة أشعيا النبي حيث يقول: اذهب فقل لهذا الشعب سماعًا تسمعون ولا تفهمون، ونظرًا تنظرون ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وثقلت آذاهم عن السماع.



---

(١) في المخطوط: بالحرب بالحاء المهملة، وهو تحريف ثم أن هذا المرض ربما كان شائعًا أيام المؤلف.

(٢) موضع النقط بياض في أصل المخطوط.

(٣) في المخطوط: عندنا. وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٥) وهذا تأصيل آخر لفكرة أن غير اليهود إن لم يكونوا أولاد شياطين فهم حيوانات ولا ندري بأي صفة سيصفون الناس بعد هذه الصفات الشنيعة؟!

الفصـــل الثانـــي
فـــي
احتياج اليهود للدم في أي شيء يستعملونه

اعلم أن الدم الذي تسفكه اليهود من المسيحيين ليستعملوه في مصالحهم الآتي ذكرها هو على نوعين:

الأول : يلزم أن يكون مسفوكًا بعذابات[1] متنوعة، وبالأقل بآلامات اعتيادية حسبما تبيح لهم ظروف الزمان والمكان.

الثاني: يلزم أن يكون على وجه القتل البسيط فما كان بعذابات يلزمهم لعيد الفصح، وما كان بسيطًا لعيد الوريم.

ثم يستعملون هذه الأدمية على نوعين:

أحدهم وهو الأول: يغمسون به أقمشة نظيفة ويحرقونها ويحفظون رمادها لوقت الاحتياج الآتي ذكره.

والثاني: يحفظونه دمًا صرفًا بذاته في أواني زجاجية [٢٦/ب] ويسحبون عنه الهواء الساخن خوفًا عليه من التعفين[2]، ثم يستعملون الدم المذكور في ستة أشياء:

الأول: لدفع دم الهواء الذين يسمونه ناكيفا الذي يعتقدون أنه يترل على أطعمتهم ومشاربهم في مبادئ فصول السنة الأربعة بالدقيقة التي ينتهي فيها الفصل الأول، ويبتدي الفصل الثاني، فإنهم يزعمون أنه في تلك الدقيقة عينها إذا ما دهنت مفارق الطعام ، وأواني الأشربة من تلك الأدمـــية

---

(١) أي : بأنواع متعددة من التعذيب ، فإن لم يقدروا على تعذيب من يأخذون دمه فأقل شيء أن يؤلموه إيلامًا.

(٢) في العصور الحالية يستخدمون بدل هذه الطريقة طبعًا وسائل التبريد كالثلاجات مثلاً ووسائل حفظ الدم المختلفة.

المحفوظة عندهم، ووضعت بالأطعمة لا[1] يمتنع ذاك الدم الساقط من الهواء عن أطعمتهم، وأنه بامتزاجه مع الأطعمة أي: دم الهواء المذكور يقتل كل آكل منه؛ ولذلك يدهنون تلك الأواني بذاك الدم الإنساني.

والذين لا يقدرون على تحصيل ذاك الدم ليمنع دم الهواء [فإنهم][2] [٢٧/أ] يهرقون كافة المياه الموجودة عندهم، ويرمون بأطعمتهم خارج بيوتهم. ويعرفون تلك الدقيقة بعلامات تنشرها لهم الحاخامين قبل حلول الوقت كي لا يطعموا طعامًا ولا يشربوا شرابًا.

وقد كنت [أنا][3] الفقير اعترضت على أحد علمائهم حينما كنت في مدينة القدس الشريف قائلاً له: إن الغير إسرائيليين لا يعرفون ذاك الوقت، فَلِمَ لا يضرهم ذاك الدم الساقط من الهواء؟

فأجابني قاتله الله: أن من خاصية هذا الدم لا يضر الحيوانات.

وقد سألت أيضًا غير مرة الخواجة يوسف موند القاطن يومئذ بمحروسة مصر، وهو وقتئذ بمعية رئيس أطباء مصر: كلوط[4] بك الأفخم عن هذه القضية فاعترف لي بحقيقتها، وجحد قضية الدم الإنساني.

وزعم أن الدهن [٢٧/ب] الذين يدهنون به أواني الطعام في مبادئ تلك الفصول هو زيت يقدسونه الحاخامين.

ولعمري ما سمعت قط بهواء يحتوي دمًا. ولا قاله قط كيماوي.

بل إن علماء الطب يزعمون أن الهواء مركب من أكسجين وأدرجين

---

(١) هذا اللفظ زائد حسب ما هو مساق في الخبر.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

(٤) كذا كتب هذا الاسم بالطاء في آخره، والمعروف أنه بالتاء في آخره، والعوام ينطقونها بالباء في آخره، وباسم هذا الطبيب شارع كبير ومشهور في القاهرة يربط بين محطة مصر، وميدان العتبة الخضراء بوسط البلد.

وبعض أزت.

وأنه إذا اجتمع منه مقدار عظيم في الآلة الكيماوية ، وتحلل بالوسائط الحكمية يقطر منه قليل ماء.

وما ذاك إلاّ من الأندية المائية التي تحللت من أملاحها بواسطة الحرارة، وتخلفت في الطبقات الجوية.

الثاني : هو عندما يتزوج أحدهم ببكر أو ثيب، فقبل أن يصلّي عليهما الحاخام صلاة الزواج يأخذ بيضة مشوية فيقطعها نصفين ، ويرش عليها من رماد ذاك القماش المنغمس بالدم ويقول عليهما: ليقدر من هذين العروسين [٢٨/أ] على نسل عظيم في شريعته ، مستطاع أن يجري السُّنَّة الحاخامية في حق من لا يحفظ السبت(١).

---

(١) انظر إلى هذه الطائفة المشتهية إلى سفك دماء الأبرياء كيف يعاملهم المسلمون حين يكونون تحت ظل دولتهم، فمن ذلك قول ابن كثير عند تفسيره لسورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمين سبيل**﴾ (٧٥).

قال: أي: إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا قال تعالى: ﴿**يقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾ أي: وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوها بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت.

قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي صعصة بن يزيد أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنّا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة؟

قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟

قال: نقول ليس علينا بذلك بأس.

=

فمن شاء فليراجع السفر الأول، والفصل الأول والبند الأول من المجلد الثالث من تأليف المعلم يوسيوس، وهناك يجد ما شَرَحَتْهُ علماء التلمود عن هذه الكيفية مفصلاً.

الثالث: عندما يعلمون مناحة خراب أورشليم في اليوم التاسع من تموز، يأخذ كبراء اليهود وحاخامينهم من ذاك الدم الصرف ويدهنون جباههم ، يرشون على بيضة صغيرة من الرماد المذكور ، ويقتسمونها بينهم، ويأكلونها.

ولهذا تنبأ عليهم حزقيال النبي في إصحاحه الثالث والثلاثين قائلا: لأجل هذا قل لهم هكذا يقول أذوناي الرب تأكلون على الدم.

وبالحقيقة أن ذلك جميعه قد كمل بالطائفة اليهودية.

[٢٨/ب] **الرابع:** هو أنهم حينما يختنون الطفل اليوم الثامن من مولده، فالحاخام عند ختانته يأخذ بيده كأس خمر ، ويضع فيه نقطة من الدم الذي يكون خرج من جُرح الختان.

=

قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل، إنهم إذا أدوا الجزية لم يحل أكل أموالهم إلاّ بطيب أنفسهم.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبوالربيع الزهراني حدثنا يعقوب حدثنا جعفر، عن سعيد بن جبير قال: لما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "**كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهلية إلا هو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة، فإنها مؤداة إلى البر والفاجر**" ثم قال تعالى: ﴿**بلى من أوفى بعهد واتقى**﴾.

أي: لكن من أوفى بعهده واتقى منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك واتقى محارم الله واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم ﴿**فإن الله يحب المحسنين**﴾.

ثم يضيف إلى ذلك نقطة من دم رجل نصراني مثبوت عماده.

ويغمس إصبعه الخنصر في ذاك الكأس ويدخلها في فم الطفل.

ثم يعيد غمسه وإدخاله مرة ثانية متفوها في كل مرة : هكذا قد قلت لك إن حياتك هي بدمك.

فالسبب الذي من أجله يفعلون ذلك، هو أن زكريا[1] النبي عندهم قد قال ذلك في الإصحاح الثامن مرتين.

وقد فسر هذه الآية بعض علمائهم في كتاب بهاموت عن دم ختانة المسيح. فيترددون بين الشك واليقين قائلين: إن كان النبي قال هذه الآية عن دم ختانة المسيح، أو عن دم ذات المختون عينه، فكلا الدمين موجودين في الكأس [٢٩/أ] لأن دم من يعتقد إتيان المسيح عندهم كدم ختانة المسيح ذاته.

---

(١) في المخطوط: زخريا، وهو تحريف، وهو نبي مشهور ذكر في سورة مريم وغيرها ، وقال عنه ابن كثير في قصص الأنبياء (٤٦٦، ٤٧٤) : قال الحافظ أبوالقاسم ابن عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل: زكريا بن برخيا، ويقال: زكريا بن دان، ويقال: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة ابن برخيا بن بلعطة بن ناحور بن شلوم بن بهفان شاط بن إينامن بن رحيعام بن سليمان بن داود ، أبو يحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل.

دخل البثنة من أعمال دمشق في طلب ابنه يحيى.

وقيل: إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى، والله أعلم.

وقد قيل غير ذلك في نسبه. ويقال زكرياء بالمد، والقصر. ويقال زكري أيضا. والمقصود أن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا على الكبر، وكانت امرأته مع ذلك عاقرًا في حال شبيبتها، وقد أسنت أيضًا حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى.

الخامس: أنه عندما يدنف الرجل اليهودي ويغلب الظن بموته، يأخذ الحاخام بياض بيضة طرية، ويضع عليه قليلاً من ذاك الرّماد المحفوظ عندهم، ويدهن به قلب الميت عند مفارقة نفسه الشقية قائلاً له هذه الآية التي قالها حزقيال النبي في إصحاحه السادس والثلاثين: "وأنضح عليكم ماءًا نقيًا وتطهرون وأطهركم من جميع نجاساتكم"[١] .

السادس: في الليلة الأولى من بدايتهم بعيد الفصح[٢] بعد أن يكونوا

---

(١) كذا في المخطوط، ويقال عيد الفصح بتقديم الفاء على الصاد، وهو من الأعياد المشهورة عندهم.

(٢) وقال ابن كثير أيضًا في المصدر السابق (ص: ٤٠٥) في قصة حزقيل: قال محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه: أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع، خلف في بني إسرائيل: حزقيل ابن يوذي وهو ابن العجوز، وهو الذي دعا القوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا: ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت**﴾.

قال ابن إسحاق: فروا من الوباء فترلوا بصعيد من الأرض، فقال لهم الله موتوا، فماتوا جميعًا، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع، فمضت عليهم دهور طويلة، فمر بهم حزقيل عليه السلام، فوقف عليهم متفكرًا، فقيل له: أتحب أن يبعثهم الله، وأنت تنظر؟

قال: نعم.

فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسى لحمًا، وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك.

فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد.

وقال أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة في قوله: ﴿**ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر المـــوت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم**﴾.

=

امتلأوا من السكر، يهيئون الفطير بأنواع مختلفة، ويصنعون رغيفًا مخصوصًا

=

قالوا: كانت قرية يقال لها: داور دان قبل واسط، وقع بها الطاعون، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية، وسلم الآخرون، فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين.

فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا بقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل، فهربوا وهم بضعة وثلاثين ألفًا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي، وآخر من أعلاه: أن موتوا.

فماتوا، حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مرَّ بهم نبي يقال له: حزقيل، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوي شدقيه وأصابعه.

فأوحى الله إليه: تريد أن أريك كيف أحييهم؟

قال: نعم.

وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقيل له: ناد.

فنادى. يا أيها العظام، إن الله يأمرك أن تجتمعي.

فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض، حتى كانت أجسادًا من عظام.

ثم أوحى الله إليه: أن ناد: يا أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحمًا فاكتست لحمًا ودمًا وثيابها التي ماتت فيها.

ثم قيل له: ناد، فنادى: أيتها الأجساد، إن الله يأمرك أن تقومي، فقاموا.

قال أسباط: فزعم منصور عن مجاهد: أنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت.

فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى، سحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد رسمًا، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

وعن ابن عباس: أنهم كانوا أربعة آلاف، وعنه ثمانية آلاف.

وعن أبي صالح: تسعة آلاف.

وعن ابن عباس أيضًا: كانوا أربعين ألفًا.

مثلث الزوايا ممزوجًا بقليل من الدم المذكور، ويقسمونه على بعضهم.

فكل واحد من الحاضرين [٢٩/ب] ملزوم بأن يأكل منه قدر حبة الزيتون.

وهذا الخبز يسمونه : آه فيكو إيمان. وفي تلك الليلة يظهرون كالمجانين من السكر والتجديف والخزي الساقط عليهم من غضب الله.

وحينئذ ترشقهم اللعنة التي لعنهم بها موسى [عليه السلام] بقوله في تثنية الاشتراع: "وليضربكم الله بالعمى والجنون وبهتة القلب".

ولأجل هذه الأشياء قد طردت اليهود من ممالك كثيرة، وأشهرها مدينة أصبانيا[1] فإنهم قد نفوا منها بنوع ذل لا مزيد عليه كما تنبأ عليهم حزقيال النبي قائلاً: لأجل هذا يقول الرب: إنك بالحقيقة أخطأت بالدم والدم يطردك".

وكما قال أرمياء النبي في الإصحاح الخامس: "لأن النفاق وجد في هذا الشعب أقاموا فخاخًا ليفسدوا رجالاً وأخذوهم مثل فخ منصوب مملوء طيورًا، هكذا بيوهم مملوءة غشًا".

ولقد[٣٠/أ] حدثني من لا أشك بقوله من آل حلب رجل مملوء من الكبر: أنه يعي قضية حصلت لليهود في زمانه، غرم بها الشعب الإسرائيلي ثلاثمائة ألف درهم.

وذلك أن سارقًا مرّة تسوّر دار قوم منهم فنظرهم يذبحون طفلاً، وينشلون دمه بآنية زجاجية، وكان ذلك اليوم واقعًا في أربعة عشر شهر شباط قمرية آذار الأول، الذي يصنع به اليهود تذكارًا: لمردخاي، وإستير،

---

(١) كذا في المخطوط: بالصاد، والمعروف بالسين، وهي ما يعرف قديمًا ببلاد الأندلس، والتي كان فتحها طارق بن زياد رحمه الله تعالى وصارت من دول الإسلام لمدة ثمانية قرون.

اللذان أنقذاهم من يدي هامان.

وعندما شاهد السارق ذاك الصنيع الرديء كَفّ عما كان يريده، وذهب فأخبر صاحب الشرطة.

وحالا هجم الوالي بجماعته ورجاله على المكان وأخرجوا منه الطفل ميتًا.

وافتدى اليهود أنفسهم من الحاكم بثلاثمائة ألف درهم بعد ما قتل [٣٠/ب] منهم خمسة أشخاص[1].

فأظن أن هذا الطفل الذي قتله أولئك الأوغاد الفُجَّر، كان تذكرة عن قتل هامان كما ذكر ذلك الحاخام ناوفيطوس الراهب الجاحد معتقد العبرانيين في القسم الثالث من كتابه المسمى: "انهدام الديانة العبرانية".

فقد ذكر فيه : أنه في ذلك اليوم يصنعون أرغفة مخلوطة بالعسل،

---

(١) سبق أن ذكرت عددًا من الحوادث التي قاموا بها على مدار التاريخ القديم، وما يصنعونه الآن منذ مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا ودير البلح، وما هو صائر الآن في أرض فلسطين من قتل يوميًا لأهلها وشباها وأطفالها ونسائها وشيوخها على مسمع ومرأى من جميع العالم بكل أجهزته ووسائله بلا أدنى اكترات أو خوف من العواقب المدنية أو العسكرية حيث يعلمون تمامًا أنه لا ولن يستطيع العرب أو غيرهم أن يردوا عليهم الكيل ولو بمثله لأنهم قادرون على مضاعفة ما هم فاعلون آلاف المرات أمثاله بامتلاكهم المفاعلات النووية والقنابل الهيدروجينية وغير ذلك من الأسلحة الممنوعة دوليًا، والتي تخلو منها بلاد العرب جميعًا بل ويخضعون للتفتيش عنها للتأكيد من خلو بلادهم منها في حين لا يجرؤ أحد أن يفتش إسرائيل بل لا يجرؤ حتى على المطالبة بذلك والكل يعلم امتلاكهم لهذه الأنواع من الأسلحة التي يهددون بها العرب من حين لآخر.

ولكننا لا نيأس فالأمل مازال يحدو المجاهدين من أهل فلسطين والله تعالى معهم يقويهم وينصرهم هو ولي ذلك والقادر عليه سبحانه.

ويضيفون إليها دمًا حديثًا، ويهادون بها أصدقاءهم، يسمونها: ما سلوا ياحمونه.

وعن هذا الدم تنبأ أرمياء النبي قائلاً عن الشعب الإسرائيلي: "وفي يديكم وجد دم نفوس الأزكياء".

فلا شك أنك أيها السيد النبيل والفاضل الجليل تنذهل من تلاوة جميع ما هو مشروح إلى هذا الحد.

ولكن لا ينبغي لك أن تنذهل من حالهم هذا بعد أن [عرفت أن](١) [٣١/أ] اعتقادهم بالله تعالى قد فسد بأضاليل خرافية، كما ستراه إن شاء الله تعالى في الفصل الثالث.

ولنذكر الآن شيئًا مختصًا بالدم من سُنَّة الشريعة الإسرائيلية: فاعلم أفادك الله تعالى أن كل الأشياء حسب التوراة الموجودة الآن(٢) تتطهر

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) انظر إلى قوله التوراة الموجودة الآن. وسبق أن أطلت الحديث عن تاريخ التوراة ولا مانع من أن أذكر طرفًا آخر عن تاريخها من نفس كتاب القرآن، والإنجيل والتوراة والعلم، لمؤلفه الدكتور موريس بوكاي لتكون الشهادة من أهلها مرة أخرى إذ يقول في (ص: ٢٦) تحت عنوان: التوراة أو أسفار موسى الخمسة:

التوراة هو الاسم السامي.

أما التعبير اليوناني أعطي كلمة "Pentateuque" الفرنسية فهي تعني مؤلفًا يتكون من خمسة أجزاء هي: التكوين، والخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

وهي الأسفار التي كونت العناصر الخمسة الأولى لكتاب العهد القديم من تسعة وثلاثين مجلدًا.

وتتناول هذه المجموعة من النصوص: أصل الكون، وحتى دخول الشعب اليهودي أرض كنعان، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر، والتحديد حتى موت موسى.

=

بواسطة الدم، وكل خطيئة لا تغفر إلاّ به، فهذا لا يقدر اليهود على إنكاره، لأن موسى [عليه السلام] عندما قرأ وصايا التوراة على الشعب الإسرائيلي أخذ دم عجول، وتيوس، وماءً، وصوفًا أحمر، وزوفًا ورشه على السُّفَر، وعلى جميع الشعب، وقال: "هذا دم الوصية الذي أمركم الله تعالى بها".

كما كان الشعب المسيحي يصنع ذلك معهم قبل بعثه عيسى عليه السلام.

ولنوضح ما يخص التطهير مما جاء في سفر الخروج[1] [٣١/ب] في الإصحاح التاسع والعشرين حيث قال: "وقال الله لموسى: اذبح الكبش وخذ من دمه ورش

=

وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير الخاصة بالحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب اليهودي.

ومن هنا جاء اسم التوراة: أي الناموس. وظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران أن موسى نفسه هو كاتب التوراة.

وربما كان من دفع بتلك الدعوى قد اعتمد على واقع أن الرب قد قال لموسى (الخروج ١٧/١٤) "اكتب هذا تذكارًا في الكتاب".

والمقصود بهذا هزيمة عماليق.

أو ربما قد اعتمد أيضًا على الآية الثالثة من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد: "وكتب موسى مخارجهم. برحلاتهم حسب قول الرب".

أو قد اعتمد على الآية التاسعة من الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التثنية: "وكتب موسى هذه التوراة".

وابتداءً من القرن الأول قبل الميلاد، كان هناك دفاع عن الرأي القائل بأن موسى قد كتب الأسفار الخمسة كلها.

دافع عن هذا الرأي كلا من فلافيوس، وجوزيف، وفليون الإسكندري.

أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تمامًا، والكل يتفق على تلك النقطة.

ولكن هذا لا يمنع أن العهد الجديد ينسب إلى موسى هذه الكتب.

(١) جاء بهامش المخطوط عبارة: جزء (٤).

على طرف أذن هارون اليمنى، وعلى طرف آذان بني هارون، ورش الدم على المذبح باستدارة ثم خذ من الدم الذي على المذبح ومن دهن المسحة فرشه على هارون وثيابه وعلى بنيه، ويطهر هو وثيابه وبنوه معه".

فهذا كان دأبهم وهم بالبرية قبل عمار بيت المقدس، فلا يحتجوا أنه كان جاري عندهم هذا الصنيع والبيت معمور وهم أصحاب تملك، كما احتجوا على الناس ببعض أشياء يزعمون أنها كانت جارية عند عمار البيت.

أيضًا في الإصحاح الثامن من سفر الأخبار يقولون: وقَدّم موسى الكبش الثاني لكمال الكهنة، فوضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه -حاشا كما فعل هارون [٣٢/أ] أخو داود الهراري بالشام وقت ذبح القسيس توما الفرنساوي- وذبحه موسى [عليه السلام] وأخذ من دمه وطلى به طرف أذن هارون اليمنى، وإبهام يده اليمنى وإبهام رجله اليمنى، وقدّم بني هارون ونضح موسى من الدم على أطراف آذانهم اليمنى وإبهام أيديهم وأرجلهم اليمنى، وصير ما بقي من الدم على استدارة المذبح، وأخذ موسى الدهن والدم الذي على المذبح وصيره على هارون وثيابه، وبني هارون وثيابهم(١).

---

(١) انظر كيف يتكلمون على أنبياء الله تعالى ورسلـــه كموسى وهارون وأبنائهم عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم السلام ، ولك أن تتصور الحال التي يكون عليها سيدنا هارون وبنيه بعد تلك الوجبة المقززة التي رسموها ووصفوها، هل يليق هذا بأنبياء الله ورسله وخيرة الله من خلقه.

وبمناسبة الحديث عن سيدنا هارون فإن القرآن الكريم بذكره غير غيره من الأنبياء فهو يعطينا عن حياته لمحات بعد لمحات نخلص منها أنه أوحى بشفاعة أخيه موسى عليه السلام له واستجابة لدعائه، وقد اتسم ســيدنا هارون مع ما أوتي من خصائص النبوة بسعة الصدر، ولين الجانب وحكــمة في التصرف مع المواقف الصعبة في حينها بما يناسبه وبلاغة اللفظ مع عذوبة في الأسلوب وانظر إليه وسمع حديثه مع أخيه سيدنا موسى عند شـــدة غضبه

كذاك عما يختص تطهير الأبرص، يقول في الإصحاح التاسع عشر من السفر المذكور: وبأمر الكاهن فيذبح أحد العصفورين في إناء فخار على ماء معين، والآخر يطلبه حيًّا من دم العصفور المقتول، ومن خشب الأرز والزوفا، ويرش الدم على الرجل الذي تطهر من البرص سبع مرات ليطهر ، وليطلق العصفور الحي [٣٢/ب] ليطير إلى البر.

وفي الإصحاح السادس عشر من السفر المذكور يقول: "ويضع هارون يديه ويقر بذنوب بني إسرائيل وخطاياهم على رأس الجدي ويرسله مع رجل مستعد إلى القفر ، ويحتمل الجدي إثمهم كله إلى أرض قاع فيترك الجدي في القفر".

=

وغيرته على دين الله حين ألقى الألواح وأخذ بلحيته ورأس أخيه سيدنا هارون يجره إليه منها، فما كان منه لما اتسم به من خلق رفيع وحكمة بالغة مع نبوته ، إلاّ أن ساق ألفاظًا لا يمكن أن تكون إلا من مثله إذ يقابل بذلك بقوله: (ابن أم) ليثير فيه عاطفة اللبن وحنين الرحم وأشجان الصبا وبراءة الطفولة، والتي تعبر كلها عن سلامة القلب وصفائه وخلوه مما يظن به ، وهنا تدارك موسى أنه بريء وأنه لا يمكن أن يكون قد تركهم بلا وعظ ولا إرشاد بل تركهم لحكمة من حكمه التي عهدها منه وفيه وعنه ، واستمع إليه وأنزل الله براءته وزكاه فيما قال، وقصته مع بني إسرائيل ومكرهم وتمردهم على سيدنا موسى وهارون كثيرة كبيرة طويلة غير أن سيدنا هارون كان دائمًا يمرر تلك المواقف، وكان بنو إسرائيل يحبون سيدنا هارون حبًا شديدًا لدرجة أهم اقموا سيدنا موسى بقتله ، انظر إلى هؤلاء القوم الذين لم يتورعوا مع نبيهم على أن يتهموه بأشد أنواع التهم بعد الشرك بالله بالقتل، وقتل من قتل نبي وأي نبي إنه أخوه ووزيره ومصطفاه.

فأف لهم من قوم ما رعوا لنبي حرمة وأنزلوه متزلته ولا قدروه قدره وسلام على موسى وهارون في السابقين.

وذلك الذي يرسل الجدي لعزرائل يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ثم بعد ذلك يدخله إلى محله.

وحينئذ يخرجون خارجًا من المحلة ثور الخطيئة وجدي الخطيئة يدخل من دمهما للتطهير في الهيكل، ثم يحرقون جلدهما وفرثهما بالنار، ثم يقول: "ويكون هذا سنتكم إلى الدهر".

قال مؤلفه: فإذًا كلما صنعه اليهود من الخطايا المميتة أن قتلوا أو سرقوا أو فعلوا كل خطيئة كانت محرمة عندهم، فالقضية تتكلف عليهم أخيرًا جديين، وعصفورين، وثورًا لا غير.

وسيما وأنهم مأمورون بأن تكون هذه سُنّتهم إلى [آخر][1] الدهر.

[٣٣/أ] ولقد سألت ذات مرة من الحاخام مشون أبو العافية عن كيف أنهم قايضوا الحيوانات بالأنفس البشرية؟

فأجابني قائلاً: لو كنت ممن يكذب عليه لكذبت عليك بجواب غير ما سأقوله لك، ولكن راجع كتاب براخوت فترى جوابك مصرحًا.

وما أظنه يشير إلاّ لما ذكره ذاك العالم اليهودي في الكتاب المذكور: من أن غير الإسرائيليين جميعهم بهائم وحيوانات، والخاصية التي في الحيوانات هي فيهم أيضًا.

فأسأل الله تعالى أن ينوّر بصيرتهم بما أنه على كل شيء قدير.

❁ ❁ ❁

(١) زيادة يتطلبها السياق.

الفصـــل الثالـــث
فـــي
خروجهم عن حدود الشريعة الإلهية والإنسانية
وما ينسبونه إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا

فمن ذلك ما ذكره علماء التلمود في كتاب الطلمون [٣٣/ب] وفي الرأس الأول من كتاب برخوت حيث يقول الرّبي[1] ناخام بن إسحاق إلى الرّبي صائيا بن أبين: بماذا يصلي رب الكل في كل يوم؟

فيجيبه: برباط التيفيلي على رأس.

فيسأله ثانية: وماذا يكتب رب الكل في الحجابات التي يلبسها؟

فيجيبه: على الموضوعات الذي يكتبها أنها من الاستثناء من الرأس الفلاني والمحل الفلاني إلى النهاية.

فيعترضهما الرّبي أخاب بن دايان: أن هذا مكتوب في واحدة من الرباطات فقط، فالثلاثة الأخر ماذا مكتوب فيها؟

فيجيب : إنه تفصيلاً الأمر الذي عندما ذكره أظن أن السماء كادت

---

(١) أي : ما يعادل الكاهن أو القسيس وهو: رتبة من الرتب الدينية اليهودية كما هي الرتب عند النصارى، وأصحاب الديانات الأخرى حيث تقوم عباداتاهم على عديد من الرتب أو المناصب الكهنونية إلا أن الإسلام لا يعرف ولا يقر مثل تلك الرتب أو الدرجات أو المناصب الدينية وليس عندهم ما يسمى برجل دين، ولكن من نال قسطًا من المعرفة في شرائع الدين وتفاصيله يسمى عالمًا كما هو الحال في أي: علم من العلوم المدنية من نال قسطًا فيه يسمى عالمًا، وكما أنه لا قداسة لأصحاب العلوم المدنية كذلك لا قداسة لأصحاب العلوم الدينية في الإسلام فالكل في الإسلام وأمام الله سواء ولا فرق إلا بالتقوى والعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

أن ترسل على الأرض شواظًا من نار لتحرّقها.

ومن ذلك ما يقوله الرّبي ناخام واعظًا به شعب اليهود: إن الله يبكي كل يوم ثلاث ساعات، وتنحدر من عينيه الدموع إلى البحر، عنــــــدما [٣٤/أ] يتذكر شقاء الشعب اليهودي وخراب بيت المقدس.

ومنه ما ذكره الرّبي آسي: عن أنه -جل جلاله وتتره عن ذلك- يقضي غالب النهار بتعليم أولاد اليهود القراءة بالمجادلة مع علماء التلمود، وباللعب مع التنين العظيم الذي خلقه في وسط البحر، وينقل الأرواح الخارجة من الأجسام اليهودية بالموت الطبيعي إلى الحمير والكلاب ليطهرها من النقائص التي[1] كانوا يصنعونها حال حياتهم.

وهنالك يذكر: أن الله كان أخبر إيلياء بأن متى صلى الرّبـــى حانيًا وأولاده ثلاثة أيام متوالية يأتي المسيح، وأمره الله أن لا يخبر اليهود بذلك.

---

(١) في المخطوط الذي، وهو تحريف، وعمومًا لا تستغرب مثل هذه الأقول من هؤلاء القوم وقد قال الله فيهم: ﴿**أولئك الذين كذبوا على رهم ألا لعنة الله على الكاذبين**﴾.

وقد ذكـــرت لك قبل ذلك أخي الكريم طرفًا من اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى وكيف أنه أقل علمًا من هؤلاء الحاخامات الذين صنعوا منهم آلهة ويدعون أن غيرهم هم من الوثنيين عباد الأصنام، فلا عجب، ولا عيب أن يأتي العيب من أهله.

فهم تارة أبناء الله وشعبه المختار، وتارة يقولون إن الله فقير ونحن أغنياء وتارة الله أنزل التوراة، وتارة يصححون التوراة بالتلمود، وتارة موسى كليم الله ورسوله ، وتارة موسى قاتل لأخيه، فلا غرو ولا معول على أقوال أولئك القوم ولا على معتقداهم أنما هم مصاصوا دماء كما تنطق بذلك كتبهم وأيدهم لا تزال ملوثة بدماء البشر منذ أقدم العصور وإلى اليوم وسيستمر ذلك الأمر إلى ما شاء الله تعالى.

وأما إيلياء فإنه أخبر اليهود، وخالف وصية الله، ولذلك ضربه الله بالعقلة فلا يدع أحدًا ينظره إلا بأمر الله.

فمن أراد أن يقرأ تفاصيل ذلك فليراجع كتاب المطران يوحـــــــنا [٣٤/ب] كلا وديوس في العدد الثالث في تأليفه النظري والعملي، ثم يقولون: إن الله يدرس كل يوم في كتاب التلمود نحو ساعتين ونصف(١)، ومن هذه التلاوة قد استنتج الخطيئة الذي ارتكبها -عز وعلا- لَمَّا أنـــقص ضوء القمر عن ضوء الشمس، ولذلك أوصى بتقدمه ذبيحة في ابتداء كل شهر قمري.

فأعوذ بالله من هذه العقيدة.

ثم يقولون خزاهم الله: أنه تعالى قد كذب مرة ليحفظ الصلح بين إبراهيم وسارة.

فما رأيك أيها النبيه في هذا الكفر الشنيع المناقض كمالات العزة الإلهية.

فأولا: نكاية بقدرته تعالى.

وثانيًا: درسه في كتاب التلمود ينافي حكمته الأزلية.

وثالثًا: أن خطأه يضاد قدسيته.

ورابعًا: أن كذبه يناقض كون الحق بالذات(٢) .

---

(١) لا تقل لماذا هذا النصف؟

فكل شيء عندهم لا معنى له غير إيقاعك في السؤال؛ لتنساق وراءهم فربما نالوا منك ما لم يخطر لك على بال ، غير أنهم لن يدعوك للدخول في دينهم ولكن ليسلبوك أي شيء أي شيء، مهما كان هذا الشيء في نظرك تافهًا فله عندهم معنى ومغزى بعيد.

(٢) انظر أنت إلى تعديــد المؤلف إلى أبواب الكفر التي ذكرها في حقهم ، يبين لك مدى صحة عقيدته في الله تعالى ولا ينفي ذلك عنه ما هو فيه من تيه وشرود إذ لم يقر نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على الرغم من ذكره

فهل يوجد أحد من عبّادين الأصنام المعتدين بكثرة الآلهة [٣٥/أ] الكذبة ينسب لأحد آلهته هذه النقائص الشنيعة، كالهيولى، والحزن، والضعف والجهل، والكذب، والخطأ.

فربنا [نسأل][١] من فضله وكرمه أن يكشف عن أعينهم غمام هذا الكفر الشنيع، وينور قلوبهم ليؤمنوا به إيمانًا صادقًا مترهًا عن كل ما تخالطه الظنون، إنه أرحم الراحمين[٢].

=

له بالكمال وبلفظ النبوية وللقرآن بالقدسية واستشهاده بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، رزقنا الله وإياكم العصمة من الذلل ونسأله سبحانه وتعالى لنا ولكم حسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٢) يقول الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٢١٠) في الفصل الأول تحت عنوان اليهود خاصة: هاد الرجل: أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام. ﴿**إنّا هدنا إليك**﴾ أي: رجعنا وتضرعنا.

وهم أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أعني أن ما كان يترل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتابًا بل صحفًا ....

وقد اشتمل ذلك (أي التوراة) على أسفار، فيذكر مبتدأ الخلق في السفر الأول، ثم يذكر الأحكام والحدود، والأحوال والقصص، والمواعظ، والأذكار في سفر سفر .

وأنزل عليه أيضًا الألواح على شبه مختصر ما في التوراة، وتشتمل على الأقسام العلمية والعملية ، قال تعالى : ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة**﴾ [الأعراف: ١٤٥]. إشارة إلى تمام القسم العلمي، ﴿**وتفصيلاً لكل شيء**﴾ [نفس الآية] إشارة إلى تمام القسم العملي.

قالوا: وكان موسى عليه السلام إذا أفضى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع

ابن نون وصيه وفتاه والقائم بالأمر من بعده ليفضي بها إلى أولاد هارون، لأن الأمر كان مشتركًا بينه وبين أخيه هارون عليه السلام إذ قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في دعائه حين أوحي إليه أولاً: ﴿**وأشركه في أمري**﴾ [طه: ٣٢]، وكان هو الوصي.

فلما مات هارون في حياة موسى انتقلت الوصية إلى يوشع بن نون وديعة ليوصلها إلى شبير وشبر ابني هارون قرارًا.

وذلك أن الوصية والإمامة بعضها مستقر، وبعضها مستودع.

واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلاّ واحدة، وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به، فلم تكن قبله شريعة إلاّ حدود عقلية، وأحكام مصلحية.

ولم يجيزوا النسخ أصلاً، قالوا: فلا يكون بعده شريعة أصلاً، لأن النسخ في الأوامر بداء، ولا يجوز البداء على الله تعالى.

ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه، وعلى التشبيه ونفيه، والقول بالقدر والجبر، وتجويز الرجعة، واستحالتها.

أما النسخ فقد ذكرناه -يريد فيما مضى من كتابه-.

وأما التشبيه: فلأنهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات مثل الصور، والمشافهة، والتكليم جهرًا، والنزول على طور سيناء انتقالاً، والاستواء على العرش استقرارًا، وجواز الرؤية فوقًا وغير ذلك.

وأما القول بالقدر: فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الإسلام، فالربانيون كالمعتزلة فينا.

والقراؤون كالمجبرة والمشبهة.

وأما جواز الرجعة: فإنما وقع لهم في أمرين: أحدهما: حديث عزير عليه السلام إذ مات في التيه، وقد نسبوا إلى موسى قتله بألواحه.

فقالوا: حسده، لأن اليهود كانوا أميل إليه منهم إلى موسى عليه السلام، واختلفوا في حال موته، فمنهم من قال: مات وسيرجع، ومنهم من قال: غاب وسيرجع.

ولقد يزعم بعض الحاخامين مما يناسب هذا الاعتقاد الشنيع أن المسيح ما عاد يأتي إلى العالم لكثر الخطايا، على أن التوراة، والزبور ليس بهما[1] ولا أدنى خيال من أن مجيء المسيح يشترط عدم وجود الخطايا بين البشر بل المعلوم عند أحبار النصارى، وعند السادة [من أهل][2] الإسلام أنه أتى وسيأتي ليطهر الأرض من الخطايا الكثيرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر والذي ينتج من زعم أولئك العبرانيين [٣٥/ب] أن التوراة والزبور والأنبياء بأجمعهم كذبة لأنهم جميعهم أوعدوا بإتيان المسيح.

أو كأن الله ليس بأمين في مواعيده، أولا يعلم العتيدات، أو يمكن أن يغش أو يُغش.

تعالى الله عن ذلك.

ومما سمعته بأذني شفاها من المتفقهين في ملة اليهود من رجل يقال له : داود السنانكلي ، كان كثيرًا ما يتردد عليّ في مدينة صيدا ، وكنت كثيرًا ما أظهر له المحبة وأساعده على قضاء مصالحه الدنيوية وهو أنني سألته ذات يوم عن سبب التقنيص[3] الذي يعتقده الشعب اليهودي، أعني: انتقال الأرواح إلى الحمير والكلاب.

وبعد ذلك إلى أجسام بشرية كما يقولون: فزعم أن الله ما خلق الناس إلا ليحفظوا وصاياه العشرة التي أعطاهم لموسى في اللوحين الحجريين[4]،

---

(١) في المخطوط: بهم . وهو تحريف.

(٢) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٣) أي: تناسخ الأرواح ولكن ليس في صورة بشر إلى بشر آخرين، ولكن عندهم من بشر يهود إلى حيوانات أخرى مختلفة.

(٤) والمعروف أن موسى عليه السلام كان معه أكثر من لوحين لقوله تعالى: ﴿وألقى الألواح﴾ وهو ما يفيد أن معه أكثر من اثنتين.

ولم يكن لله شعبًا سوى الشعب الإسرائيلي، فإذا مات [٣٦/أ] رجل من هذا الشعب وكان حال حياته عاملاً بوصاياه تعالى، فحالاً تمضي روحه إلى فردوس النعيم، وأما إذا مات مخالفًا لواحدة منها، فالله يرسل روحه لبهيمة كي يطهره من الخطايا بواسطة العذابات التي تكابدها تلك البهيمة، وبعد أن تتطهر يدخلها في جسم بشري لتتميم وصاياه تعالى، ولم يزل يميتها ويحييها حتى تموت نقية عاملة بوصاياه، لأنه لا يريد أن يدخل النار نفس يهودية، ولا يقدر أن يدخلها الجنة بغير عمل تستحقه تلك النفس، وليس له واسطة لخلاصها ولحفظ وصاياه، التي تستحق بواسطتها أن تدخل ملكوته إلاّ بهذه العلّة، وهي إعادتها إلى جسم بشري.

فهل سمع بهذه[1] الخرافات التي ينسبون بها الله تعالى إلى العجز المنافي كونه قادرًا على كل شيء؟

ويجعلونه مما يتحيل لإتمام ما يريده [٣٦/ب] كبشر من المخلوقين.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



---

(١) في المخطوط: بهذا . وهو تحريف.

القسم الثالث
في
الرد على ملة اليهود الجاحدين مجيء عيسى عليه السلام وإقامة البينة عليهم بصحة مجيئة إلى العالم[1]

---

(١) يقول ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى في [آل عمران: ٥٥] ﴿**وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا**﴾: اختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿**إني متوفيك ورافعك إليّ**﴾ ، فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره: إني رافعك إليّ ومتوفيك يعني: بعد ذلك.
وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**إني متوفيك**﴾ أي: مميتك.
وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه.
قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات، ثم أحياه.
قال إسحاق بن بشر، عن إدريس، عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه، ثم رفعه.
قال مطر الوراق: إني متوفيك في الدنيا وليس بوفاة موت.
وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه.
وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم كما قال تعالى: ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾ الآية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم: "**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**" الحديث.
وقال تعالى: ﴿**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا* وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾ إلى قوله: ﴿**وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا**﴾ والضمير في قوله تعالى: ﴿**قبل موته**﴾ عائد على عيسى أي: وإن من أهل إلا ليؤمنن

=

بعيسى وذلك حين يترل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سياتي بيانه - فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلاّ الإسلام.

وقال ابن أبي حاتم: ... بإسناده إلى الحسن أنه قال في قوله تعالى: **﴿إني متوفيك﴾** يعني: وفاة المنام، رفعه الله في منامه.

قال الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود: "**إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة**".

وقاله تعالى: **﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾** أي: برفعي إياك إلى السماء، **﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾**، وهكذا وقع، فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله تعالى إلى السماء تفرقت أصحابه شيعًا بعده فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبدالله ورسوله، وابن أمته ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله.

وآخرون قالوا: هو الله.

وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة.

وقد حكى الله مقالتهم في القرآن الكريم ورد على كل فريق، فاستمروا على ذلك قريبًا من ثلثمائة سنة، ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له: قسطنطين، فدخل في دين النصرانية، قيل: حيلة ليفسده فإنه كان فيلسوفًا.

وقيل: جهلاً منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين، والأمانة الكبرى، التي هي الخيانة الحقيرة، وأحل في زمانه لحم الخترير، وصلوا إلى المشرق، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون.

وصار دين المسيح دين قسطنطين إلى أنه بنى لهم من الكنائس، والمعابد، والصوامع، والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد، وبنى المدينة المنسوبة إليه، واتبعه طائفة الملكية منهم في هذا كله قاهرون لليهود، أيده الله عليهم لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفارًا عليهم لعائن الله.

=

أما الدلائل الموردة في كتب اليهود، كالتوراة والزبور وغيرهما من أسفار موسى:

عن أن الله سيرسل مسيحًا إلى العالم ليعرفه بالحق، ويأمره بالدين القويم[1]، فهي كثيرة لا يقدر أن يجحدها أحد منهم لأن جميعهم يعرفونها كما يعرفون آباءهم.

وقد ارتسمت على صفحات قلوبهم حتى أن تبدد أسباطهم في جميع أقطار المسكونة وخيبة رجائهم مذ ألف وثمانمائة وخمسة وأربعين سنة، لم تفصلهم عن توقعهم مجيئه عليه السلام.

وإنما يقولون إنه سيأتي [٣٧/أ] بعد إلى العالم.

ويجحدون أنه جاء أوّلا، ها نحن ذاكرون لهم إن شاء الله تعالى من النبوات التي قيلت في حقه عليه السلام ما يبين لهم زمن ظهوره وموضع ميلاده، والقبيلة التي نشأ منها وحياته وصفاته ومعجزاته مما لا يستطيعون إنكاره بنوع من أنواع الجدل.

فأما عن[2] ظهوره: فقد ذكره نبي الله يعقوب عندما جمع أولاده ليخبرهم بما سيكون من بعده كما هو مصرح في التوراة حيث يقول: لا يبرح القضيب من يهوذا -أي الملك- ولا يزول الشارع من فخذه حتى يأتي شبلوه- الذي تفسيره المسيح- وإليه يكون اجتماع الشعب.

=

فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على وجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي خاتم الرسل.

(١) وفي هذا نظر فنزول المسيح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "**حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطًا**" ومقررًا الدين الإسلام وانظر الهامش السابق .

(٢) في المخطوط: من . وهو تحريف.

ومن المعلوم أن ملك اليهود لم يزل في سبط يهوذا حتى جاء المسيح وانتزع منهم بالكلية.

ثم أوضح ذلك أيضًا ملاخيا النبي حيث يقول: ها أنا ذا أرسل ملاكي فيسهل الطريق أمام وجهي [٣٧/ب] وللوقت يأتي إلى هيكله المسلط الذي تطلبون وملك الميثاق الذي أنتم تريدون، وها هو آت يقول: رب الجنود".

فمن هنا يعرف جيدًا أن الأنبياء تنبأت على إتيان المسيح قبل خراب الهيكل لأن ملاخيا النبي كان آخر أنبياء بني إسرائيل وقد قيد مجيء المسيح قبل خراب الهيكل. والهيكل قد خرب بعد إتيانه عليه السلام و لم يعد[١] لهم حجة يحتجون بها.

وهناك علامة أخرى على ظهوره قبل خراب الهيكل من صريح كلام حجي النبي في إصحاحه الثاني حيث يقول: "ويأتي المشتهى، وأملأ هذا البيت مجدًا".

ويقول رب الجنود: ويكون مجد هذا البيت الأخير أعظم من الأول، وفي هذا الموضع أعطي سلامًا.

ومن المعلوم أن الهيكل الأول أحرق في أورشليم بعد هلاك جيوش سخاريب سنة ثلاثة آلاف وأربعمائة وستة عشر للخليقة[٢] قبل بعثة [٣٨/أ] عيسى عليه السلام بخمسمائة وثمانية وثمانين سنة.

وتشييد الهيكل الثاني كان سنة ثلاثة آلاف وأربعمائة وتسعة وستين، قبل بعثه عليه السلام بخمسمائة وخمسة وثلاثين سنة.

وقد تأكد بهذه الآيات العظيمة الوضوح أن ظهوره كان في مدة تملك سبط يهوذا قبل خراب الهيكل، وبعد موت النبي المذكور.

---

(١) في المخطوط: عاد، وهو تحريف.

(٢) هذا الكلمة زائدة على السياق.

وأوضح من ذلك ما قال نبي الله دانيال[1]: "سبعين أسبوعًا قضت على

---

(١) وقال ابن كثير أيضًا في قصص الأنبياء عن نبي الله دنيال عـــــليه السلام (٤٥٦/٢) في ذكر شيء من خبر دنيال عليه السلام : فذكر بإسناد ابن أبي الدنيا إلى عبدالله بن أبي الهذيل قال: ضرّا بختنصر أسدين فألقاهما في جب وجاء بدانيال النبي، فألقاه عليهما فلم يهيجاه، فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام : أن أعدد طعامًا وشرابًا لدانيال.

فقال: يا رب أنا بالأرض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق.

فأوحى الله إليه: أن أعدد ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت. ففعل، وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب. فقال دانيال: من هذا؟ قال: أنا أرميا.

قال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك.

قال: وقد ذكرني ربي؟ قال: نعم.

فقال دانيال : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي يجيب من رجاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا. والحمد لله الذي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا، والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا.

وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبي خالد بن دينار حدثنا أبوالعالية قال: لما افتتحنا تستر، وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية وأنا أول رجل من العرب قرأه، مثل ما قرأ القرآن هذا. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟

قال: سيركم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد.

قلت: فما صنعتم بالرجل؟

=

شعبك وعلى مدينتك المقدسة، فيبطل التعدي وتزول الخطيئة ويضمحل الإثم، ويجلب العدل الأبدي، وتتم الرؤيا، ويمسح قدوس القديسين".

فمن المعلوم أن من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى المسيح القائد سبعة أسابيع واثنين وستين أسبوعا.

فعلى حساب أن الأسبوع سبع سنين كما جرت بذلك عادة حساب اليهود، يكون هذا القدر [٣٨/ب] أربعمائة وتسعين سنة.

=

قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس، فلا ينبشونه.

قلت: فما يرجون منه؟

قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دنيال.

قلت: مذ كم وجدتموه قد مات؟

قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما تغير منه شيء؟

قال: لا إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

ثم قال ابن كثير تعليقًا على هذا الخبر: وهذا إسناد صحيح متصل إلى أبي العالية، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظًا من ثلاثمائة سنة، فليس بنبي بل هو رجل صالح ، لأن عيسى عليه السلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث الذي رواه البخاري ، والفترة التي كانت بينهما اربعمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة، وقيل: ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة هو قريب دانيال إن كان كونه دانيال، هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال النبي لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس، فأقام عنده مسجونًا كما تقدم.

وبهذه العبارة رسم النبي عين به بعث المسيح، وزال الالتباس بالكلية.

وقد شهدنا حومياس الرّبي اليهودي قبل ظهور المسيح بخمسين سنة : أن ما ذكره دانيال عليه السلام هو بمعنى بحق المسيح، وفي السنة التي أظهر فيها المسيح ذاته الهيكل، وهي الثانية عشر من عزل أرخلاوس ملك اليهودية.

كان تنصيب كوبونيوس على اليهود وكيلا من طرف دولة الرومانيين وأذلت مملكة يهوذا التي كانت آخر ما بقي من بني إسرائيل، وانتزع منها الملك، كما تنبأ عنهم نبي الله يعقوب [عليه السلام] فيما ذكرناه آنفًا.

وبعد صعود عيسى عليه السلام لم يبقى في هيكلهم حجر على حجر، وصارت دولتهم كقفر خرب يزعق به البوم.

وللمعلم صموائيل المؤرخ ملاحظات مفيدة اقتبسها [٣٩/أ] من محررات إسحاق الفيلسوف لا بأس بإيرادها هنا وهي قوله : هل قال دانيال [عليه السلام]: أسبوعًا قضيت على شعبك... الخ؟

كتب بعد وقوعه أو يمكن أن يقال أنه وقع اتفاقًا مضى أربعمائة وتسعين سنة من السنة السابعة من عهد الملك أرتحشِشتا، حين قدم عزرا من بابل إلى أورشليم بأمر يتضمن إعادة ملك إلى صعود المسيح، وذلك من سنة مائتين وتسعين من ملك بابل إلى سنة سبعمائة وثمانين عبارة عن سبعين أسبوعًا من السنين.

وهل قول النبي أيضًا: أن أسوار أورشليم وأسواقها يعاد بناؤها في ضيق الوقت.

كتب بعد وقوعه أو يمكن أن يقال: أنه وقع اتفاقًا؟ مضى أربعمائة وأربعة وثلاثين سنة تامة من السنة الثامنة والعشرين من عهد الملك أرتحششتا المذكور، عند فراغ بناء الأسوار إلى المولد المسيحي، وهو من [٣٩/ب] سنة ثلاثمائة وإحدى عشرة من ملك بابل إلى سنة سبعمائة وخمسة وأربعين.

عبارة عن اثنين وستين أسبوعًا من السنين.

وهل قول دانيال [عليه السلام]: "ويثبت العهد لكثيرين في أسبوع واحد".

كتب بعد حدوثه ؟ أو يمكن أن يقال: إنه وقع عرضًا مضى سبع سنين تامة من صعود عيسى عليه السلام سنة ثلاث وثلاثين للميلاد المسيحي؟

إلى أن أمر بطرس أحد الحواريين بأن يهذب ويعظ كورنيليوس وغيره من الأمم.

وهي الأربعين للميلاد المذكور، وذلك عبارة عن أسبوع واحد.

وهل قوله أيضًا : "وفي نصف الأسبوع تبطل الذبيحة والقربان ويخرب القدس بانتشار الرجس"(١) كتب بعد وقوعه؟

---

(١) قال ابن كثير في قصص الأنبياء (٢/١٤٩: ١٥٥) في ذكر خراب بيت المقدس: قال إسحاق بن بشر: أنبأنا إدريس عن وهب بن منبه، قال: إن الله تعالى لما بعث أرميا إلى بني إسرائيل، وذلك حين عظمت الأحداث فيهم، فعملوا بالمعاصي، وقتلوا الأنبياء، طمع بختنصر فيهم وقذف الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير إليهم، لما أراد الله أن ينتقم به منهم، فأوحى الله إلى أرميا: أني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم، فقم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمري ووحيي.

فقام أرميا فشق ثيابه، وجعل الرماد على رأسه، وخر ساجدًا لله، وقال: يا رب وددت لو أن أمي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل، فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجلي.

فقال له: ارفع رأسك، فرفـــع رأسه، فبكى، ثم قال: يا رب من تسلط عليهم؟

فقال: عبدة النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي.

قم يا أرميا فاستمع وحيي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل: من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل ان أصورك في رحم أمك قدستك، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، ومن قبل أن تبلغ نبأتك، ومن قبل أن تبلغ

الأشد اخترتك ولأمر عظيم اجتبيتك، فقم مع الملك تسدده وترشده.
فكان مع الملك يسدده ويرشده، ويأتيه الوحي من الله حتى عظمت الأحداث، ونسوا ما نجاهم الله به من عدوهم سنحاريب وجنوده.
فأوحى الله إلى أرميا. قم فاقصص عليهم ما آمرك به، وذكرهم نعمتي عليهم، وعرفهم أحداثهم.
فقال أرميا: يا رب إني ضعيف إن لم تقوني، عاجز إن لم تبلغني، مخطئ إن لم تسددني، مخذول إن لم تنصرني، ذليل إن لم تعزني، فقال الله تعالى: أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن الخلق والأمر كله لي، وأن القلوب والألسنة كلها بيدي، فأقبلها كيف شئت فتطيعني، فأنا الله الذي ليس شيء مثلي، قامت السماوات والأرض وما فيهن بكلمتي، وأنه لا يخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلا لي، ولا يعلم ما عندي غيري، وأنا الذي كلمت البحار ففهمت قولي، وأمرتها ففعلت أمري وحددت عليها حدودًا فلا تعدوا حدي، وتأتي بأمواج كالجبال، فإذا بلغت حدي ألبستها مذلة لطاعتي، وخوفًا واعترافًا لأمري.
وإني معك ولن يصل إليك شيء معي، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي ، فتستوجب لذلك أجر من اتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا انطلق إلى قومك فقم فيهم وقل لهم: إن الله قد ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم، يا معشر أبناء الأنبياء، وكيف وجد آباؤكم مغبة طاعتي؟ وكيف وجدتم مغبة معصيتي؟
وهل وجدوا أحدًا عصاني فسعد بمعصيتي؟
وهل علموا أحدًا أطاعني فشقي بطاعتي؟
إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها، وإن هؤلاء القوم رتعوا في مروج الهلكة وتركوا الأمر الذي أكرمت به آباءهم، وابتغوا الكرامة من غير وجهها فأما أحبارهم ورهبانهم ، فاتخذوا من عبادي خولاً لا يتعدونهم ويعملون فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري ، وأنسوهم ذكري وسنتي،

أو يمكن أن يقال: عرض اتفاق مضى نصف أسبوع تمام؟

أي: ثلاثة سنين ونصف من توجه اسبسيانوش في عسكره [٤٠/أ] في فصل الربيع سنة سبع وستين للميلاد المسيحي، إلى أن فتح طيطوس أورشليم في فصل الخريف سنة سبعين.

قال مؤلفه: فنحن نسأل اليهود هل يمكن أن يقال: إن هذا الوصف ليس في عيسى عليه السلام؟

وأن هذه نوادر وقعت بالمصادفة في كلام الأنبياء؟

وهل يمكن للإنسان الفاني إذا لم يوحي إليه الله تعالى أن يشرح بالتدقيق مستقبل الدين المسيحي وغايته ونجاحه على يد حواريي عيسى عليه

=

وغروهم عني ، فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي، فهم يطيعوهم في معصيتي.

وأما ملوكهم وامراؤهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري، وغرقم الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدي، فهم يحرفون كتابي ويفترون على رسلي جرأة منهم علي وغرة بي.

فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظمة شأني . هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي؟ هل لبشر أن يطاع في معصيتي؟

وهل ينبغي لي أن أخلق عبادًا أجعلهم أربابًا من دوني؟ أو آذن لأحد بالطاعة لأحد وهي لا تنبغي إلا لي؟ !

وأما قُراؤهم وفقهاؤهم فيدرسون ما يتخيرون فينقادون للملوك فيتابعوهم على البدع التي يبتدعون في ديني، ويطيعوهم في معصيتي، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي ، فهم جهلة بما يعلمون لا ينتفعون بشيء مما علموا من كتابي.

ثم يسترسل ابن كثير في ذكر قصة خراب بيت المقدس وهي طويلة فراجعها في الموضع المشار إليه.

السلام الاثنا عشر، الذين أشادوا المذهب المسيحي بالتواضع، لا بسلطان ولا بسحر ولا بحال من الأحوال الدنيوية، أناس صيادون أميون لا يكتبون ولا يتهجون؟

وهل يمكن أن يقال: إن هذه النبوات كتبت بعد وقوع تلك الأشياء؟

فعلى الحقيقة لا يقدر أحد أن يقول هذا القول لأن اليهود قاطبة [٤٠/ب] يعرفون بأن الوقت الذي اقتضى فيه مجيء عيسى عليه السلام على موجب النبوات قد فات منذ سنين كثيرة.

ينسبون إبطاءه إلى كثرة جرائرهم وتفاقم ذنبوهم.

والمؤرخون جميعًا من اليهود والوثنيين يقرون: أن النبوات كتبت قبل وقوع هذه الأشياء، مثل طاخينوس، وأسونطونيوس، ويوسيفوس، فيلو، المؤرخين الشهيرين. وحيث أن جميع ذلك تبين بالإيضاح الشافي زمن ظهوره عليه السلام.

فتعين أيضًا مكان مولده من بتول مصطفاة من الله [تعالى] من ذرّية داود عليه السلام في بيت لحم اليهودية.

فأولاً: ما قاله أشعيا النبي [عليه السلام] في الإصحاح الحادي عشر: "وينبت فرع من جرثومة يسي وينسي غصن من أصله وعليه يقر روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشهورة والقوة، روح العلم وحسن العبادة".

ثانيًا: يقول ميخا النبي [عليه السلام] في إصحاحه الخامس: [٤١/أ] "وأنت يا بيت لحم أفراثا الصغيرة بين ألوف يهوذا منك يخرج الذي يتسلط على إسرائيل وخروجه قديمًا منذ الأزل".

ثالثًا: يقول أشعيا النبي [عليه السلام] في إصحاحه السابع مخاطبًا شعب اليهود : "لأجل هذا يعطيكم الرب عينة علامة ها هي ذي العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى عمانوئيل".

إلى أن يقول: "وقبل ما يعلم الصبي أن يرذل الشر ويختار الخير تترك البلدة التي أنت ضجرتها من قبل ملكها".

ومن المعلوم أن هذه الأوصاف جميعها تمت في شخص عيسى عليه السلام، وقبل أن يعرف الخير من الشر، انتقلت به أمه من بيت لحم وضجرت أهل تلك البلدة التي ولد فيها.

لأن هيرودس[1] الملك أرسل فقتل كل طفل في بيت لحم من ابن

---

(١) قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ (١/٢٣٠) في ذكر عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام: وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة.

فكان مما نسخ أنه حرم نكاح بنت الأخ.

وكان لملكهم واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فنهاه يحيى عنها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها.

فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا سألك الملك: ما حاجتك؟

فقولي: أن تذبح يحيى بن زكريا.

فلما دخلت عليه وسألها: ما حاجتك؟

قالت: أريد أن تذبح يحيى بن زكريا.

فقال: سلي غير هذا.

قالت: ما أسألك غيره.

فلما أبت، دعا بيحيى، ودعا بطست فذبحه، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قَرّت عيني.

فصعدت إلى سطح قصرها، فسقطت منه إلى الأرض، ولها كلاب ضارية تحته، فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر.

فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن

سنتين إلى ما دونه.

وولد من بكر تقية الأمر الذي يفوق العقل البشري.

ومما قيل في معجزاته عليه السلام نكتفي منه على ما [٤١/ب] قاله[١] أشعيا النبي [عليه السلام] في إصحاحه الثاني والأربعين حيث يقول: "أنـــا

=

يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل منهم سبعين ألفًا حتى سكن الدم.

وقال السدي نحو هذا غير أنه قال: أراد الملك أن يتزوج امرأة له، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى، فارسل إليه فقتلـــه، وأحضـــر رأسه في طست وهو يقول له: لا تحل لك.

فبقي دمه يغلي، فطرح عليه التراب حتى بلغ سور المدينة، فلم يسكن الدم.

فسلط الله عليهم بختنصر في جمع عظيم فحصرهم، فلم يظفر بهـــم، فـــأراد الرجوع، فأتته امرأة من بني إسرائيل، فقالت: بلغني أنك تريد العود.

قال: نعم، قال طال المقام وجاع الناس، وقَلّت الميرة بهم وضاق عليهم.

فقالت: إن فتحت لك المدينة أتقتل من آمرك بقتله وتكف إذا أمرتك؟

قال: نعم.

قالت: اقسم جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثم ارفعوا أيديكـــم إلى السماء، وقولوا: اللهم إنا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا، فخرب سور المدينة، فدخلوها فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكريـــا حتى يسكن فلم يزل يقتل سبعين ألفًا وسكن الدم، فأمرته بالكف وكف.

وخرب بيت المقدس، وأمر أن تلقى فيه الجيف، وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بني إسرائيل منهم عزريا، وميشائيل ورأس الجالوت فكان دانيال أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وسعوا بهم إلى بختنصر.

وذكر نحو ما تقدم من إلقائهم إلى السبع ونزول الملك عليهـــم ، ومســـخ بختنصر ومقامه في الوحوش سبع سنين.

(١) جاء بهامش تلك الصفحة علامة الجزء الخامس وهو الأخير بلفظ: جزء (٥).

الرب دعوتك بالعدل، وأمسكت بيدك وحفظتك، وجعلتك عهدًا للشعب ونورًا للأمم تفتح عيون العمي".

وفي إصحاحه الخامس والثلاثين يقول أيضًا في خلال وصفه عليه السلام: "وتثني آذان الصم، حينئذ يقفز الأعرج كالغزال، ولسان الأبكم يترنم".

ومن المعلوم أن أكثر معجزاته كانت على هذه الصفة.

لأن بعثته كانت من زمن الفلاسفة العظام والحكماء الكرام، وبهذه الأشياء كانوا يتحيرون منذهلين، ويتوقفون عن معارضته عليه السلام.

وأما منشأه: فقد صرح به في تثنية الاشتراع في الإصحاح الثامن عشر بقوله تعالى إلى نبيه موسى [عليه السلام]: "سأقيم لهم نبيًا مثلك من بين إخوتهم ، واجعل كلامي في فيه فيكلمهم بكل [ما][1] آمره به فمن لم يطع كلامه [٤٢/أ] الذي يقوله باسمي، فأكون منه منتقمًا".

وفي أشعيا يقول: "لأنه ولد لنا صبي، وولد لنا ابن وصارت رياسته على منكبيه، ويدعى اسمه عجيبًا رئيس السلام ليعظم سلطانه وسلامه ليس له انقضاء، يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل مذ لدن الآن وإلى الأبد".

ومما قيل عن التبشير في الإنجيل:

"وإنه يبتدي به من أورشليم" .

فقد ذكره أشعيا في إصحاحه الثالث قائلاً: "من صهيون يخرج الناموس، ومن أورشليم كلمة الرب، وهو يحكم بين الأمم".

ولكن لا يدع أن جحدت اليهود كل هذه الآيات والأدلة لقساوة قلوبهم، التي سبق فتنبأ عنها داود النبي [عليه السلام] قائلاً في المزمور الثاني:

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

"قامت ملوك الأرض وتشاورت الرؤساء على الرب وعلى مسيحه".

وأما حياته وصفاته [٤٢/ب] وتواضعه(١)، فقد صرّح عنه أشعيا النبي

---

(١) قال ابن كثير في قصص الأنبياء (٢/ ٥٣٢) في فصل ذكر صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله قال الله تعالى: **﴿ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة﴾**.

قيل : سمي المسيح لمسحه الأرض، وهو سياحته فيها، وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له، وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام.

وقيل: لأنه ممسوح القدمين.

... وما ثبت في الصحيحين: "**ما من مولود يولد إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا إلاّ مريم وابنها، ذهب يطعن فطعن في الحجاب**".

.... وقال البخاري حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له : أسرقت؟ قال: لا والذي لا إله إلاّ هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذّبْتُ عينى**".

وكذا رواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبدالرزاق، وقال أحمد: حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد الطويل، عن الحسن وغيره، عن أبي هريرة قال ولا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**رأى عيسى رجلاً يسرق ، فقال: يا فلان أسرقت ؟ فقال: لا والله، ما سرقت، فقال: آمنت بالله وكذبت بصري**".

وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل ، فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كذبًا على ما شاهده منه عيانًا، فقبل عذره، ورجع على نفسه فقال: آمنت بالله، أي: صدقتك وكذّبت بصري لأجل حلفك.

.... قال أحمد، حدثنا يحيى، عن أبي عروبة، حدثنا قتادة عن عبدالرحمن بن

[عليه السلام] بقوله في الإصحاح الثالث والخمسين: "فيصعد كنبات ضعيف قدامه وكمثل أصل في أرض يابسة".

وقوله في الإصحاح الحادي عشر: "ويكون البر منطقه والإيمان حزامه".

وقوله في الإصحاح الأربعين: "مثل الراعي يرعى قطيعه، وبذراعه يجمع الخرفان ويرفعهم إلى خصته".

=

آدم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"الأنبياء اخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، لم يصبه بلل، بين مخصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويعطل الملل حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى، فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه"**.

ثم رواه أحمد ، عن عفان ، عن همام ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة، فذكر نحوه، وقال: "فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون".

.... وقوله: ﴿**وإنّه لعلم للساعة**﴾ الآية: وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق، وقد أقيمت صلاة الصبح، فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله، فصل فيقول: لا بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة.

وفي رواية: فيقول له عيسى إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي خلفه، ثم يركب ومعه المسلمون، في طلب المسيح الدجال، فيلحقه عند: باب لد، فيقتله بيده الكريمة.

وقوله في الإصحاح الثاني والأربعين: "القصبة المرضوضة لا يكسرها، والكتان المدخن لا يطفيه".

وأيضًا يقول زكريا النبي [عليه السلام] في إصحاحه التاسع عن مجيئه عليه السلام لبيت المقدس أي: أورشليم: "ها هوذا ملكك يأتيك عادلاً متواضعًا راكبًا على أتان(١) وعلى جحش(٢) ابن أتان".

وفضائل كثيرة ذكرت له في سائر أسفار الأنبياء مما لا يمكن اتصاف غيره بها، ولا يمكن تأويلها.

فحكمته ومعارفه بما لم يأت به [٤٣/أ] أحد من قبله قط.

ودماثة أخلاقه واتضاعه وجنوحه إلى السلم، وصبره وتحمله واتكاله الثابت على الله، واستلامه التام لإرادته تعالى لم ينظر في أحد سواه ممن تقدمه.

ولكن لا غرو أن جحدت اليهود ذلك لتقام عليهم الحجة من الله تعالى، وليبيدهم بعدل منه تعالى كما سبق فتنبأ عليهم نبي الله موسى [عليه السلام] في سفر الأخبار في الإصحاح السادس والعشرين قائلاً: "إن لم تطيعوني وتعملوا بجميع وصاياي، ورذلتم سنني، وكرهتم أحكامي، ولم تعملوا ما أمرتكم به وأبطلتم عهدي، فأجعل قراكم خرابًا، وأوحش مقدسكم وأفرقكم بين الأمم، وأخترط في أثركم السيف، وتكون أرضكم

---

(١) الأتان: الحمار، والجمع آتن.

وقيل: الأتان: الحمار، ويقع على الذكر والأنثى. قال ابن منظور في لسان العرب: في مادة أتن:

...قال ابن الأثير: ... استأتن الحمار، صار أتانًا، وقولهم كان حمارًا، فاستأتن: أي: صار أتانًا. يضرب للرجل يهون بعد العز.

وقال محققه: ومنها يعرف أن الأتان هو الحمار أو الحمارة الكبيرة الضعيفة الهزيلة.

(٢) والجحش: هو ابن الحمارة الصغير وهو معروف ومشهور.

للفساد، وقراكم للخراب، وتكون مباداً ومثالاً وحديثًا لجميع الشعوب".

وكما تنبأ عنهم [٤٣/ب] أرميا النبي في إصحاحه التاسع والعشرين قائلاً: "واطردهم بالسيف والجوع، والوباء، وأعطيهم عذابًا لجميع ممالك الأرض لعنة وبهتًا وصغيرًا وعارًا لجميع الأمم التي أنا أخرجتهم إليها"(١).

وكما قيل عنهم في تثنية الاشتراع في الإصحاح الثامن والعشرين: "وتحل عليك جميع هذه اللعنات وتلحقك فتدركك وتكون عليك آيات ومعجزات إلى الأبد".

إلى أن يقول: "وسيجلب الرّب عليك قومك من أرض بعيدة من أقصى الأرض خفافًا كالنسر الطائر، ولا تفهم لغتهم يبيدوك ويهلكوك في

---

(١) ويقول ابن كثير في قصص الأنبياء أيضًا (٢/ ٤٤٨) في ذكر جماعة من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ممن لا يعلم وقت زمانهم على التعيين إلا أنهم بعد داود عليه السلام، وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام، فقال: ومنهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب.

وقد قيل : إنه الخضر . رواه الضحاك عن ابن عباس ، وهو غريب وليس بصحيح.

قال ابن عساكر: جاء في بعض الآثار: أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق فقال: "أيها الدم فتنت الناس فاسكن".

فسكن ورسب حتى غاب.

وقال أبوبكر بن أبي الدنيا : حدثني على بن أبي مريم ، عن أحمد بن حباب، عن عبدالله بن عبدالرحمن قال: قال أرميا: "أي: رب أي عبادك أحب إليك؟". قال: "أكثرهم لي ذكرًا، الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلائق، الذين لا تعرض لهم وساوس الفناء، ولا يحدثون أنفسهم بالبقاء، الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه ، وإذا زوي عنهم سروا بذلك، أولئك أنحلهم محبتي، وأعطيهم فوق غاياتهم".

قراك كلها -أعني اليهودية-".

والمراد بذلك أهلها كقوله تعالى في الفرقان الشريف: ﴿**ويا سماء أقلعي**﴾. والمراد به مطر السماء.

وبالحقيقة لقد أوقع الله في الشعب اليهودي كافة تلك البلايا، فمن ذلك: أن أسباسيانوس ، وأدريانوس، ويوليوس [٤٤/أ] قياصرة رومية عندما توجهوا من بريتانيا(١) على أرض فلسطين أخربوها وقتلوا أطفالها، وشتتوا رجالها في كافة أقطار الأرض.

وكانت نياشين عساكرهم صورة النسر، ولغتهم غير مفهومة(٢).

وأصبح اليهود في حالة يرثي لها الشامت ، حتى أفضى بهم الحال أخيرًا لأن قتل منهم في عهد طيطوس خمسمائة وثمانين ألف رجل غير الذي حرقه منهم بالنار وهلك بالجوع. وقد هدم لهم إذ ذاك خمسون قلعة حصينة.

ومما ذكره يوسيفوس المؤرخ: أنه في حصار مدينة السامرة لشدة الجوع الذي وقع على اليهود: كان يباع رأس الحمار بثمانين قطعة من الفضة، حتى أن امرأة رفيعة الحسب ذبحت رضيعها بيدها وأكلته(٣).

---

(١) كذا في المخطوط، وكذا في بعض كتب الجغرافيا والخرائط القديمة بالتاء بدل الطاء، وهي إنجلترا، ويقال أيضًا النكلترا، فهي على العموم كلمة ليست عربية حتى يمكن الجزم بكونها بالتاء أو بالطاء.

(٢) هي غير مفهومة لأهل فلسطين في ذلك الزمان حيث كانوا غزاة ولم يكن أهل فلسطين، أو من حولهم من البلاد قد تعامل معهم ليعرف لغتهم ، وأهل كل مكان أو قارة أو صقع من أصقاع الأرض لهم لغة وهي مفهومة بالنسبة لهم ولمن تعامل معهم أما من لم يتعامل معهم فهو لا يفهم منها ولا من أهلها شيئًا إلا عن طريق الإشارة التي هي لغة أهل الأرض جميعًا ثم مع مرور الوقت والمعاشرة يفهم هذه اللغة وتكون بالنسبة له كلغته الأم.

(٣) ليس هذا بأمر مستغرب كثيرًا فإنك أخي القارئ لو طالعت كتب التواريخ

وانتشر الذل على الشعب اليهودي خصوصًا في بلاد اليورتكيز.

كما ذكر المؤرخ صوصي في رسالة بعث بها إلى [٤٤/ب] إسبانيا من أن إحراق اليهود عند البورتكيز في ملاهيهم مغنمًا عظيمًا ، يجتمع لمشاهدته جموع كثيرة.

فكانوا: إذا طرحوا يهوديًا في النار وأخذ في الترع والتلوي من الألم، أهلت النساء بأعلى أصواقمن استبشارًا بملاكه[1].

=

أو السير لرأيت العجب العجاب فإن أمثال هذه الحوادث تعد من الأمور العادية، وكانت أضعاف أضعافها تحدث على مر الزمان عندما تجدب الأرض وتقلع السماء عن المطر وتجف الضروع، ويهلك الزرع ويموت الظفر، وتنتشر الأمراض المهلكة، والأوبئة الفتاكة كالطاعون وغيره من الأمراض التي كانت تنتشر في أزماهم عافانا الله وإياكم من مثل تلك الحوادث ووسع علينا من فضله ونعمه بجوده وكرمه آمين.

(١) وما محاكم التفتيش التي أهلك فيها المسلمون بأشد أنواع التعذيب ، والإبادة ببعيد، فقد تعرضوا لها في إسبانيا في العهد القريب، وهاهم اليوم يتعرضون لها في شتى بقاع الأرض، فكانت في السبعينات في أرتريا والفلبين والصومال والاتحاد السوفيتي وأفغانستان وفي أواخر الثمانيات تحولت إلى البوسنة ثم الشيشان، وكوسوفا في أواخر التسعينات وها هي النار تلتهم الأخضر واليابس في أرض البلقان، وفلسطين كل يوم بما هو أشد وأنكى مما كان في أيام محاكم التفتيش، والصحف تكتب، وأجهزة التلفاز تصور، والعرب يشجبون ولا مجيب، وصدق الشاعر إذ يقول:

ومن لم يذد عن حوضه بسيفه قمدم

ولا أريد أن أُتم حيث أننا نحن معاشر المسلمين لا نقر بقية ما قال حيث يقول: ومن لا يظلم الناس يظلم

فنحن لا نحب أن نظلم ولا نظلم ولكن ها هو الظلم يقع علينا كل لحظة،
=

وفي طرابلس الغرب إذا جنى أحد من غير اليهود جناية وحكم عليه بالقتل أخذ يهوديا عوضه ليباشر قتله.

وفي همذان وغيرها من بلاد فارس: لا يؤذن لليهود بحراثة الأرض، ولا بإحراز ملاك وعقار.

وذكر مورير السايح: أهم لا يخرجون في المسالك خلوا [خوفًا][1] من أن يُهزأ هم ويهانوا وذكر رابين المؤرخ الإنكليزي: أنه لما نصبت الحرب للمسلمين في فلسطين رزئت اليهود بإنكلترا رزئًا شديدًا ففي قلعة يورك كان[2] منهم نحو ألف وخمسمائة نفس.

وقد اشتد عليهم الظلم وعجزوا عن أن يشتروا أعمارهم بثمن، مما جعلوا يقتلون بعضهم بعضًا حتى تفانوا.

وأول [٤٥/أ] مقالة حررت في القوانين التي قررت في فرنسا التي كتبت فيها معاهدة في إنكلترا، وافتخرت ها بريتانيا، لِمَا فيها من طيب الأحكام والعدل والحرية لم يبح فيها أذية أحد إلاّ اليهود، كما تقرر ذلك في القانون الثاني عشر منها.

=

فهل من مدافع منا، ورحم الله شيخي الشيخ آدم صالح إذ سمعني ذات يوم أدعو فأقول: اللهم اهلك الظالمين بالظالمين ونجنا من بينهم سالمين.

فقال لي: لا ولكن قل: اللهم اهلك الظالمين بالمسلمين.

لكن لو قلت ذلك فما هو دورك أنت أيها المسلم ، فإن الله تعالى قادر على إبادهم من الأصل، ولكن إنما تركهم ليختبر المسلمين ويبتليهم ويأجرهم.

(١) أي: فُرادا أو في حال خلو الطريق من المارة، وما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق، وليس ذلك ظلمًا من الناس لهم ولكن لما اقترفته أيديهم في حقهم، وحق ذويهم.

(٢) ربما كانت الكلمة : قتل، وحرفت إلى هذا اللفظ، وربما كان هذا اللفظ هو الصحيح والمراد أنه كان موجودًا منهم في القلعة المذكورة. والله أعلم.

وفي ظهور الإسلام كانت عداوتهم وبغضهم مالئة صدور المسلمين.

لا بل مبلغ الفرقان سبحانه[1] يخبر بقبائحهم، كما سنراه في خاتمة الكتاب وفي السنة الثالثة ضبط المسلمون حصونهم التي في الحجاز، وأكره الذين فيها على تسليمها ثم طردوا من البلاد، وجعلت أموالهم وأملاكهم فيئًا للمسلمين.

وناهيك أن المسلمين والنصارى والوثنيين تواطأوا[2] على تدميرهم مع ما بينهم من الخلاف.

ففي زمن القيصر قسطنطين حين أثاروا الفتنة في أماكنه: أمر أن تقطع

---

(١) في أصل المخطوط: عينه. وهذه كلمة لا تجوز في حق الله سبحانه، فيمكن أن يقال ذاته وهي الذات العلية، أو يقال صفة من صفاته أو ما يترهه عما سواه سبحانه، وقد استبدلت الكلمة بما هو مثبت، والله الموفق والهادي للصواب.

(٢) هذه كلمة غير حميدة في هذا السياق، وكان من الأحرى أو الأصوب أن يقول اتحدوا ، أو اجتمعوا، أو اتفقوا، لما في الكلمة السابقة من التبييت بليل مع الغدر والخيانة أما ما سقته ففيه التصريح بالحرب وفي خطط الحرب ما فيها من الأسرار والكتمان غير أن الحرب معلنة والتخطيط لها يكون فكيفما يراه كل طرف حسب ما يقتضيه ظروفها وأيضًا حسبما تمليه تعاليم دين كل طرف وفي حدود أخلاقياته سواء كانت تلك الأخلاق شرعية أو وضعية من أعراف الناس وتقاليدهم مثل أن لا يتسور كفار قريش على النبي صلى الله عليه وسلم الدار ليلاً لأنه ليس هذا من الأدب مع مخالفتهم له في الدين وحرصهم على قتله والخلاص منه، فإن عاداتهم وقيمهم لا تسمح بمثل هذا الفعل، ولو فعلوه لعيروا به بين القبائل التي هي على شاكلتهم في الدين والحريصين أيضًا على قتله. المهم أن هناك ألفاظ أولى من ألفاظ وتعطي نفس المعنى والغرض مع الاحتفاظ بالأدب والوقار والخصومة في آن واحد.

آذانهم، ويطردوا، وكانوا يلاقون جنسهم بسمة خزيهم.

وفي القرن الخامس نفوا من الإسكندرية، وطالما كانت لهم مقرا.

[٤٥/ب] وفي زمن القيصر بوستينيايوس: أبطلت متعبداتهم، ومنعوا من إقامة فرائضهم ومناسكهم ولو في المقابر.

وفي زمن الملك فيلبس أغوسطوس(١): قاسوا أهوالاً شديدة، وأخيرًا برأ ذمة النصارى الذين كانوا في مملكته من الدّين الذي كان عليهم لليهود، واستحل لنفسه خمسه، ثم طردهم منها.

وقال بسناج المؤرخ في الفصل الحادي والعشرين من كتابه السابع: أن اليهود الذين طردوا من أسبانيا كانوا على أقل أوجه التخمين مائة وسبعين ألف بيت.

وذكر جيبون المؤرخ في كتابه الخامس: أن أُلوفا عديدة من اليهود في مدائن، ومنس، واسبيريس، أخرجوا من أملاكهم وقتلوا.

وأكثرهم سدوا منازلهم، ورموا بأنفسهم وعيالهم، وأمتعتهم في الأنهار والنيران، فهلكوا وهلكت(٢).

---

(١) وهو المسمى عليه الشهر في التقويم المصري للشهر الثامن الميلادي: أغسطس. وفيه تحريف للتخفيف.

وبالمناسبة قد نصحني أيضًا شيخي الشيخ آدم صالح يرحمه الله آمين بأن لا أكتب أسماء الشهور الأفرنجية أو الميلادية بما هو في النتائج حيث أنها في أغلبها على أسماء ملوك وحكام كانوا ظلمة ونصحني بأن أكتب شهر واحد أو شهر اثنين أوشهر ثلاثة إلى آخره حيث إنها تؤدي نفس الغرض، وأنا أعمل بذلك منذ نصحني يرحمه الله وإيانا آمين.

(٢) أي: فهلكوا هم انتحارًا، وهلكت أي: أموالهم النيران.

وهو ما يسمى في العصر الحديث عند انهزام الجيوش وقبل انسحابهم بسياسة الأرض المحروقة حيث يقوم الجيش المنهزم قبل انسحابه بتدمير كافة

فكل تلك المصائب جرت عليهم و لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

ولكن من يضله الله لا هادي له.

فلاشك أن هؤلاء الأوغاد من الذين قال الله تعالى في حقهم إذ أنهم [٤٦/أ] من القبضة الخبيثة: ".. هذه للنار ولا أبالي.."[(١)]

ولقد أحسن من قال فيهم:

آباؤُهُم فتَكُوا بالأنبيَاءِ فَلاَ ... غَرو لسَائرِ كَمَا قَدْ سَارَ وَالِدهُ

ولعمري ما أوردت في هذا الكتاب إلاّ قليلاً من الدلائل الواضحة في حق عيسى عليه السلام وفي حقهم من النقائص والعدوان، وما كان ذلك لعجز مني عن الإسهاب، ولكن اقتصرت على ما ذكرت حُبًّا بالإيجاز، ليسهل على القارئ مطالعته وتفهم معانيه والتّفحص عن كل ما ذكرته في المواضع التي عينتها ليرى ما هو أعظم من ذلك وأظهر وضوحًا.

وأنا أسأل الله العظيم أن يحميني بعد إشهار كتابي هذا من شر هذه الطائفة الخبيثة فإني ما حررته إلا ابتغاء لوجهه الكريم.

وعشمي[(٢)] به تعالى أن لا يهملني ولا يضيع أجري إنه لا يضيع أجر المحسنين. وهب أنني استشهدت في حبّ الله في إشراك أولئك اللئام، فلا آسف على ذلك [٤٦/ب] فإني أقول مع بولس الأمين أحد حواريي

مـــعداته وسكناته حتى لا يستفيد بها الجيش المنتصر، فهي من سنن اليهود لعنهم الله.

(١) إشارة إلى حديث قدسي مشهور، وطرفًا منه هو المذكور هنا.

(٢) هو التمني والأمل والرجاء والطمع في الشيء، وهو كلمة عربية فصيحة، وإن ظنها البعض أنها عامية.

ويقول ابن منظور في لسان العرب مادة عشم: العَشْمُ والعَشَمُ: الطمع.

قال ساعدة بن جُؤَيَّة الهذلي:

أَمْ هَلْ تَرَى أَصَلاَتِ العَيْشَ نَافِعَةً ... أَم فِي الخُلُود وَلا بالله مِنْ عَشَمِ؟

عيسى: "ماذا يمكنه أن يفصلني عن محبة الله: أحزن، أم ضيق، أم خطـــر، أم سيف؟ كلا لا يفصلني عن حبه أحد".

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

۞ ۞ ۞

(ولنختـــم كتابنـــا هـــذا)

بمسك الختام مما نشرحه من آيات الله الكرام الواردة في حق اليهود اللئام ، ليحصل به النفع لسادتنا [أهل][1] الإسلام ، وليحترسوا إن شاءوا من الملة اليهودية ، ولا يغتروا بما يروه من لين جانبها ، فإن الصِّل[2] لألين الهوام، وهو مع ذلك أكثرها سمًّا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**قل من كان عدوًا لجبريل**﴾[3].

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) نوع من الحيات لا علاج لسمه، فسمه قاتل لمن لدغته، ويقول الدميري في حياة الحيوان في حرف الصاد:
الصِّل: بكسر الصاد: الحَيَّة التي لا تنفع فيها الرقية.
ومنه قالوا: فلان صِّل مطرق.
وبه وصف إمام الحرمين تلميذه أبا المظفر: أحمد بن محمد الخوافي.
وكان علامة أهل طوس نظير الغزالي، وكان عجيبًا في المناظرة، رشيق العبارة توفي سنة خمسمائة.
وكان هو، والكيا الهراسي، والغزالي أكبر تلامذة إمام الحرمين رحمة الله عليهم.

(٣) سورة البقرة (الآية : ٩٧) وفيها يقول ابن كثير في تفسيره: قال الإمام أبوجعفر بن جرير الطبري رحمه الله : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا أن هذه الآية جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم .
ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك. فقال بعضهم: إنما سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته.
ثم قال ابن كثير في ذكر من قال ذلك فقال: حدثنا أبوكريب، حدثنا يونس ابن بكير، عن عبدالحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس أنه

قال : حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلاّ نبيّ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لتتابعني على الإسلام**".

فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**سلوا عما شئتم**".

قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا الأمي في التوراة ؟ ومن وليه من الملائكة؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني؟**" فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق، فقال: "**نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل (يعقوب) مرض مرضًا شديدًا فطال سقمه منه، فنذر لله نذرًا لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟**" فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم اشهد عليهم، وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرًا بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل؟**"

قالوا: اللهم نعم، قال: "**اللهم اشهد ، وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟**"

قالوا: الله نعم، قال: "**اللهم اشهد**".

قالوا: أنت الآن، فحدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نجامعك أو نفارقك،

فالشيخ البيضاوي رحمه الله يقول: إنه نزل في عبدالله بن صوريا اليهودي، لأنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل؟

فقال صلى الله عليه وسلم: ((**جبريل**)).

فقال: ذاك عدونا، عادانا مرارًا، وأشدها عداوة أنه نزل على نبينا: أن بيت المقدس سيخربه بختنصر.

فبعثنا من يقتله فرآه ببابل، فرفع عنه جبريل.

[٤٧/أ] وقيل: دخل عمر مدارس اليهود يومًا فسألهم عن جبريل؟

فقالوا : ذاك عدونا ، يطلع محمدًا على أسرارنا ، وأنه صاحب كل خسف، وعذاب.

فانظر إلى هؤلاء الأوغاد كيف يقولون على ملائكة الله ورسله، وينسبونهم للبغض والعداوة، على أن الله ما أرسلهم إلاّ رحمة للعالمين.

ولكن، لا يحق لك أيها السيد النبيه أن تتعجب من ذلك بعد الذي قالوه في [حق][1] الله من أن يده مغلولة، مما هو مصرح في كتاب الله العزيز، ومما ذكر الله تعالى عنهم جل شأنه من أنهم نسبوه إلى الفقر كما يفسره البيضاوي عن قوله تعالى: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق**﴾[2].

فالمفسر يقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر إلى

=

قال: "**فإن وليّ جبريل، ولم يبعث الله نبيًا قط إلاّ وهو وليه**".

قالوا : فعندنا نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك،

قال: "فما يمنعكم أن تصدقوه؟"

قالوا: إنه عدونا، فأنزل الله عز وجل: ﴿**قل من كان عدوًا لجبريل**﴾.

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) سورة آل عمران (الآية: ١٨١).

هود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا.

فقال فنحاص[1] بن عازوره: إن الله [٤٧/ب] فقير حيث سأل عبده.

ولأنها كلمة عظيمة إذ هي كفر بالله ، واستهزاء ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء[2].

---

(١) في المخطوط: فنحا . بغير الصاد في آخره وتصويبه من تفسير ابن كثير في تفسير الآية.

(٢) ويقول ابن كثير أيضًا في تفسير هذه الآية في تفسير القرآن العظيم، في سورة آل عمران: قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة**﴾، فسأل عباده القرض؟! فأنزل الله: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ الآية، رواه ابن مردويه، وابن أبي حاتم.

وقال محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أنه حدثه، عن ابن عباس قال: دخل أبوبكر الصديق بيت المدارس، فوجد من اليهود ناسًا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنخاص، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له : أشيع، فقال أبوبكر ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله من عند الله، قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنّا عنه لأغنياء ولو كان عَنَّا غنيًّا ما استقرض مناكما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيًّا ما أعطانا الربا؟

فغضب أبوبكر رضي الله عنه، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك، فقال:

وقوله تعالى في سورة آل عمران: **﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤديه إليك إلاّ ما دمت عليه قائمًا ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾**(١).

فالشيخ المذكور يقول: إن المأمونين على الكثير النصارى، إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنين في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة.

وقوله تعالى: **﴿قائمًا﴾** أي: مبالغًا في في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البينة، إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله تعالى: **﴿لا يؤده﴾** لسبب قولهم: **﴿ليس علينا﴾** في شأن من ليسوا أهل الكتاب و لم يكونوا على ديننا، عتاب ذم لهم ، وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم في دينهم [٤٨/أ] وقالوا: لم يجعل في التوراة حُرمة.

قال مؤلفه: إني لم أرَ على صدق ما كتبته أكبر شاهدًا من هذه الآية الشريفة، وهذا التفسير الجميل، على أنهم يستحلون مال من خالفهم في دينهم.

=

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما حملك على ما صنعت يا أبابكر**"؟
فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيمًا يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك، غضبت لله مما قال، فضربت وجهه، فجحد فنحاص ذلك، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص: **﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾** الآية رواه أبوحاتم.
وقوله: **﴿سنكتب ما قالوا﴾** تهديد ووعيد، ولهذا قرنه تعالى بقوله: **﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾** أي : هذا قولهم في الله ، وهذه معاملتهم رسل الله.

(١) سورة آل عمران (الآية : ٧٥)

ومن ذلك ما قاله الله تعالى في سورة[1] المائدة: **﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رُسُلاً كُلّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذّبوا وفريقًا يقتلون﴾**[2].

فمن بعد تفسير جميع الآية يقول المفسر المذكور: وإنما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها، واستفظاعًا وتنبيهًا على أن ذلك ديدهم ماضيًا ومستقبلاً، ومحافظة على رءوس الآية.

فهل بعد هذا يشك ذو عقل في أنهم يستحلون قتل البشر لبغضهم لكل من خالفهم في دينهم، وجاء بما لا تهوى أنفسهم.

فليتوقى كل عاقل مقاربتهم فإنه لا ينتفع منها شيئًا، ويكون كراكب[3] البحر إن سلم من الغرق [٤٨/ب] لا يسلم من الخوف ولعمري لقد أحسن القائل:

لاَ يَنْفَعُ الجَرْيَان قُرْبَ صَحِيْحَة مِنْهُ ... وَلَكِنَّ الصَّحِيْحَةُ تَجْرَبُ

فكأنما[4] هذا البيت قيل إلاَّ في حق هؤلاء الأنجاس.

وليتبصر العاقل في قوله تعالى: **﴿لتجدن أشدَّ النّاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى﴾**[5].

---

(١) في المخطوط : صورة بالصاد، وهو تحريف.

(٢) سورة المائدة: (الآية: ٧٠).

(٣) في المخطوط: كواكب، وهو تحريف، وما ذكره مثل مشهور يقال للجمع بين الخوفين أو إذا اجتمع بالإنسان الخطر أو المخاطر من كل جانب أو ناحية أو جانب.

(٤) في المخطوط : مما كان، وهو تحريف والسياق يقتضي ما ذكرت.

(٥) سورة المائدة (الآية: ٨٢)، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية في تفسير القرآن العظيم: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: نزلت هذه الآيـــة

في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم.

وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة.

وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما: نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه ويروا صفاته، فلما رأوه، وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا، ثم رجعوا إلى النجاشي، فأخبروه.

قال السدي: فهاجر النجاشي فمات بالطريق.

وهذا من أفراد السدي، فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة، وصلى الله عليه وسلم يوم مات بأرض الحبشة.

ثم اختلف في عدد هذا الوفد، فقيل: اثنا عشر سبعة قساوسة وخمسة رهبان، وقيل : بالعكس.

وقيل: خمسون، وقيل: بضع وستون، وقيل: سبعون رجلاً فالله أعلم.

وقال عطاء بن أبي رباح : هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين.

وقال قتادة: هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم، فلما رأوا المسلمين وسمعوا منهم القرآن أسلموا، ولما يتلعثموا.

واختار ابن جرير: أن هذه الآية نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها.

فقوله تعالى: ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾ وما ذلك إلاّ لأن كفر اليهود كفر عنا وجحود ومباهتة للحق، وغمط للناس، وتنقُّص لحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وسموه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

قال الحافظ أبوبكر مردويه عند تفسير هذه الآية: حدثنا أحمد بن محمد بن

فقد فسر ذلك الشيخ رحمه الله بقوله: أما عداوة اليهود: لشدة شكيمتهم، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتباع الهوى، وقربهم إلى التقليد، وبعدهم عن التحقيق، وتمرهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم.

وأما مودّة النصارى: للين جانبهم وحسن أخلاقهم، وقلة حرصهم على الدنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل.

والأوضح من ذلك ما ورد في حق اليهود من أنهم يستحلون قتل من خالفهم في دينهم [٤٩/أ] قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون**﴾[١] ؟

قال المفسر طاب ثراه: ﴿**ففريقًا كذبتم**﴾ كموسى، وعيسى [عليهما السلام]. ﴿**وفريقًا تقتلون**﴾ كزكريا، ويحيى [عليهما السلام].

وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها في النفوس فإن الأمر فظيع.

أو مراعاة للفواصل، أو للدلالة على أنكم بعد[٢] تحومون حول قتل

=

السري، حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي، حدثنا علي بن سعيد العلاف حدثنا أبوالنضر، عن الأشجعي، عن سفيان، عن يحيى بن عبدالله، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما خلا يهودي بمسلم قط إلاّ همَّ بقتله**".

ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي حدثنا فرج بن عبيد حدثنا عباد بن العوام، عن يحيى بن عبدالله ، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما خلا يهودي بمسلم إلاّ حدث نفسه بقتله**". وهذا حديث غريب جدًا.

(١) سورة البقرة (الآية: ٨٧).

(٢) جاء بعد تلك الكلمة لفظ: "فيه" وهي زائدة على السياق فحذفتها.

محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنني أعصمه منكم، ولذلك سحرتموه، وسممتم له الشاة.

ولو أردنا استيفاء القول على ذلك لطال الشرح.

ولكن خير الكلام ما قل ودل، وأحسنه ما قل لفظه وكثر معناه.

ومن حيث أن هذا الكتاب هو ظبية القنص ودرة الغواص، ومن عادة النفيس أن يهدى لمن هو أنفس منه، أتحفت به [٤٩/ب] سعادة، المتمنطق بلآلئ المعاني عوضًا عن دراري النجوم ، نائب الخديوي الأعظم في ديوانه، أدام الله سلطانه، أفندينا: محمد على باشا، لا زالت بذبابة سيفه مهج العدا تتلاشى.

أعني به مأمور الديوان الخديوي سيدي عبدالباقي بك، الذي أسأل الله بقلب منكسر، وبدمع منحدر، بما أنه جزيل الخيرات ومستجيب الدعوات، أن يزيد سعوده ، مسترحم من مراحمه العلية ، وأخلاقه الحاتمية أن يقبله من عبد نعمته وحجر حجرته ليكون لعبده بذلك الشرف الأعم والخير الأتم، فقد قبل المختار مدحاواته، لا غنى عباد الله عن حكمة الشعر راج من ذكائه الحساني، وسماحه العدناني، أن يسبل عليه [٥٠/أ] ذيول العفو[1] لما فيه من الغلط والسهو، فأني الآن لا كتاب يطالع ولا أستاذ يراجع.



(١) في المخطوط : العنو. وهو تحريف.

قال محققه أبو إسلام سيد بن كسروي: إلى هنا كان التحقيق التام وأسأل الله حسن الختام بالموت على دين الإسلام ، وأصلي وأسلم على خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

فهـرس موضوعات كتاب "منهـج الصـواب".

فهـرس موضوعات كتاب "المذمـة".

فهـرس موضوعات كتاب "حصـن الوجـود".

فهرس موضوعات "منهج الصواب"

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
المقدمة	٦
ترجمة المؤلف	١٣
عملي في تحقيق المخطوط	١٧
وصف مخطوط منهج الصواب	١٨
وصف مخطوط المذمة	١٩
وصف مخطوط حصن الوجود	٢٠
كتاب منهج الصواب	
مقدمة المؤلف	٣١
الباب الأول : في "النصيحة وحقيقتها ووجوها"	٣٩
الباب الثاني : "في ما ورد في الكتاب العزيز من النهي عن تقريبهم واستكتابهم وموالاتهم"	٥٥
الباب الثالث: "في ما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين والسلف الصالح من النهي عن موالاتهم وإعزازهم وابتدائهم بالسلام إلى غير ذلك مما يشاكله".	١٢٢
الباب الرابع: في "صفة العهد المأخوذ عليهم وذكر شيء من أحكامهم وترك الاستعانة بهم".	١٤٦
فصـــل: في "ذكر كنائسهم".	١٦٥

فصـــل: في "الجزية". ١٦٩
الباب الخامس: "في صفة من يستحق الكتابة للمسلمين" ١٧٧
فصل: "الصفات التي ينبغي أن تكون في الكاتب التي لا غنـــى
عنها ولابد لكل كاتب منها كان يحيى بن خالد يقول لولده". ١٩٧
الباب السادس: "في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ٢٠٤
الباب السابع: في "الظلم وسوء عاقبته". ٢١٤
الباب الثامن: في "مواعظ وحكايات تزهد في هذه القبائح
وترغب في الدار الآخرة وبها يتم الغرض من الكتاب". ٢٢٨
خاتمة الكتاب ٢٤٩

فهرس موضوعات كتاب "المذمة"

الموضوع	الصفحة
المقدمة والبداية	٢٥٥
فصل: "الأحاديث الدالة على استعمال أهل الكتاب"	٢٦٨
فصل: "موقف الأمراء بعد الخلفاء الأربعة من استخدام أهل الذمة".	٢٧٤
فصل: "في غياب ما يفعله أهل الذمة عن علم أولي الأمر".	٣١٧
فصل: "وكذلك انتدب السلطان الملك الصالح"	٣٢٦

فهرس موضوعات كتاب "حصن الوجود"

الموضوع	الصفحة
الفاتحة	٣٣١
القسم الأول: "في الرد على أصحاب تلك الكازتة وعن بيان الضمير المستتر فيها".	٣٤٢
القسم الثاني: "في شرح ما انطوت عليه ملة اليهود من البغضة ووخيم الاعتقاد".	٣٦٩
الفصل الأول: "في الأسباب التي بسببها يستحل اليهود قتل من خالفهم في دينهم"	٣٧٣
الفصل الثاني: "في احتياج اليهود للدم في أي شيء يستعملونه".	٣٨٣
فصل الثالث: "في خروجهم عن حدود الشريعة الإلهية والإنسانية وما ينسبونه إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا"	٣٩٧
القسم الثالث: "في الرد على ملة اليهود الجاحدين مجيء عيسى -عليه السلام- وإقامة البينة عليهم بصحة مجيئه إلى العالم	٤٠٤
الخاتمة	٤٢٩
الفهارس العامة	٤٣٩
فهرس كتاب "منهج الصواب".	٤٤١
فهرس كتاب "المذمة" .	٤٤٣
فهرس كتاب حصن الوجود".	٤٤٤